مجلة شهرية سياسية تعنى بشؤون الجزيرة العربية (السعودية)

الجزيرة العربية

AL-JAZEERA AL-ARABIA

العدد الثاني - رجب ١٤١١ هـ - فبراير ١٩٩١ م

من هو المسؤول عن توريط بلادنا في الحرب ؟

قصّة عمود الخيمة الملكية الذي انهدم

التيار الديني وآل سعود .. من التحالف الى المواجهة

الهجوم المسلّح في جدّة : نُذر الخطر تعصف بالداخل

فهد أقرّ الحرب ، والشعب إعتبرها أسوأ من صدّام

وثائق المسيرة المطالبة بقيادة السيارات

وثيقة : السعودية تحت المجهر الاميركي

الفهرس

من هو المسؤول عن توريط بلادنا في الحرب 2
قصة عمود الخيمة الملكية الذي انهدم 4
المؤسسة الدينية .. هل يتجاوزها الزمن 7
الهجوم المسلح في جدة .. نذر الخطر تعصف بالداخل 9
اخبار 10
السعودية تحت المجهر الاميركي 12
مراقبة الاعلام الخارجي قبل وبعد حرب الخليج 14
حرب الخليج .. تصحيح الخطأ بخطيئة أفظع 17
فهد أقرّ الحرب والشعب اعتبرها اسوأ من صدّام 18
مقابلة مع الشيخ حسن الصفار 20
ماوراء درع الصحراء 22
أيّ دور لشعوب الخليج في صراعات الحكّام ؟ 25
لماذا لا يعترف الملك بأخطائه الماضية 27
رسالة مفتوحة للشيخ عبد العزيز بن باز 29
وثائق المسيرة النسائية المطالبة بقيادة السيارات 31
الانفتاح الفكري بين المذاهب الاسلامية 35
التيار الديني وآل سعود ، من التحالف الى المواجهة..... 38
الأحلام التي دفنتها رمال الصحراء 47
الشيعة في السعودية والموقف من حرب الخليج 48

من المحرر

استقبل العدد الاول من هذه المجلة باهتمام طيب عندما صدر الشهر الماضي ، وكان هذا مما اثلج صدورنا فهي لنا كالوليد لامه شوقا وقلقا واهتماما • فللذين اهتموا بعددنا الاول ، ولاسيما من الاخوة الاعلاميين جزيل الشكر والمودة • وللذين ابدوا ملاحظاتهم النقدية الشكر والتقدير مكررا•

لكن السؤال الذي طرحه عديد ممن قرأوها هو عن الجهة التي تمثلها هذه المجلة ، وكنا نخالها واضحة بما لايحتاج الى سؤال •

فللذين سألوا ، نقول انها تعبر عن المعارضة السياسية في المملكة العربية السعودية بمختلف اتجاهاتها ، رغم ان القائمين عليها ملتزمون بالنهج الاسلامي ، وهي امتداد لجميع الدوريات التي اصدرتها المعارضة في الماضي والتي ادت على امتداد اعوام طويلة رسالتها.

وستكون المجلة على هذا الاساس منبرا للمعارضة في المملكة ككل وبشتى اتجاهاتها وبغض النظر عن كونها تختلف او تتفق في اطروحاتها مع رأي القائمين على المجلة. وهي ستكون ايضا نصيرا للمظلومين والمقهورين في انحاء الارض، ولاسيما في بلاد المسلمين، وهي ستسعى الى نقل صورة واضحة وكاملة عما يجري في المملكة لمن تحول اجراءات التعتيم الاعلامي دون وصولهم الى الحقائق عن هذه البلاد.

اننا نقول ذلك على امل ان يوفقنا الله لانجاز ما نسعى اليه، وسيكون هناك كثير من اوجه القصور في هذا العمل، نرجو ان ينظراليه الاخوة بعين المودة والمعذرة ، فليس من كامل الا الله.

سيكون من دواعي اعتزازنا ان نتلقى مالدى الاخوة القراء من ملاحظات واراء وانتقادات واقتراحات ونعتقد انها ستسهم في تكامل هذا العمل وسوقه نحو الامثل المنشود • فلمن يعيننا الشكر مقدما ولجميع قرائنا تحية المحبة والاحترام •

سعر النسخة : جنيه استرليني او ما يعادله

في هذا العدد

2

من هو المسؤول عن توريط بلادنا في الحرب

الحكومة السعودية موّلت بناء الجيش العراقي الذي يهاجم بلادنا ، وموّلت صناعة الصواريخ والاسلحة الكيمياوية العراقية التي تنهال على رؤوس مواطنينا الآن .. ولكن هل هي المسؤولة عن الحرب .

ان الديكتاتورية والتفرد ، والاستبداد هي كلها مجمل الاسباب التي ورطت بلادنا في الحرب ، فالملك فهد لم يستشر احدا حين ربط البلاد بعجلة البعث العراقي ايام الحرب العراقية الايرانية ، وفي الوقت الذي اعترف فيه الشهر الماضي بتزويد العراق بنحو اربعين مليارا من الدولارات لتمويل حربه مع ايران لم يكشف لنا كيف تمت تلك الصفقة وهل حظيت برضا الحكومة او الشعب .

الاستبداد وحكم الرأي الواحد سواء في العراق او السعودية هو وحده الذي ورط المنطة بأسرها في هذه الحرب المدمرة ، ولو كان الملك فهد مكان صدام لزحفت قواته لتهديد الامن في الدول الضعيفة المجاورة .

14

المراقبة السعودية للاعلام الخارجي قبل وبعد حرب الخليج

كانت الاسرة الحاكمة في المملكة العربية السعوية تنفق بسخاء لشراء وسائل الاعلام العربية والاجنبية ، يحدوها في ذلك الامل في ان تتمكن من تحسين صورتها التي تبدو كواحدة من النظم الديكتاتورية البدائية التي لاتراعي حقوق الانسان ، بيد ان الازمة الخليجية الحالية لم تمكن الحكومة السعودية من السيطرة على الاعلام المعادي لها ، وذلك بعد ان تحول اعلام الاصدقاء والاعداء الى اداة تكشف حقيقة نظام العائلة المالكة في السعودية ، فلقد خسر آل سعود مصداقيتهم الدينية التي بنوا عليها سمعتهم طيلة العقود الماضية بعد ان جلبوا القوات الاجنبية للدفاع عن عرشهم ، متحدين مشاعر الشعوب الاسلامية التي لا تقبل بوجود الكفار في البلاد المقدسة .. وكل ما يأمله اولاء الان هو منع وصول تأثيرات الاعلام الخارجي من الوصول للداخل .

38

التيار الديني والعائلة المالكة .. من التحالف الى المواجهة .

دراسة في التطور المعاصر للتيار السلفي في المملكة .

يتصاعد الانشقاق تدريجيا بين العائلة المالكة والاتجاه الديني من الشباب ورجال الدين الجدد ، الى الطبقة التقليدية من العلماء والمتدينين المنسجمين عادة مع التوجه الحكومي .

ويتغذى هذا الانشقاق بالتمرد الذي يظهر على السطح بين حين واخر .. بين التقليديين وبين كل من المتدينين المنفتحين ولاسيما رجال الدين الشباب من جهة ، والليبراليين من جهة اخرى .. وقد ادت ازمة الخليج ومار رافقها من استقدام لمئات الآلاف من الجنود الاجانب الى البلاد ، الى اثارة مشاعر متناقضة بين الاطراف الثلاثة .

20

المسافة بعيدة جدا لتسمح الحكومة السعودية للمعارضة بالمشاركة في الحكم ..

هذا ما تحدث به الشيخ حسن الصفار زعيم منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية حيث قال «ان تأثيرات الازمة الخليجية الحالية غيرت الخارطة السياسية في المنطقة وان لم تستقر بعد» .

واعتبر الشيخ الصفار ما حدث في الوطن العربي بعد الازمة الخليجية بأنه اضاف للامة الاسلامية وابنائها وعيا جديدا ، بحيث لايمكن ان تبقى الانظمة الحاكمة في البلاد الاسلامية على صورتها الحالية من حيث الاستبداد والتفرد والغاء المعارضة وتعليق الحريات .

قسيمة اشتراك

الاشتراك السنوي

* بريطانيا (٢٥ جنيه)
* اوروبا (٣٥ دولار)
* بقية دول العالم (٤٥ دولار)

الاسم : .....
.....
العنوان : .....
.....
.....

يرجى ارسال الحوالة البريدية والقسيمة مرفقة بقيمة الاشتراك باسم : H . AL QURAISH

على العنوان التالي : BM - BOX 957 LONDON WC 1N 3XX - UK

الجزيرة العربية

من هو المسؤول عن توريط بلادنا في الحرب

★ الحكومة السعودية موّلت بناء الجيش العراقي الذي يهاجم بلادنا ، وموّلت صناعة الصواريخ والأسلحة الكيمياوية العراقية التي تنهال على رؤوس مواطنينا الان .

★ أنفقت الحكومة على تمويل صدام حسين ١٨٠ مليار ريال ، وعلى الجيش ٣٠٠ مليار ريال ، وستنفق هذا العام ٥١ مليار ريال على القوات الأجنبية ، و ٣٧ مليار ريال لشراء المواقف المؤيدة ، و ١٥١ مليار ريال على الجيش .

★ حكومتنا تحارب دولة مسلمة حاكمها منافق تحت قيادة حكومات صريحة الكفر ، بل هي تمثل أئمة الكفر في عالم اليوم .

الحرب ، المصيبة التي دهيت بها بلادنا على حين غرة ، من المسئول عنها؟ صدام حسين .. الملك فهد ، ام الامريكان ؟.

* * *

يقول امام جامع الملك خالد بالرياض الشيخ عادل ان الحكومة تريدنا ان نعيش مثل الات التسجيل ٠ تضع الشريط ، وتضغط الزر ليخرج كلام من نوع ما ، وتبدل الشريط وتضغط الزر ليخرج كلام اخر هو نقيض الاول٠

صدام حسين الذي وصفه المسئولون و الصحافة في المملكة ، بانه سيف الاسلام وحامي حمى العروبة ، اصبح اليوم على افواه المسئولين السعوديين وعلى صفحات الصحف كافرا من اصله وفاسد التربية الخ٠

صدام الذي دفعت له الحكومة ١٨٠ مليار ريال (٥٠ مليار دولار) لتمويل حربه ضد الجارة المسلمة ايران ، ادار مدافعه فجأة الى صدور الذين مولوه وضخموه ولمعوا وجهه البائس ، يقول الحديث الشريف (من حفر حفرة لاخيه وقع فيها)٠

نعود لنتساءل ٠٠ من المسئول عن الحرب التي تاكل الاخضر واليابس ٠٠ أهو صدام حسين الذي امر قواته بغزو الكويت وتهديد السعودية ام هو فهد الذي بنى الجيش العراقي و مول صناعة الاسلحة الكيمياوية والصواريخ التي تهبط اليوم كالشياطين على مواطنينا وبيوتنا٠

ربما لم يكن فهد كشخص مسئولا ولا صدام كشخص مسئولا ، فاحدهما لو كان محل الاخر لما فعل شيئا مختلفا عما فعل صاحبه ٠ لو كان صدام ملكا في السعودية وهدد احد عرشه لاستعان بالشياطين وليس الامريكيين والامريكيات فحسب ، ولو كان فهد حاكما في بغداد لكان قد احتل الكويت وربما غيرها٠

ان روح التوسع وجنون السلطة اذا قيل انها السبب وراء غزوة صدام ، فهي موجودة ايضا في صلب النظام السياسي السعودي وليس بعيدا عنا قصة البريمي وجنوب تهامة واخيرا قصة الجزيرة الكويتية الصغيرة قاروه التي ارسلت الحكومة السعودية قواتها لاحتلالها في العام الاسبق ١٩٨٩ في عز العلاقة الطيبة بين الكويت والسعودية ، وسكتت الكويت حينها رهبا وسكتت السعودية لانها كانت تريد انجاز الامر دون كلام٠

المسؤول ليس بالقطع صدام او فهد كاشخاص ٠ المسئول الحقيقي عن الحرب وما سيترافق معها من مصائب هو الحكم الفردي والاستبداد وانعدام المعارضة والمحاسبة٠

ان الذي جعل صدام يغزو الكويت وجعل فهد يستدعي مئات الآلاف من القوات الاجنبية التي تسيطر اليوم على كل شيء في بلادنا هو عدم خشية اي واحد منهما من المحاسبة والعقاب ٠ لقد اتخذ كل منهما قراره في غياب اي احد يعارض او يحاسب او يناقش او يحتج او يبحث عن البدائل الاصح٠

التفرد بالقرار:

القضية المركزية هي انهما – صدام و فهد – مستبدان برايهما ، وكل واحد بمفرده او مع مجموعة صغيرة من الاتباع قادرون على اتخاذ اي قرار مهما كانت تأثيراته ، ومهما كانت ابعاده ، وهما يعلمان حق العلم ان ايا منهما لن يطاله اي اذى جراء قراره ، ولن يجد من يحاسبه او يخالفه او يحمله مسئولية نتائج القرار٠

ان المسئولين في دول العالم الديمقراطية لايتخذون قرارات بهذا الحجم من التاثيرات والابعاد الا بعد استشارات موسعة تشمل جميع القوى السياسية في البلاد موالية او معارضة ، حتى تكون القرارات الحكومية في القضايا الكبرى صادرة عن اجماع وطني ، ويتحمل مسؤليته الجميع ، بل واذا ظهر ان القرار لم يكن صائبا وخلف تأثيرات سلبية على البلاد فان المسئول الذي وقعه يتحمل مسئوليته بشجاعة ويستقيل من منصبه لافساح المجال امام الاخرين الاكثر كفاءة وقدرة على حمل المسئولية٠

اما حين يكون القرارا في اصغر الامور كما في اعظمها رهنا بارادة شخص واحد لا يسأل عما يفعل ولايحاسب على صنع يديه فانه سيشعر بانه مطلق الحرية في التصرف في البلاد ومن عليها وماعليها من بشر وحجر دون ان يناله اي انعكاس سلبي لقراره ، وان احدا لن يتجرأ حتى على سؤاله لماذا ٠ وحينها فانه لن يتأخر عن القيام باي شيء واتخاذ اي قرار حتى لو كان

نتيجته القاء البلاد واهلها في البحر او في النار ، وهذا ماسيحصل الان في هذه الحرب وبعدها.

بعض النتائج :

يجب ان نقول بصراحة ان الملك فهد ومعه عدد قليل من الامراء قد ورطوا البلاد في حرب طاحنة ستاتي بمصائب يعلم الله حجمها على كل المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وستستمر نتائجها الى مابعد انتهاء الحرب سنين طويلة ، لقد اتخذ الملك قرار الحرب بعد ان اغلق اذنيه عن كلام الناصحين واراء المشيرين المخلصين من اهل البلاد ومن الاشقاء في العالم العربي والاسلامي . وهذه بعض الامثلة على المصائب التي ستتحملها البلاد نتيجة هذا القرار الفردي :

١- الدمار الذي سيلحق بالمناطق المدنية والاهالي على الحدود وحتى في عمق البلاد بعد ان وصلت صواريخ العراق الى العاصمة ومدن البترول في المنطقة الشرقية ، وكذلك المصيبة الجديدة التي نتجت عن ضخ البترول الى مياه الخليج والذي يقول الخبراء انه سيقضي على الحياة البحرية وستبقى اثاره لعدة عشرات قادمة من السنين.

٢- تدمير الجيش السعودي في معركة غير متكافئة ، تستهدف بصورة محددة المحافظة على هيبة الامريكيين ومصالحهم وليس حماية الاراضي السعودية ، لقد انفقت الحكومة على هذا الجيش مايزيد على ٣٠٠ مليار ريال - ٨٠ مليار دولار - خلال السنوات العشر الماضية من اموال الشعب ، وهاهو الان يتورط في معركة غير معركته الحقيقية من اجل تدميره والانجرار الى الاعتماد الكلي على القوات الامريكية وقوات حلف الاطلسي.

٣- سيطرة الامريكيين والاوروبيين على مقدرات البلاد خاصة مع كثرة مايصدر هذه الايام من تصريحات عن السياسيين الغربيين مفادها انهم يريدون ابقاء بعض قواتهم في البلاد بعد انقشاع ازمة الخليج من اجل ضمان مصالحهم وللحيلولة دون عودة اختلال موازين القوى الاقليمية ، وهذا يعني بالعربي الفصيح انهم سيبقون كقوات احتلال بعد الازمة لا كقوات مساندة

كما يطيب للملك فهد ان يسميها الآن.

٤- الفساد الذي سيستشري في البلاد مع تواجد مايزيد على نصف مليون من الجنود والجنديات الامريكيين والاوربيين الذين اعتادوا في بلادهم على حياة التحلل والميوعة والخلاعة واحتقار القيم الدينية (الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب) .

٥- استنزاف الثروة الوطنية التي كان احرى ان توجه الى انماء البلاد ورفع حالة الفقر والمسكنة التي لاتزال سمة الحياة لعدد غير قليل من اهل البلاد ، واذا كانت تلك الاموال التي تصرف الان على القوات الاجنبية ولرشوة الدول التي ساندت استقدام هذه القوات سياسيا واعلاميا هي من نوع الفوائض المالية مثلما قال احد السفراء فقد كان احرى ان توجه الى المسلمين الفقراء في العالم . ان هناك من ابناء الاسلام في شتى الاقطار ملايين يموتون من الجوع او المرض ويكبر اطفالهم دون ان تتاح لهم فرصة تعلم الكتابة والقراءة فضلا عن بقية العلوم ، ودون ان يتمتعوا في طفولتهم بثوب جديد او ينامون في فراش دافيء بسبب الفاقة والفقر.

لقد انفقت الحكومة على تسليح صدام حسين ٥٠ مليار دولار - ١٨٠ مليار ريال - حينما هاجم ايران ، وانفقت حتى الان على القوات الامريكية والاوربية المرابطة في البلاد ٥١ مليار ريال - ٥ , ١٣مليار دولار - وانفقت على شراء المواقف المؤيدة ٣٧ مليار ريال حتى الان ومن المقرر ان تنفق على تسليح و تعويض الاسلحة المفقودة للجيش ١٥١ مليار ريال - ٤٠ مليار دولار - في هذه السنة ١٩٩١ فقط ، ويعلم الله الى اين ستنتهي هذه المصروفات ، حيث يعتقد الكثيرون ان الغربيين لن يتركوا البلاد الا بعد ان تكون على الحديدة وتكون مصادر ثروتها مرهونة لتسديد الديون لسنوات طويلة قادم.

هذه بعض النتائج التي يمكن رصدها الان لقرار الملك فهد باستقدام القوات الاجنبية وتوريط البلاد في هذه الحرب التي لا هدف لها سوى حفظ المصالح الامريكية والغربية في البترول والاسواق والنفوذ السياسي .

راية الكفر :

ان الادهى من ذلك ان السعودية تقف اليوم في صف واحد مع رؤوس الشياطين في العالم ومع اسرائيل ، صفا واحدا ، بلاد المقدسات وقفت مع اليهود والنصارى في مواجهة المسلمين الذين على رغم انهم في موقف الظالم ، وتحت لواء حاكم لايهمه من الاسلام سوى استخدامه في بناء وترسيخ سلطته واستبداده ، الا انه يبقى مع ذلك اهون واقل خطرا وشرا من القتال تحت راية الكفر الصريح وبقيادة الحكومات التي استعمرت بلادنا الاسلامية واذلت المسلمين وسرقت ولاتزال ثروتهم وافسدت حياتهم ووضعت العراقيل في وجه تقدمهم العلمي والحياتي . لانعتقد ان احد يشك في حقيقة ان واشنطن وحلفاءها يمثلون اليوم جبهة الكفر الصريح بل ان هذه الجبهة يتزعمها ائمة الكفر في العالم ، والله تعالى يقول (فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم).

هل كانت كل تلك المصائب ستحصل لو ان القرار السياسي ولاسيما في القضايا الكبرى كان محل مشورة ونقاش على المستوى الوطني ، وهل كان ذلك سيحدث لو كان هناك من يحتج ويعارض ويحاسب ؟.

هل كان ذلك سيحدث لو كانت هناك احزاب سياسية تعمل بحرية وكانت هناك صحافة حرة تكتب بحرية وتعبر عن آراء الناس حتى فيما يخالف رأي السلطة ؟

وهل كانت تلك المصائب ستنهمر علينا لو كان في بلادنا دستور يحدد صلاحيات الحاكم ومسئولياته وبرلمان يتمثل فيه الشعب يناقش القرارات قبل اصدارها لاسيما في القضايا المصيرية التي من شانها ان تؤثر في حاضر البلاد ومستقبلها على جميع الاصعدة ؟

بالطبع لا..

ان تلك المصائب هي النتيجة المباشرة للتفرد بالسلطة وجمع كل الصلاحيات في يد شخص واحد او اشخاص محددين هم الملك وعدد قليل من الامراء والاتباع ، وعدم وجود من يحاسب ويعارض ويعاتب ويطالب بالعقاب.

وهذه المصائب هي بعض نتاج التفرد بالرأي والقرار والدكتاتورية في الحكم وربما ياتي في المستقبل ماهو اعظم ، والله العاصم.

وتجاه ذلك فان مسئوليتنا المباشرة .. مسئولية كل فرد في البلاد ان يعارض الاستبداد والتفرد وان يطالب بالمشاركة في القرارات التي تهم البلاد.. حاضرها ومستقبلها امنها وحياة ابنائها.

يجب ان نعارض استفراد شخص واحد او عدد محدود من الناس بالتصرف في بلادنا ومصائرنا ، ولانكون كقطيع من الغنم يسوقه الراعي الى المسلخ وهو لايدري الى اين يسير.

ان معارضة الاستبداد هي شيمة اهل الاسلام والنابهين والعقلاء من الناس

حرب الخليج .. إمتحان صعب لن تخرج منه العائلة المالكة سالمة

قصّة عمود الخيمة الملكية الذي انهدم

حمزة الحسن

سقط منذ زلزال الثاني من اغسطس عمود الخيمة السعودية .. سقط الحكم من عيون الناس في الداخل والخارج ، ولم يعد بامكان المال ولا القمع والضرب بيد من حديد ولا حماية الاجانب ، ولا حتى فتاوى وعاظ السلاطين الكثر ، لم يعد بامكان كلّ هذا رفع العمود بعد ان تهاوى وتكسّر .. واذا كانت العائلة المالكة قد نجت من العديد من التحديات في العقود التسعة الماضية ، فانها هذه المرّة تواجه تحدياً من نوع جديد ، أعطى مفعوله السريع في تدمير احدى أهم قواعد الحكم التي بنى آل سعود عليها أمجادهم ، وهي سمعتهم الدينية .

خلال العقود التسعة الماضية ، نجت العائلة السعودية المالكة من امتحانات حقيقية ، دون ان تتفتّت قاعدة الحكم الأساسيّة وإن اصابها الاهتزاز وتعدّدت الشروخ .

بعض هذه الامتحانات العسيرة كانت تعود الى تغيّر في الأوضاع الاقليمية ، وما نتج عنه من خلافات ، كالخلاف مع عبد الناصر ، او مع عراق عبد الكريم قاسم او حتى البعثيين .. او كالخلاف (على ومع) اليمن بشطريه قبل الوحدة .. او كالخلاف مع ايران ما بعد الثورة ، والخلاف مع ليبيا ، وهكذا .

وقد استطاعت العائلة المالكة الخروج بأقل الأضرار ، وذلك باحتواء الجبهة الداخلية قبال التحديات الخارجية بالعزف على وتر محاربة الشيوعية ، كما حدث مع عبد الناصر وغيره .. او بالعزف على الوتر الطائفي كما حدث مع ايران .

وبعض الامتحانات الأخرى كانت افرازاتها داخلية ، حيث قامت انتفاضات وثورات وانقلابات ، بدأت بثورة الاخوان ، في اواخر العشرينات ، وتكررت في نوفمبر ١٩٧٩ بقيادة جهيمان ، ثم تمرّدات قبيلة الريث في الجنوب في اواسط الخمسينات ، وتمرّد الشيعة في المدينة المنورة في نفس المدّة ، وانتفاضتهم في المنطقة الشرقية في اواخر ١٩٧٩ .. وشهدت البلاد تمرّدات متواصلة في الجيش في الاربعينيات بقيادة المنديل ، والخمسينيات بقيادة المرحوم الشمراني ، وتمرّد الطلبة العسكريين في الطائف ، ثم جاء انقلاب القوة الجوية عام ١٩٦٩ ، وتلاه انقلاب الشميمري في اواسط السبعينات ، وعدّة انقلابات اخرى في بداية الثمانينات .

كلّ هذه الثورات والتمردات ، استطاعت العائلة المالكة قمعها ، او على الاقل إخمادها الى حين ، بعنف قلّ نظيره ، يعضدها في ذلك شبكة الاستخبارات الاميركية التي افشلت الكثير من الانقلابات .

كما استطاعت العائلة المالكة الى حدّ ما تحجيم شقّة الخلاف بين صفوفها ، والاتفاق على مواجهة الخطر المشترك ، وعلى عدم تكرار تجربة الملك سعود مع أخيه الملك فيصل ، رغم ان الخلافات لا تزال تعصف باجنحة الحكم حول تقاسم (الغنيمة) .

المهم في كل هذا ان العائلة المالكة في الرياض نجت من مواقع خطر متعدّدة ، بفضل القمع ، والمال ، والاستخبارات الداخلية والاجنبية - وبالخصوص الاميركية - ، كما استطاعت الحفاظ على جزء مهم من سمعتها الدينية في الداخل والخارج ، وكان هذا هو الرصيد الأهم للعائلة المالكة .

بكل وضوح ، العائلة السعودية المالكة تواجه محنة ما واجهتها في سابق الايام ، منذ الغزو العراقي للكويت وستستمر حتى بعد انتهاء الحرب .

ان الذي حدث هو انهدام لأسس عديدة من أعمدة الحكم الملكي السعودي ، وليس مجرّد الأصابة بشروخ في البناء كما حدث في الماضي .

لقد خسرت العائلة المالكة في الشهور السبعة الماضية الكثير من سمعتها الدينية القائمة على دعاوى خدمة الحرمين الشريفين ، والتي تشكّل إحدى أهم الركائز التي يستند عليها النفوذ السياسي السعودي خارجيا ، والتي هي في الواقع الغطاء الشرعي للحكم في الداخل .

لقد افتضحت العائلة المالكة بشكل لم يكن له نظير ، ولا نظنّ انّ ما خسرته حتى الآن يمكن تعويضه ، او تغطيته بالنفط الأسود ، او إعادة المكانة والدور المفقودين بالقمع او بأيّ وسيلة اخرى .

حين يسقط الحكم من العيون ، ويتهاوى من القلوب ، لا يرفعه المال ولا الضرب بيد من حديد ، ولا دعم الأجنبي ، ولا تلميع الأعلام وباعة الأقلام والضمير ، ولا حتى الفتاوى التي تُشترى من هذا وذاك .

تأثيرات الداخل

على صعيد الداخل ، كان المواطنون فيما مضى ، يغضّون الطرف عن فساد العائلة المالكة ، وتلاعبها بالحكم والثروة .. وكان الشعور السائد لدى عامّة القوم وبعض خاصتهم ، هو ان الحكم الملكي الذي قام على نهج غير قويم من الشرع والدين ، لازال حكما قويا باطشا جبارا ، يضرب بيد من حديد ، ويكسر الرؤوس والاضلاع .

كان الكثير من المواطنين مخدوعون بهذه القوة ، وبالاعلام العالمي الذي اتفق على دعم الأسرة المالكة ، وأسبغ عليها الشرعية الدينية والسياسية ، وأطنب في شرح انجازاتها .. وكان النفط يغطّي سوءات الملوك والامراء ، ولم تكن الحاجة الى التغيير واضحة ، ولا الشعور بأهميته متبلوراً ، لأن البعض كان يتوقع ان مقاليد الأمور كانت بيد أمينة .

ومنذ زلزال الثاني من اغسطس ، تفجّرت الجروح ، وانتبه النائمون والمخدوعون ، وزالت هيبة السلطان من نفوس الناس ، وشعر الجميع ان وضعهم كأفراد ، وكشعب ، وكوطن ، معرّض للانهيار بين لحظة واخرى .

استفاق المخدوعون ليسمعوا أصواتاً في الداخل والخارج تتحدّث عن الفساد المستشري والتلاعب بثروات الأمّة على صديق الأمس صدّام ، وعلى اليهود والنصارى ، وعلى الملذات السخيفة والموبقات .

انفلتت الألسن من عقالها من هول الصدمة ، والذهول قد أصاب أصحاب العقل الراجح فكيف بالأناس العاديين .. الصواريخ التي اشترتها العائلة المالكة لضرب ايران ، ولحماية الوطن ، اصبحت تضرب في العمق السعودي .. في العاصمة ، وفي الظهران ، وفي الجبيل .. وكلّما تكشفت حقيقة صدام التكريتي ، كلما تساءل الناس عن سرّ نومتهم الطويلة في الماضي .

وكلّما تفنّن البعث العراقي في إيذاء الآخرين وفي التمادي في الجريمة ، عرفوا ان حامي الحرمين او خادمهما ، قد خدعهم وضلّلهم ، وتلاعب بثرواتهم .

استفاق المواطنون على عربدة اليهود والمجنّدات اللاتي جيء بهنّ لحماية عرش العائلة المالكة .. إنهم يرون اليوم بأم أعينهم ان البلاد تدار اميركيا ، ليس فقط في جانب الدفاع عن الوطن كما يزعم الزاعمون ، بل ان كل سياسة العائلة المالكة الاقتصادية والنفطية والخارجية وحتى الاعلامية والعسكرية تدار وفق المصلحة الاميركية البحتة .

اكتشف المواطنون انهم محكومون أميركياً ، وان بوش هو (خادم الحرمين الشريفين) ، وليس الملك وإخوانه ، الذين يوزّعون ثروات الوطن ويتلاعبون بمقدرات البلاد ، ويعرضون ابناءها للاخطار خدمة للمصالح الاجنبية .

تلك القوّة التي اعتاد وزير الداخلية ، نايف بن عبد العزيز ، على التهديد بها ، وذلك الجيش العتيد الذي يحمي ثغور الوطن وينفق عليه ربع الميزانية كل عام ، عرف الشعب حجم قوته ، وانها لا تخيف أحداً .

وحتى على الصعيد الديني ، وحتى لو أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز ، وكل أقطاب المؤسسة الدينية بشرعية تواجد نصف مليون اجنبي ، احتلوا البلاد ، وقرّروا الحرب خدمة لاسرائيل وتدمير شعب العراق وشعب المملكة ، وليس صنمهم القديم صدام التكريتي .. نقول حتى لو أفتى بن باز بشرعية هذا التواجد ، فإن تلك الفتاوى لم تعد تلزم الاّ من أفتى بها ، ولم يعد هناك أحد يعتدّ بها او يعيرها بالاً .. فلقد سقطت ورقة التوت التي تغطّي سوءات الامراء والملوك ، ولم يعد أحد يهتم بما يدّعى من شرعية حكمهم الباطل ، وها نحن وأنتم نسمع أصوات التنديد من مآذن الرياض وغيرها .

ان العائلة المالكة تستند على عمودين أساسيين في إسباغ الشرعية على حكمها ، أحدهما : الشرعية الدينية ، والآخر قوّة المال .

ولقد سقط الأول باستدعاء القوات الاجنبية التي حوت عشرات الألوف من اليهود ومن المجنّدات ، وفسح المجال لتعدياتهم على المواطنين داخل البلاد ، واسباغ الشرعية على كل افعالهم ، حتى اصبحت بلادنا تقرن باسرائيل !! .

أما العمود الثاني ، وهو النفط ، فقد كشفت الأزمة ، كم هو الغرب حريص على حفظ مصالحه في المنطقة في ظل المشيخات والعوائل المريضة الحاكمة ، التي أعطت الغرب في وقت الرخاء كل شيء حتى ينقذها عرشها وقت الشدّة .

رأينا بسهولة ، كيف ان الشيخ جابر والملك فهد ، يتبرعان بنصف تكلفة العملية العسكرية ضد العراق ، تماما مثلما تبرّعا لصدّام في حربه الأولى مع ايران ، وقد اعترف الملك بأن المملكة قدّمت اكثر من ٢٥ مليار دولار ، في حين قالت الصحف السعودية ان المملكة اعطت صدّام ٥٠ مليار لتمويل حربه المجنونة .

وكأنّ البلاد وشعبها والتلاعب بثرواتها بهذا الشكل الفجّ من التفريط ، لا يستحقون الالتفات من الملك واخوانه .. وقد قرّر الملك ايضا الغاء الميزانية هذا العام ، كما الغاها مرتين في السنوات الماضية بسبب تدميره لاسعار النفط بهدف الاضرار بالاقتصاد الايراني ، ونصرة صدام .

ان المال الذي كان يتدفق ولازال للغرب بالسهولة واليسر والسخاء الذي نراه بالأمس واليوم ، لم تنل البلاد العربية والاسلامية منه الاّ الفتات ، وحتى هذا الفتات كان محكوماً بمواقف سياسية ، الأمر الذي ادّى الى انقلاب الدول العربية والاسلامية على سياسة العائلة المالكة رغم تبجّحها بالدعم والفضل .

فقد تبيّن على سبيل المثال ، ان كلّ (ونكرّر كلّ) ما قدّمته السعودية لبلد مثل اليمن ، وهو بلد حصل على الكثير بالقياس مع الدول العربية الاخرى ، لم يتعدّ اربعة مليارات طوال السنين العشرين الماضية .. وان السودان ومنذ بداية الثمانينات ، لم تحصل الاّ على مليار من الدولارات ، وان سوريا حصلت على ملياري دولار ، وتونس حصلت على مليار ونصف المليار ، ومنظمة التحرير وطوال السنين العشر الماضية لم تحصل الاّ على نصف مليار دولار وهكذا .

انّ معرفة سرّ وقوف الآخرين ضد التدخل الاجنبي ، لم يكن لنصرة صدّام ، بل هو في احد اهم جوانبه مسايرة للضغط الشعبي الداخلي ، وكان الغزو فرصة لبعض الدول لتعلن عن امتعاضها من السياسة السعودية التي وضعت اموالها في بنوك الغرب ، ووهبت الاخير المليارات المجانية ، في حين تعيش الشعوب العربية في الفقر المدقع والأزمات المتتالية ، بل وفي المجاعات والحصار الاقتصادي الغربي حتى على القمح المدفوع ثمنه ، كما هو بالنسبة للسودان .

وبالنسبة للشعب في الداخل ، فان فورة النفط التي تلاشت بفعل انخفاض اسعاره افرز ازمات اقتصادية واجتماعية حقيقية ، وقد سبب هذا لغطاً في الاوساط الشعبية لا يزال هديره مستمراً ، وسيزداد كلّما أثرت حرب الخليج على الوضع الاقتصادي الداخلي ، وهو تأثير سيكون من الضخامة والتأثير الى حدّ يفوق كل التوقعات .

لهذا ، فان المراقب باستطاعته ان يرى في الوقت الحالي شروخاً واسعة في العلاقة بين الشعب والعائلة المالكة ، وسيتوضح حجمها وتأثيرها الحقيقي كلّما طال أمد الحرب ، وبعدها .

الحكومة من جانبها ، قد تسعى لامتصاص بعض النقمة والاستياء ، لكن ما حدث أعمق بكثير من كل هذا ، بحيث لا يفيد الترقيع ، بل الاصلاح السياسي الذي يطالب به الجميع بعد أن تبيّن ان آل سعود لا يستحقون ان يؤتمنوا على ما بأيديهم .. واذا كانت البلاد تخوض حرباً بحيث لم تتح فرصة للحديث والمطالبة المباشرة ، خاصة مع تهديدات نايف الأخيرة بإعدام المعارضين ، فإن الفرصة ستتسع بعيد الحرب ، وقد تنفجر الأوضاع من قبل الأوساط السلفية الرسمية قبل ذلك .

وحتى الآن فان هناك شعورا لدى المواطنين بان الحلّ السلمي لأزمة احتلال الكويت لم يعط فرصة حقيقية للنجاح ، بسبب قرارات مجلس الأمن المتشدّدة التي فرضتها الادارة الاميركية ، وبسبب التصاق حكومة المنفى الكويتية وكذلك الحكومة السعودية بالموقف الاميركي .. والذي لم يسع للحل السلمي بقدر ما كان يبحث عن انتصار ساحق يتعدّى الكويت ، يذلّ العرب ، ويدعم التواجد العسكري المباشر والسيطرة على المنطقة وتدمير الترسانة العراقية من الاسلحة .

في بداية الغزو كان المواطنون ممزقين

بين الخوف من صواريخ صدام الكيمياوية وتدمير مكتسبات البلاد الاقتصادية ، وبين شعور القوة الذي روّجه الاعلام الرسمي الذي كان يتحدث عن معركة قصيرة ، لن تكلّف البلاد شيئا ذا بال ، بشراً او مالا .

أمّا بعد أن شنّت الحرب من أراضي المملكة ، وتساقطت الصواريخ على رؤوس المواطنين ، وانتشرت بقعة النفط مهدّدة مصافي تحلية المياه بل وطاقات توليد الكهرباء ، ومع توقّع خسائر فادحة في المعارك البريّة .. وبعد ان أصبحت أهداف الحرب الأميركية تتعدّى مسألة تحرير الكويت ، لتحقق اهدافاً اميركية - غربية اخرى ، فإنّ الرأي العام المحلّي بدأ يميل نحو التغيير ، وراح الكثيرون يتساءلون حول ما اذا كان دخول الحكومة في الحرب وتمويلها لها ، كان خاطئا ، رغم علمهم بأن حكومة العائلة المالكة لا تحلّ ولا تربط ، فقد تجاوزتها الأزمة لتصبح (برغيّاً) اميركياً في ماكنتها .

ان المواطنين يتجرّأون اليوم بطرح العديد من التساؤلات مثل : هل يجب ان تتدمّر المنطقة كلها كثمن لتحرير الكويت ، ولكي يعود الشيخ جابر الى الحكم بأيّ ثمن ، ولكي يحقّق الاميركيون والصهاينة أهدافهم الخبيثة منها ؟ .. وهناك شعور بالامتعاض في الوقت الحالي ، بأن الحكومة تريد أن تضحّي بالبلاد ومصالح الشعب ، كما ضحّت بها في الماضي حين وقفت مع صدّام التكريتي .. حتى ان بعض المسؤولين من غير امراء العائلة المالكة يتمنّون ان لا يشترك الجيش السعودي في الحرب البريّة ، طالما ان البلاد دفعت ثمن الحرب مقدّماً ، وطالما ان الحرب قد تتخذ صفة الغزو لاراضي العراق واحتلاله ، وطالما ان الخسائر البشرية المتوقعة ستزيد النقمة على العائلة المالكة .

ويخشى بعض الكتاب السعوديين من ان تنفجر الأوضاع اذا بدأت الجثث السعودية بالتدفق نحو الداخل ، وأن يتسع الشعور بالمرارة ليصل الى الكويتيين وحكومة آل صباح نفسها .

سمعة الحكومة خارجيا

ان الجمهور الغفير الذي صفّق للعائلة المالكة في حروبها الطائفية في العقد الماضي ، والذي وقف الى جانبها مخدوعاً في حروبها الاعلامية مع الدول العربية طوال العقود الاربعة الماضية ، والتي اتخذت صفة الحرب الدينية وتغطّت بأستار الدين والدفاع عن بيضة الاسلام ومحاربة الشيوعية ، وخدمة الحرمين الشريفين .

هذا الجمهور الغفير من الشعوب الاسلامية والعربية ، ومن الشخصيات والمؤسسات والجمعيات الاسلامية ، تحوّل بشكل شبه كامل وعنيف ضد العائلة المالكة السعودية .. بعد ان استدعت الأجانب من اليهود والنصارى ، الى الأراضي المقدسة - وكل أراضي الجزيرة العربية مقدّسة - للدفاع عنها وعن حكمها .

إعلام العائلة المالكة فسّر الأمر بسذاجة ، انه راجع الى الحقد والحسد ، واحياناً التواطؤ مع صدّام من اجل الحصول على جزء من غنيمة الكويت المحتلة .

وحقيقة الأمر ، ان النفوذ السياسي لدى الحكومة السعودية والذي كان قائماً على شرعية النفط والتلفّع بستار الدين ، قد انكشفا بصورة جليّة لا لبس فيها ، ولا تحتمل التفسير .

الأغلبية الساحقة من المسلمين والعرب لم تؤيّد بعث العراق ولا زعيمه ، الذي اكتشفه الاعلام السعودي متأخراً ! ، حين

> الملك فهد أراد ترسيم الاذلال الاميركي للشعوب الاسلامية فوقفت ضدّه

غزا الكويت واحتلّها وقهر وقتل وشرّد وأذلّ أهلها .

المسلمون يعرفون صدّام وحزبه قبل الغزو وبعده .. ولكنّ اميركا حين دخلت المعركة ولأهداف لم تعد سريّة ، بحيث تتجاوز مسألة تحرير الكويت ، وبعد ان اصطفّ الغرب بجحافله وأسلحته التي يجرّبها اليوم على المسلمين ، لم يكن أمام الاخرين الا الوقوف مع العراق ، وليس مع طاغيته الذي دعمه فهد وجابر والغرب بأكمله من قبل .

لو كانت القضيّة مالاً ، لوقف السودانيون والموريتانيون وغيرهم من فقراء المسلمين ، مع السعودية ودول الخليج ، فهذه الأخيرة هي التي بيدها المال .

باختصار شديد ، ان العالم الاسلامي وقف ضدّ الغرب ، ولم يقف مع صدّام ، ووقف مع شعب العراق وليس مع مجرمه .

لقد أذلّ الغرب شعوب العالم الاسلامي ، متعمّدا ، منذ عهد الاستعمار وحتى اليوم .

وهذا الاذلال وتوق المسلمين للتخلّص من عدوانية الغرب ، وبالخصوص اميركا وبريطانيا ، اللتان لم تقفا موقفا نبيلاً في تاريخهما الحديث قبال العرب ، هو الذي جعل مواقفهم تتعارض ومصالح العائلة المالكة .. هذه فلسطين تهان ، وهذه مصر تنتهك وتدمّر بعد كامب ديفيد ، وهذا هو السودان يجوّع لأنّ الأسلاميين قبضوا على الحكم فيه ، وهذه ديمقراطية الجزائر والاردن مرفوضتان غربيا ، رغم ان الملك حسين ربيبهم ، لأن تلك الديمقراطية اوصلت ما يسمّونه بـ (الأصوليين الى الحكم) .

هذه الثروات العربية تسرق في وضح النهار ، وهذا هو اعلام الغرب يشتم ويهين العرب والمسلمين ، ويلصق بهم أحطّ وأقذر الأوصاف .

هذه ليبيا تضرب بالطائرات ، وهذه لبنان تحتل من قبل اسرائيل بدعم اميركا ، وتقصف بطائرات السوبر اتندار الفرنسية ، وهذا جنوب السودان يتعرّض لمحاولة سلخ من الجسد العربي ، وهاهم ثوار اريتريا العرب يسحقون بأسلحة الشرق والغرب ، ويموتون جوعاً كل يوم ، وهذه الحروب يشعلها الغرب في ديار المسلمين ليل نهار .

وبعد هذا يأتي الملك فهد بهؤلاء الذين يكرههم جميع المسلمين ، ويطلب من الشعوب ان تصفّق له وتؤيده ، ليس في تحرير الكويت فحسب ، بل وتدمير العراق وذبح شعبه ، دون المجرم الحقيقي صدّام التكريتي .

ان إذلال الغرب للعرب والمسلمين ومقدساتهم ، ومنعهم من التقدّم ، وتحكيم الديكتاتوريات والأنظمة العشائرية والقبلية عليهم ، وتقوية اسرائيل لتطحنهم بأسلحتها .. وان تشريع الملك فهد وترسيمه لهذا الاذلال باستقدام الاجانب ، هو الذي قلب الرأي العام بكلّ اتجاهاته ضده وضدّ من يؤيّده .

المسلمون يتوقون لجهاد الحكومات الغربية ، فلم يجدوا متنفّسا نفسيّا واعلاميا على الأقل ، الا في هذه الأزمة التي وضعت العائلة المالكة السعودية واسرائيل في خانة واحدة .

لا يتصورنّ احد بان شعوب العالم العربي والاسلامي مخدوعة بصدّام الذي كان وسيبقى مجرماً ، ليس لان الغرب وآل سعود قرّروا ذلك متأخرين بعد ان تمرّد عليهم ، ولكن منذ استلب السلطة ودمّر شعب العراق قبل غيره .

لقد حوصرت العائلة المالكة خارجيا ، وان القوة التي اعتمدت عليها في السابق لدعم موقفها الداخلي انقلبت عليها ، فالأغلبية المسلمة ضد اميركا وحزبها ، وهنا لا يسع المرء الاّ ان يكرر القول المأثور : رحم الله من جبّ الغيبة عن نفسه .

من يضع نفسه موضع التّهم ، إنّهم هو

الآخر .. وقد شاءت العائلة المالكة ان تضع نفسها موضع المتهم والمعاون للجريمة وللمجرمين الغربيين الذين أفسدوا ديار الاسلام ، وجعلوا شعوبها كالعبيد .

إن العائلة المالكة هي التي سمحت للاميركيين وشاركتهم بإرتكاب جريمة أكبر من جريمة احتلال الكويت .

هذا فضلاً عن ان الكثير من المفاسد والفضائح والمخازي التي انطلق عقالها من اعلام الغرب بُعيد الأزمة ، قد كشف نوعيّة العائلة المالكة وسوء خلقها ، ممّا لا يدع لأحد مجالاً في التحمّس والدفاع عنها .

ومن المتوقع ان يتقلّص النفوذ السياسي السعودي ، والتمدّد المذهبي الرسمي (الوهابي) القائم هو الآخر على المال ، بعد ان وقفت المؤسسة الدينية الرسمية مع الحكومة في أخطائها ، فشاركتها في خطيئتها .

وكان مراقبون ومحللون قد توقّعوا ان تتكفيء الحكومة السعودية على نفسها بعد الأزمة وانتهاء الحرب ، وان تعوّض ذلك بالعلاقة الخاصة مع الغرب ، خصوصا مع الولايات المتحدة الاميركية التي انقذت عرش آل سعود اكثر من مرّة ، كما وتوقّعوا ان تسعى دول الخليج الى تعزيز علاقاتها فيما بينها بوصاية اجنبية .

وتوقع صهاينة من معهد حيفا للدراسات الاستراتيجية ، ان تتطوّر الأمور الى حدّ إقامة علاقات بين السعودية واسرائيل وانهاء حالة الحرب الاسمية بين الطرفين ، واعترف احدهم بتاريخ ٢٥ يناير الماضي لاحدى شبكات التلفزيون البريطاني ، ان هناك اتصالات متكررة بين دبلوماسيين سعوديين واسرائيليين في واشنطن .. في حين قال شيمون بيريز لذات الشبكة بأنه ليست هناك مشكلة خاصة مع السعودية ، وتمنّى ان تقام العلاقات بين البلدين ، خاصة - يضيف بيريز - وان اسرائيل لم تأخذ ارضا سعودية ولا قتلت سعوديين !! .

خلاصة ما نريد ان نصل اليه ، هو ان سمعة العائلة المالكة ، دينيا وأخلاقياً سقطت وتلطّخت بالوحل في الخارج كما في الداخل ، وهذه السمعة كانت أحد اهم مصادر شرعية الحكم السعودي .. وسوف يؤدي هذا الى خلل في علاقة العائلة مع الشعب ، والى انكماشها على نفسها ، وتضاؤل تأثيرها على صعيد العالم العربي والاسلامي لصالح دول اخرى بينها ايران وسوريا ومصر ، وربما برز دور اليمن الموحّد ايضا .

لن تخرج العائلة المالكة من هذه الأزمة (سالمة غانمة) مستورة العيوب ، طاهرة الذيل .. كما في الماضي . واذا وعت حقيقة الأزمة التي تعيش فيها ، فان الجدير بها ان تعرض حكمها على جرّاحين ، فلعلّ وعسى يفيد الترقيع !! .

تحدّ حقيقي يواجه المؤسسة الدينية في السعودية

التكيّف مع المتغيّرات او يتجاوزها الزمن

إذا لم تستجب المؤسسة الدينية الرسمية للتغيير ، فسيتجاوزها ، شأنها في ذلك شأن العائلة المالكة .

ولا يُقصد بالتغيير بالنسبة للمؤسسة الدينية ، تجاوز مباديء الاسلام وتعاليمه ، كما يتصور البعض .. بل ان ما نقصده التالي :

أولا - إعادة النظر في فهم بعض تعاليم الاسلام ، وإعادة دراستها ، ودراسة الأحكام المترتبة عليها . فمثلا ، كان علماء نجد الأوائل يحرّمون التلفون والتلغراف والسيارة والدراجة ولبس العقال وغير ذلك .

ويبدو ان بعض هذه المسائل قد جرى تجاوزها .. وهناك مسائل اخرى ملحّة سببها اطلاق الاحكام بدون فهم او تمحيص ، ومثال ذلك سواقة المرأة للسيارة ، الذي لا يوجد دليل شرعي او عقلي يؤيّده ، وإنما جاء كاجتهاد وفق حسابات خاصة للأوضاع المرحليّة ، والصراع مع التيار الداعي للتغيير .. وكان يجب عدم اطلاق الحكم ، واعتباره شاملا لكل مكان وزمان .

ثانيا - ان كثيرا من الاحكام التي يفتي بها بعض المشايخ ، لا تأخذ بنظر الاعتبار الواقع المعاش .. بل لا تراعي حتى مسائل علميّة لا جدال ولا نقاش حولها ، كإصرار الشيخ ابن باز على كفر من قال بكرويّة الأرض .. أو مسألة الصور والتصوير ، التي يحرّمها مشايخ المؤسسة الدينية الرسمية .. فمثل هذه الآراء والاجتهادات تبدي للناظر ان الاسلام لا يتوافق مع العلم ، بل ولا يتوافق مع العصر .. لأن هؤلاء فهموا الدين مجرّدا من الواقع ، وهنا تقع المشكلة .

بالطبع هناك من يرد بأنّ المطلوب الالتزام بالاحكام الدينية سواء توافقت مع العصر ام لم تتوافق .. وهناك من يردّ عليهم ان الاجتهاد مفتوح ، ولكن لا يحقّ لاحد احتكار تفسير احكام الدين ، بحيث يعرضه بالصورة المتشدّدة المنفرة .

إنّ أهم الأمور التي سببت المشاكل هذا الاحتكار المأساوي للفتيا ، حيث يقوم المفتون بفرض آراء واجتهادات تعيق المجتمع وحركته الفكرية والثقافية والسياسية بحجج ظاهرها الدين وباطنها الاستبداد والظلم والاعتداء على حقوق الناس ومصادرتها .

ثالثا - وعلى صعيد الممارسة ، فان الاسلام يدعو للحوار والنقاش والجدال بالتي هي احسن ، انه يدعو الى استخدام الحجّة والاقناع والعقل ، ويدعو الى الرفق في الدعوة اليه ، وينهى اتباعه عن التطرّف والغلو في المسلك وفي الرأي .. وللأسف الشديد فان أحدا لا يستطيع ان يدافع عن مسلك المؤسسة الدينية المتشدّد في الدعوة ، وقد أدّى هذا العمل الى تنفير الناس وإبعادهم عن الدين .

يُحكى ان إعرابيا قرأ أمام الحجاج بن يوسف الثقفي : إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيتَ الناس يخرجون من دين الله أفواجا ! .

فردّ عليه الحجاج : بل يدخلون في دين الله أفواجا .

لكن الاعرابي ردّ بشجاعة فقال إنّهم يخرجون بعد أن تولاّهم أمثالك ! .

ان ممارسة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يصحبها الكثير من الأخطاء والتجاوزات ، وممّا يجعل الاصلاح ذا أهمية كبرى ان ذلك يجري باسم الدين والاسلام والقرآن .. بإسم الله ورسوله ! .

وكمثال حاضر وواضح على هذا ، ذلك المنشور الذي وُزّع في شوارع الرياض ومدن المملكة الاخرى الذي يصم فيه النساء اللاتي تظاهرن من أجل السماح لهنّ بسواقة السيارات ، بـ (المومسات الداعرات) ! .

ان مثل هذه الالفاظ ما كان يجب ان تظهر ، بل يجب ان يحاسب عليها قائلها ومروّجها باعتبارها قذفاً ، يستحقّ المسؤول

عنها ان يقام عليه الحدّ الشرعي ، بغض النظر عن اختلاف الرأي حول جواز سواقة المرأة للسيارة أم لا .. وبغض النظر عن أنهنّ يجب أن يعاقبن أم لا .

ان صفة الصلاح ضرورية لمن يدّعي الصلاح ، بحيث لا يقوم بارتكاب إثم وجريمة أشدّ من الجريمة التي جاء ليحاربها ويعاقب غيره على ارتكابها .

رابعا - فكّ الارتباط بأجهزة الدولة ، ذلك ان أكثر المشاكل والماخذ التي تؤخذ على مشايخ المؤسسة الدينية الرسمية ، انما جاءت من هذا الباب .

هذا الارتباط العضوي بالمؤسسة السياسية ، دفع الناس لتحميل بعض رجال الدين فوق ما يحتملونه .. ان الكثير من المواطنين يحمّلون المؤسسة الدينية أخطاء الحكومة والعائلة المالكة ومفاسدها وأخطائها الشائعة ، وهناك آخرون يحمّلون الحكومة وزر المؤسسة الدينية وأخطائها .

إن تأثير الارتباط بالحكومة هو الذي جعل رجال الدين في نجد على الاقل يتغاضون عن باطلها وخطيئاتها ، وهو الذي جعل العائلة المالكة سادرة في غيّها وضلالها ، وهو الذي جعل الدين والاسلام لعق على ألسنة الامراء يحوطونه ما درّت معايشهم .

الارتباط بالعائلة المالكة سوّد صحيفة رجال الدين ، وأضعف شعبيّتهم ، وجعلهم أداة بيد مَنْ لا يخشى الله ولا رسوله ولا عباده الصالحين ، يكفّرون بها من يشاؤون ، ويستخدمونها ضدّ طلاّب الاصلاح والصلاح ، ويغطّون بها على سوءاتهم وعوراتهم .

لماذا تقوم القيامة على سواقة المرأة ، فيعلو الصراخ والبكاء والنشيج ، ولا نسمع صوتاً معارضاً لليهود والمجنّدات الاميركيات اللاتي جيء بهنّ لحماية عرش العائلة المالكة ؟! .

لماذا تقوم القيامة ضد شخصيّات دينية ، ورجال دين ، حول أمور اجتهادية ، بينما تبيح المؤسسة الدينية احتلال البلاد من قبل القوات الأجنبية ، بحجج تفنّن آل سعود في تقديمها للمشايخ لتنال رضاهم .

لماذا نتحدّث عن الفساد في الشوارع ، ونتغاضى عن القصور التي تمتلىء بالفجور ، وبينما مدن الاميركيين المغلقة في الظهران ، يُباح فيها كل شيء ، ونكرّر (كل شيء) ؟ .

لماذا الخوف من التغيير ، وندافع عن حكم لا يرتبط بأيّة قاعدة أو أساس في السياسة الاسلامية .. هل نسينا - مثلا - ان الحكم الملكي الوراثي مخالف لأهم مباديء الدين ؟! .

كل هذا تتجاهله المؤسسة الدينية ، في حين تشغل نفسها بحليّة وحرمة التصوير ، وبكروية الارض ، وبالشارب الطويل والثوب القصير ، عمّا عداها من أمور تكاد تقلب البلاد رأسا على عقب .. انها تنسى رؤوس الدّاء ، وتنسى غزو الكفار ، وتنسى تضييع ثروات الأمّة على القمار والفجور ، وتنسى الاعلام الحكومي الذي لا يعلّم الشعب قيمة للدين ولا لاحكامه .

لمَ كل هذا .. وهل يبرّر التحالف مع الحكومة تناسي الكبائر ، وإشغال الشعب بالصغائر والتوافه التي يختلف حولها رأي العلماء انفسهم .

إننا نرى الان أن القيامة لم تقعد بعد بشأن سواقة النساء ، في حمّى الصراع مع دعاة التغيير والاصلاح ، متجاهلين خطر وجود الاميركيين ، ومتجاهلين عشرات الألوف من جيشنا وشعبنا الذين سيحترقون في حرب هدفها خدمة مصالح الغرب ، والسيطرة على ما بين ايدينا من ثروات ، وكأنّ الذي كانوا يأخذونه لم يكفهم بعد !! .

هل توقّف مصير الشعب اليوم على سواقة المرأة للسيارة من عدمه ، في حين ان جذور الفساد ضاربة أطنابها في كل ركن من اركان البلاد ، وفي كل مؤسسة من مؤسسات الدولة ، وفي كل قصر من قصور الامراء وحاشيتهم ؟ .

هل كُتب علينا الانشغال بمحاسبة الناس حين يطالبون بحقوقهم التي شرّعها الاسلام ، وفي ملاحقة (الحداثيين) ، ومطاردة الناس بالعصي في الشوارع من اجل الصلاة او حلق الشعر او ما اشبه ، وكأنّنا لا نعي ماذا يحاك لنا بين ظهرانينا ؟ .

ان المؤسسة الدينية بحاجة الى إعادة نظر في أولويات اهتماماتها ، والى اعادة النظر في احكامها المطلقة الجاهزة ، والى اعادة النظر ايضا في طرق ممارسة الدعوة الصحيحة الى الاسلام ، والى مراجعة مع الذات ، خوفا على الاجيال اليانعة من الشباب الذين تضيق بوجههم سبل الخير والفضيلة ، في حين تُشرع امامهم لذّات الدنيا ونعيمها وزخرفها وباطلها .

واذا ما عجز العلماء عن وضع البديل الصالح الخالي من التشنّج والتطرّف والمعاملة غير الحسنة ، فانهم عمّا قريب سيعضّون اصابع الندم ، ان لم يكن قد عضّوها بالفعل ، وسيحاسبهم ربّهم يوم القيامة حسابا عسيرا على ما فرطوا في ذات الله ، وعلى ما ضيّعوا من شباب المسلمين وعامّتهم ، وعلى انصياعهم لرغبات أمراء همّهم كرسيّ ملكهم العضوض ، بتصدير الفتاوى والتعامي عن الباطل ، والسكوت عن الحق ، وتبرير فظائعهم ، وتجاوز خطاياهم ، والاشادة بهم وتحبيبهم للناس ، واسباغ الشرعية عليهم .

لقطة ظريفة

طيار يسقط طائرتين بحرينيتين !

بعد يوم واحد من اعلان السعودية والقوات الحليفة لها عن إسقاط الطيار السعودي عايض الشمّري طائرتين عراقيتين ، ونشر على شاشات الكمبيوتر الخاصّة بطائرته .. قالت وكالة الانباء الفرنسيّة ان الطائرتين اللتين أسقطتا إنما هما طائرتان بحرينيتان ، من طراز ف - ١٦ تسلّمتهما من الولايات المتحدة ضمن صفقة تسليح عام ١٩٨٨ ، انطلقتا لمهاجمة اهداف عراقية في الكويت .

وقد تكتّمت حكومة البحرين على الخبر ، وبلعت سمّ الدعاية خوفاً من تلويث الانتصار السعودي .

ويبدو ان هذا هو احدى انجازات (الجنرال) خالد بن سلطان ، قائد القوات العربية والاسلامية المغوار !، والذي ربما اراد الاسترخاء ، وسلّم زمام الحرب والدعاية لها وأحال حتى شرطة المرور على التقاعد المؤقت ، ليتولّى الاميركيون المهمّة .

أطرش في الزفّة .. لا نسمع لجيشه المهيب ، ولا لسلاحه الذي يهدّد به اي دور ، اللهم الاّ لفئات من الحرس الوطني التي اثبتت شجاعتها النادرة في حرب (الخفجي) ! ، بالتعاون طبعاً مع قوات قطر الباسلة التي لا يزيد عدد سكانها عن ربع مليون انسان .

لقد استند الأمير الجنرال على القوات (المساندة !!) ، وأصبح الجيش السعودي أقل (المساندين) في الحرب الاميركية الحالية .

ربّما يضع الاميركيون القوات السعودية والخليجية (المساندة) في فوّهة المدفع ، ويقدّمونها طعماً أولياً في الهجوم البري الذي يتوقع ان يتم خلال ايام قلائل .

وربّما أفسح المجال للحرس الوطني السعودي ليقتحم الألغام العراقية ليدفع ضريبة حرب الاميركيين المفروضة على البلاد وأهلها .

الهجوم المسلّح ضدّ الأميركيين في جدّة

نُذر الخطر تعصف بالداخل

هل يمكن ان يعدّ الهجوم المسلح والذي وقع في جدّة مساء السبت الموافق للثالث من فبراير بادرة تحوّل خطير بالنسبة للوضع الأمني في المملكة العربية السعودية .

لقد تعرّضت حافلة تقلّ عسكريين أميركيين وسعودي واحد الى هجوم بالرشاشات ، وقال مسؤول سعودي معقّبا بأنّ الحادث ثانوي ، لا أهميّة خاصّة له .

ومع ان الكثير من وسائل الاعلام ألمحت الى ان السلطات العراقية كانت وراء الحادث .. ومع ان السلطات السعودية قالت انها اعتقلت مرتكبي (الجريمة) .. مع هذا فإنّ أغلب الاحتمالات تشير الى أنّ الحادث محلّي بحت ولا علاقة له بأيّ جهة خارجية .

ومن يتابع الأحداث في المملكة السعودية عن قرب ، يدرك بسهولة ان مثل هذه الأعمال كانت متوقعة منذ أشهر عديدة .. منذ استدعاء الملك فهد للقوات الاميركية والبريطانية ، والذي فتح المجال واسعاً امام حدوث أعمال العنف المسلّحة .

وكان يمكن للمراقب للوضع السعودي الداخلي ان يتوقّع هذا الفعل ، وهو يرى الغليان الشعبي العنيف ، خاصّة في الأوساط الدينية ، التي لمست آثار التواجد الأجنبي على الارض ، حين انطلقت مظاهرة النساء المطالبات بقيادة السيارات ، وما تلاها من تشنّج واضح ، وحملة مركّزة على القوات الاميركية .

ومع ان الحكومة كانت حريصة على تهدئة الخواطر ، وانساقت مع التوجّه الديني الرّسمي وقراراته وفتاواه بشأن السواقة .. من أجل امتصاص النقمة العارمة ، الاّ انّها كانت تدرك بأن الوضع على حافّة الانفجار .

حاولت العائلة المالكة منذ البداية وضع المؤسسة الدينية الرسميّة تحت إبطها ، تدعمها بشرعيتها ، وتبرّر لها التواجد الغربي ، الذي قالت انه بعيد عن الاماكن المقدّسة بمئات الكيلومترات (وقد كشفت الحادثة المسلّحة في جدّة ان العسكريين الاميركيين لا يبعدون سوى خمسين كيلومتراً عن مكّة المكرّمة) .. وكان واضحا ان مشايخ المؤسسة الرسميّة قد بدأوا حملة توجيهية للشباب بشكل عام ، تدعوهم الى عدم التسرّع في الردّ على التواجد الاجنبي ، وطالب هؤلاء في خطاباتهم بأن يستشيروهم قبل البدء بأيّ عمل ينوون القيام به .

غير ان الأوضاع تجاوزت مشايخ المؤسسة الرسميّة ، والذين اصبحوا متّهمين بالليونة والارتخاء وممالأة العائلة المالكة .. وأصبح الكثيرون لا يثقون بالشيخ عبد العزيز بن باز ولا بغيره .. بل لحق الاخير الكثير من الاتهامات والتقريعات والطعن في مواقفه من الغزو الاميركي .

ان وجود قوّة دينية سلفيّة شابّة ، مبتعدة عن توجيه علماء البلاط كان نذير شؤم وخطر للحكومة السعودية .. التي كانت بلا شك قد أدركت ان زمام الأمور أخذ بالانفلات السريع من يدها .. وكان بيان الأمير نايف بن عبد العزيز ، وزير الداخلية ، قبيل اندلاع الحرب مع العراق واضحاً بأنّ وراء الأكمة ما وراءها .

لقد هدّد نايف المعارضين ، والمخلّين بالأمن بالأعدام والمجازاة الشديدة (أيّاً كان هؤلاء) ، بمعنى ان العقاب لن يستثني أحداً ، وفي هذا إشارة الى التيار الوهابي القوي في نجد بالخصوص ، بأنّ الحكومة لن تقبل ايّ تحرّك من افراده ، حتى ولو احتموا بمشايخ السلطة انفسهم ، وهو امر كانوا يفعلونه فيما مضى ، كما دلّت على ذلك حادثة جهيمان الشهيرة ، في نوفمبر ١٩٧٩ .

الحكومة توقّعت ان يحدث إخلال بالأمن ، ليس من قبل العراق وإنّما من الداخل .. لأنّ السعوديين لم يكونوا حتى أيام التحالف مع صدّام يثقون به .. وكانت احترازاتهم الأمنية في هذا الجانب واضحة ، وليس هناك عراقيون في المملكة الاّ عشرات الافراد ، وهم إمّا دبلوماسيون ، او معارضون لصدّام احتواهم الحكم السعودي منذ سنوات .

والحكومة اخذت جانباً من احتياطاتها بالنسبة للمواطنين العرب الآخرين (اليمنيين ، الفلسطينيين ، الاردنيين) وأغلب هؤلاء يبحثون عن لقمة العيش ، وان كانوا متأثرين ـ كغيرهم ـ بما يجري في المنطقة الخليجية .

الخطر بالنسبة للحكومة السعودية كان داخلياً ، ومؤشّرات ذلك واضحة للعامّة قبل الخاصّة .. لا أحد يحبّ صدام أو يؤيده ، ولكن الأغلبية من الشعب أيضاً لا تقبل بالتواجد الأميركي المهين للكرامة .

ويبدو ان استباق وزير الداخلية الأوضاع بالتهديد لم يفتّ في عضد المعارضين للقوات الاميركية والغربية الاخرى .. فوقعت حادثة جدّة ، وهي حادثة لن تكون الأخيرة ، مهما بلغت سطوة الأمن ، ومهما قدّمت أجهزة الأمير نايف القمعية من مكافآت وأموال ، لأن هيبة الحكم سقطت سقوطاً مريعاً ، وهذه هي احد أهم الأسباب في عدم اعتناء الناس بالتهديد الحكومي .

قالت وزارة الداخلية معلّقة على حادثة جدّة المسلحة التي اصابت العسكريين الاميركيين بجروح طفيفة .. (تهيب وزارةالداخلية بجميع المواطنين وجميع المقيمين المخلصين ان يتعاونوا مع سلطات الأمن بابلاغها فوراً عن أيّة معلومة او ظاهرة يرونها جديرة بالاهتمام ، مع المحافظة على سريّة المتعاونين في هذا المجال .. وستقدّم الدولة مكافأة ماليّة سخيّة لكل من يرشد الاجهزة الأمنية الى ما فيه الحفاظ على سلامة وأمن البلاد وحماية المواطنين من عبث العابثين) .

وحذّرت وزارة الداخلية بأن كل من تثبت إدانته بمحاولة تقويض أمن البلاد قد يواجه عقوبة الاعدام .. وأضاف البيان : (لن نسمح اطلاقا لكائن من كان بالاعتداء على مواطن او مقيم بأيّة وسيلة او اسلوب ، وسوف نضرب بشدّة على يد كل من تثبت ادانته بالقيام او الاسهام في أي عمل من أعمال الشغب والتخريب او الاعتداء على الأرواح والممتلكات تطبيقا لتعاليم الشريعة الاسلامية) .

الحكومة السعودية تدرك ان الكثيرين تدرّبوا على السلاح في افغانستان ، وهم يتدرّبون الآن تحت غطاء محاربة صدّام ، وأنظارهم متّجهة الى العائلة المالكة والجنود الاميركيين الحامين والمدافعين عنها .

حادثة جدّة المسلّحة ليست منفصلة عن مجرى الأوضاع في البلاد ، فمن يعرف بداية الطريق الذي مشت فيه الحكومة ، يدرك الى اين سينتهي بها .. والحادثة قد تتكرّر كلّما طالت الحرب ، وكلّما شعر المواطنون بوطئة الجنود الأجانب ، والعاقل من اتّعظ بتجاربه وتجارب غيره !! .

فصل طلبة وإهانة آخرين لمعتقداتهم الدينية

أفادت مصادر مطلعة ان طالبين سعوديين من كلية الطب التابعة لجامعة الملك فيصل بالدمام ، فصلا من الدراسة وهما في السنة الخامسة ، لأنّهما ينتميان الى الطائفة الشيعية في البلاد .

الطالب خالد ابراهيم الممتن ، الحامل للبطاقة الطلابية رقم (٨٦٤٠٤١) ، ومصطفى طاهر ابو زيد (بطاقة رقم ٨٦٤٠٣٩) ، فصلا من الدراسة بقرار رقم ٢٨١ / ٣٧ ، ومؤرخ في الرابع عشر من ١٩٩٠ ، ولم يوضح القرار سبب الفصل سوى انه أشار الى انتهاكات انظمة وقوانين الجامعة ! .

هذان الطالبان هما في السنة الخامسة من دراستهما الجامعية ، وبين افضل الطلبة في الدراسة ، واكثرهم تقدّما .. وقد تقدّما بشكوى لدى المسؤولين ، ولكن دون جدوى .

في جامعة الملك سعود بالرياض ، يُسأل الطلبة الشيعة من قبل بعض استاذتهم : ما الفرق بين الشيعي واليهودي ؟! .. وما هو موقفه من استدعاء القوات الاجنبية ؟ .. واذا لم يتبنّ الموقف الرسمي فانه يرفض ، وقد رُفض الكثيرون بالفعل من دخول الجامعة ، بغض النظر عن معدّل الدرجات المرتفع .

وفي نفس الجامعة ، وبعد الغزو العراقي للكويت ، والذي كان يأمل منه الجميع ان يلئم الجراح التي فتحتها السنون الماضية بسبب دعم الحكومة لصدام التكريتي .. سأل احد اساتذة المواد الدينية ، وفي اول محاضرة له ، ما إذا كان هناك طلاب شيعة في الفصل .. ونصحهم بأن لا يأتوا للدراسة ، وان يحذفوا المواد ، لأنّهم لن ينجحوا ، اي أنّه قرّر منذ البداية ان لا ينجحوا ، وفي هذا امتهان للعلم والكرامة .

وكما يبدو ان العائلة المالكة مشغولة كما في السابق ، إمّا بدعم صدّام او بمحاربته .. ولهذا فهي تركت الأمور بيد المتعصّبين لأهانة شريحة واسعة من الشعب (٢٠ - ٢٥ ٪) في كل مجال من مجالات الحياة .. وقد تمّ في ديسمبر الماضي حرق مسجد (الامام الحسين) في الدمام على يد نفس الشريحة بعد ان صبّ افرادها البنزين في داخل المسجد واشعلوا في ربوعه النار ، حسبما قال شهود عيان ، وهذه ليست المرّة الاولى التي يتمّ فيها حرق مساجد الشيعة ، او تدميرها (مسجد ابو رشيد جرف في بداية الثمانينات بالتركتورات في الدمام) .

هؤلاء المتعصبون الذين تركت الحكومة لهم الفرصة للعبث بأمن الناس ومقدساتهم وتهديد ارواحهم يستثيرهم وجود مسجد للشيعة ، ولكن تواجد القوات الاجنبية ، قد لا يعني الشيء الكثير لهم .. فالأولوية للحرب المذهبية التي أججتها العائلة المالكة وإعلامها ومفتيها .

وزير الداخلية يفرض رقابة على تصريحات ولي العهد

يبدو ان ازمة الخليج قد اضافت وقودا الى نار الصراع المزمن على السلطة بين الاجنحة المختلفة في العائلة المالكة السعودية ، فثمة تساؤلات كثيرة عن موقف الجناح الاخر المستبعد الى حد ما ، جناح الامير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد الذي يقال انه ليس راضيا عن الطريقة التي قاد السديريون السبعة – الملك واشقاؤه من امه حصة السديري – بها البلاد خلال الازمة ، ونقل عن اوساط قريبة من الامير عبد الله شكواه من استبعاده عن اتخاذ القرارات المهمة المتعلقة بالازمة ، وقيل ان عددا من القضايا تم حسمه في جلسات مصغرة ضمت الملك الى بعض اشقائه وابنائهم ، ولم يدع الامير عبد الله او احد انصاره للمشاركة في النقاش.

ويقال ان ولي العهد احتج على هذا الامر بمقاطعة الاجتماعات اللاحقة التي عقدها كبار الاسرة لمتابعة الازمة ، كما انه لم يخف في مجالسه تذمره من الطريقة التي يتصرف بها اخوانه في ادارة البلاد . وبسبب احاديثه المتكررة عن عدم رضاه على الوضع فقد اعطى الامير نايف وزير الداخلية تعليمات مشددة الى الصحف ومكتب الاعلام العسكري بعدم نشر اي تصريح لولي العهد او اي بيان عن الحرس الوطني وهو الجيش الخاص بالامير عبد الله مالم يكن صادرا عن وكالة الانباء الرسمية ، كما طلب من القسم المختص بمساعدة الصحفيين الاجانب في وزارة الاعلام عدم اصطحابهم الى ديوان ولي العهد ، او اعطاءهم فرصة الحديث الى انصاره البارزين ، وفي وكالة الانباء السعودية ذاتها عين الامير نايف مراقبا للاخبار يتبع مباشرة مكتب وزير الداخلية ومهمته مراقبة الاخبار والتصريحات المتعلقة بالازمة قبل نشرها ، وله صلاحية تعطيل نشر اي خبر بما فيها تصريحات الملك وارجاعه اولا الى وزير الداخلية قبل اجازة نشره.

وفيما يتعلق بالتغطية الصحفية لانباء الحرب ، فقد كانت بعض الصحف تخطط لتواجد مباشر في الخطوط الامامية و مع قادة القوات المتعددة الجنسيات الذين يعقدون مؤتمرات صحفية يومية تقريبا ، لكن تعليمات خاصة صدرت بان تريح الصحافة نفسها من هذه المهمة التي كلف بها فريق اعلامي خاص يوزع التقارير والانباء على الصحف ، كما ان التقارير التي يعدها محرروا الصحف ذاتها والتي لها علاقة ولو من بعيد بالازمة يجب ان تمر على رقابة مسبقة يقوم بها في بعض الاحيان رقيب خاص من وزارة الداخلية ، وفي احيان اخرى رؤساء التحرير الذين يقال انه طلب منهم التاكد من كتابات محررين معينين بصورة قطعية قبل اجازة نشرها لانها تحوي على شيء من الغمز واللمز الذي يشك وزير الداخلية في خلفياته ومعانيه.

وقد ادى قرار وزير الداخلية بمراقبة تصريحات ولي العهد الى احتجابه بشكل شبه كلي .وسائل الاعلام بحيث لم ينشر له الا القليل جدا من التصريحات عن الازمة خلال الاسابيع الثلاثة التالية لانفجار الحرب في السابع عشر من يناير الماضي ، مما اثار التساؤلات في البلاد عن موقف الامير عبد الله وانصاره ومدى مشاركتهم في السلطة حاليا.

احتجاجات على اعتقال العزاز

وجهت منظمات دولية لحقوق الانسان رسائل الى الملك فهد تستنكر استمرار اعتقال الصحفي المعروف الاستاذ صالح العزاز ، وتطالب بالتعجيل في اطلاق سراحه ، وكان من بين المنظمات التي وجهت رسائل الجمعية الامريكية لحرية الصحافة ، ومراقبة حقوق الانسان في الشرق الاوسط التابعة لهيئة مراقبة حقوق الانسان في العالم ، واتحاد الصحفيين لحماية حرية التعبير.

وكان العزاز قد اعتقل في نوفمبر الماضي لاتهامه بتحريض النساء على مطالبة الحكومة بالسماح لهن بقيادة السيارات ومنذ ذلك الوقت احتفظ به رهن الاعتقال في زنزانة انفرادية ولم يسمح له بمقابلة اي من افراد عائلته ، كما لم يحدد ماذا كان سيعرض على محكمة ام لا.

وكان من المعتاد في الماضي ابقاء المعتقلين لاسباب سياسية في زنزانات انفرادية ومنع الاتصال بهم لفترة قد تطول الى نصف عام حتى تنهار مقاومتهم ثم يجبرون على الادلاء باعترافات مزيفة تستخدم كدليل ادانة ضدهم حينما يقدمون الى عسكري يرتدي دشداشة (ثوب عربي) خاكية اللون باعتباره القاضي حيث يجبر المتهم على التوقيع على انه اعترف امام المحقق بما نسب اليه وانه مدان بالتهمة المعنية ومن ثم يعتبر الحكم قطعيا ويحال الى السجن . او يطلق سراحه مع تعهد بان ما ادين به ثابت عليه وانه اعترف على ذلك ، وتبقى هذه الاوراق كوسيلة لابتزازه في المستقبل.

وهذه هي المرة الثانية التي يعتقل فيها العزاز ، وكانت المرة الاولى في عام ١٩٨٢ وكان وقتها رئيسا لتحرير صحيفة اليوم التي تصدر في الدمام بالمنطقة الشرقية ، وعند اعتقاله الاخير كان يعمل رئيسا لتحرير مجلة تجارة الرياض التي تصدرها غرفة التجارة والصناعة في العاصمة ، وهو من الكتاب البارزين في المملكة ، ومن الداعين لاصلاح النظام السياسي القائم ، والنشطين في مجال الدفاع عن حقوق الانسان.

الطلاب السعوديون في اميركا والنشاط السياسي

أصدرت الملحقية الثقافية السعودية في اميركا تعميما للطلبة السعوديين يتضمّن نصائح وتحذيرات من الاحتكاك بالاميركيين نتيجة لأوضاع المنطقة .. وقد احتوى التعميم على توصيات تستهدف ابعاد الطلبة عن ممارسة اي دور سياسي ، منها :

★ يفضل عدم الاكثار من متابعة الأخبار - أخبار الحرب الخليجية - لأنها تزيد من انشغال الذهن .

★ ينصح بعدم اجراء اي مقابلات تلفزيونية او اذاعية او صحفيّة في الوقت الحاضر .

★ تجنّب التجمعات والمسيرات العامّة .

★ يفضل عدم الاحتكاك بالآخرين ، او الدخول في نقاش معهم حول الاوضاع في الخليج .

وكان عدد من الطلاب السعوديين قد انتهزوا فرصة ازمة الخليج لشرح حقيقة الاوضاع في بلادهم ، مسلطين الأضواء على الحاجة الماسّة الى تغيير في النظام السياسي ، وعلى الانتهاكات الخطيرة لحقوق الانسان هناك .

صحيفة (أتلانتا نيوز) الصادرة في ١٦ / ١ / ١٩٩١ ، اجرت حواراً مع مجموعة من الطلبة السعوديين في مدينة اتلانتا ، تحدثوا فيه عن آرائهم فيما يجري بالمنطقة ، وتأثيراتها على الاوضاع السياسية والاجتماعية .. وقال احدهم ، وهو منصور الباشا : (ان الأزمات ستظل تعصف بالمنطقة إذا لم تعالج قضيّة الحريّات والديمقراطية فيها .. فهنالك يوجد اكثر من صدّام واحد) .

وفي مقابلة لجريدة (بوست بولتن) الصادرة في منسوتا ، قال السيد علي عباس ، عضو الاتحاد الطلابي من اجل الديمقراطية في السعودية ، ان هناك استياءً عاماً لاستمرار انتهاك الحكومة السعودية لحقوق الانسان ، واضاف بان العديد من الطلبة السعوديين قد اعتقلوا بعد رجوعهم من اميركا بتهمة ممارسة نشاطات سياسية معارضة في الخارج .

واضاف علي عباس (ان التواجد الاميركي في السعودية جعل الاعلام الاميركي متحفظاً في الحديث عمّا يدور داخل السعودية ، مع معرفته بالكثير من الحقائق والمظالم التي ترتكب هناك) .

لقد شعرت السفارة السعودية في واشنطن ، بالحرج من الكتابات الكثيرة التي تتحدث عن فساد العائلة المالكة وممارساتها ، وما يجري على يديها من انتهاكات صارخة بحق المواطنين ، خاصة اذا جاءت هذه الكتابات من مواطنين سعوديين .. لهذا ارسلت اليهم التنبيه والتحذير .

وكان العديد من السعوديين قد ساهموا في كتابة المقالات في صحف نيويورك تايمز وواشنطن بوست و وول ستريت جورنال ، اضافة الى صحف الولايات المحليّة .

كتب الاستاذ محمد حسن صديق ، وهو مواطن سعودي من المدينة المنورة ، مقالا في جريدة (اوماها ورلد هيرالد) حول حقوق الانسان في السعودية يقول : (ان اثبات وجود حقوق الانسان في بلد ما ليس بالشعار وانما بالممارسة الفعلية ، وفي السعودية لا توجد اي وثيقة حقوقية مدنية او سياسية ، ولا انتخابات حرّة ، وان الاحزاب ممنوعة ، والاعلام مراقب من قبل الحكومة) .. واضاف بان الاستقرار السياسي هو موضع تساؤل في بلد يقمع النظام فيه الحريات ، ولا توجد فيه حكومة شعبية منتخبة .

وكتب مرّة اخرى في نفس الصحيفة مقالا بعنوان : (لماذا تساعدون السعودية) استعرض فيه وضع النظام السياسي هناك ، وشبّهه بأنظمة العصور القديمة ، وتساءل : (لماذا تساعدون حكومة مخالفة لرغبة الناس ؟ فهل لوّث النفط المباديء ؟) .

وكان محمد حسن صديق قد فرغ لتوّه من كتابه الثالث عن السعودية باللغة الانجليزية حمل عنوان : (آلام مواطن سعودي) ، وسبق ان ألّف كتابين آخرين وباللغة الانجليزية ايضا ، هما : (الأمير يفسد بلادي) ، و (بلادي ضحيّة الجهل والاستبداد) .

الديكتاتورية أشعلت الحرب

نظّم الحزب الاشتراكي البريطاني ندوة تحت عنوان (الدكتاتورية في البلاد العربية والنضال من أجل الحريّة الحقيقية) .. وذلك في يوم الاربعاء الموافق للثلاثين من يناير ١٩٩١ في قاعة (رويال أوك) في لندن .. وقد استضاف الحزب ممثل اللجنة الدولية للدفاع عن حقوق الانسان في الخليج والجزيرة العربية .

وقد ألقى ممثل اللجنة كلمة حول أزمة الخليج الحالية وما يمكن ان تؤدي اليه في مجال حقوق الانسان واحترامها في المنطقة ، وقال بان الفرصة متاحة الآن لشعوب المنطقة لتطالب بالتغيير بسبب الخلخلة في الأوضاع ، واشار الى ان الدول الكبرى ، وبالخصوص الولايات المتحدة التي هبّت لنجدة حكم العوائل المالكة في الخليج ، يتحتّم عليها إن هي أرادت ان تحفظ مصالحها فيها ، خاصة السعودية ، ان تبادر بنصح الأمراء والضغط عليهم من اجل ايجاد حالة من الانفتاح السياسي ، واحترام حقوق الانسان ، واطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، وفسح المجال للمشاركة الشعبية في الحكم .

وقال ممثل اللجنة الدولية للدفاع عن حقوق الانسان في الخليج والجزيرة العربية ، ان العديد من المنظمات الدولية المهتمة بالدفاع عن حقوق الانسان ، أدانت الحكومة السعودية مراراً وتكراراً لانتهاكاتها الصارخة بحق المعتقلين السياسيين ، واشار الى تقارير منظمة العفو الدولية الكثيرة والمفصّلة ، وأورد نماذج من حالات الاعتقال ، وكيف ان الضمانات القانونية غير متوفرة لهم .

وخلص ممثل اللجنة الى ان الأنظمة الديكتاتورية في السعودية والكويت والعراق وغيرها هي التي أشعلت الحرب الحالية ، وهي التي أتاحت الفرصة للولايات المتحدة الاميركية وغيرها للقفز بجنودها الى تلك الانحاء لحماية ما تسمّيه (بمصالحها) .. وأنه ما لم يكن هناك هامشاً من حريّة الرأي يمنع انزلاق الحكام الديكتاتوريين في مغامراتهم العسكرية ، فان أكثر من مجرم وديكتاتور سيظهر ليخلخل الأمن والاستقرار .

الجزيرة واخبار مكة

يصدر الاتحاد الطلابي من اجل الديمقراطية في السعودية نشرة اخبارية مرتين كل شهر تتابع الاحداث الجارية في المملكة العربية السعودية ، وتسلط الضوء بشكل خاص على الموقف الشعبي من ازمة الخليج ، وقد وصلنا العدد السابع من النشرة التي اتخذت لها اسم (الجزيرة) و الذي صدر في مطلع الشهر الجاري.

كما وصلنا التقرير الخبري الاسبوعي الذي يصدره المكتب الاعلامي لمنظمة الثورة الاسلامية باللغة الانكليزية ويغطي بالاضافة الى اخبار البلاد متابعة لما ينشر من تحقيقات و تصريحات حول المنطقة وعرض لنشاطات المنظمة على الصعيد الاعلامي.

السعودية تحت المجهر الأميركي

★ هجوم بالفؤوس وقضبان الحديد على حفلة أقامها فرنسيون في الرياض

★ إعتقال عدد من الغربيين ، والأمير سلمان يطلق سراحهم .

★ المطاوعة يلقون باللائمة على الاميركيين في تخريب الأوضاع الاجتماعية

★ زيادة أعداد المارينز لحماية السفارة الاميركية بالرياض خوفاً من تعرّضها للهجوم .

تخضع المملكة السعودية في الوقت الحالي ، لمجهر دقيق من قبل عدد كبير من رجال المخابرات الاميركية ، والذين يتواجدون في الوقت الحالي في الاراضي السعودية ، امّا ضمن القوات ، او ضمن الموظفين العسكريين ، او هم يختبئون في زيّ الاعلاميين الذين لم تتح لهم فرصة مفتوحة كهذه التي وفّرتها أزمة الخليج ، هذا غير اولئك الذين يتغطّون بأردية الدبلوماسية في الرياض والظهران ، حيث القنصلية الاميركية ، او المستشارين او حتى الخبراء العاملين في المجالات المدنية .

السعودية تحت المجهر منذ زمن .. هذا لا شك فيه .. ولكنها في هذه الأيّام الحرجة اكثر تعرّضا للتشريح والمراقبة .

بعد الغزو العراقي للكويت دخلت المنطقة منعطفا تغييرياً حاداً ، وحدث تحوّل واضح في اتجاه الرأي العام المحلّي ، حيث بدأت بعض القوى السياسيّة المعارضة تطلّ برأسها ، وأخذت الظواهر الاجتماعية غير المعتادة تشقّ طريقها في الأرض السبخة غير آبهة بكل المحاذير .

هذا التحوّل الداخلي ، فضلاً عن الاقليمي الذي يجري إعداد ترتيباته الامنية اميركيا ، تجري مراقبته خوفاً من انقلابه عنفاً ، ولمحاولة إحتوائه او توجيهه في الاطار الذي لا يعرّض المصالح الغربية للخطر .

وهذه الوثيقة الاميركية التي بين يديك - عزيزي القاريء - والصادرة من اللجنة السعودية الاميركية المشتركة للتعاون الاقتصادي ، تكشف جانباً من المراقبة والحذر والتحسّب للمستقبل .. وموضوع الوثيقة المثير يتعلّق بإحدى مغامرات التيار السلفي الذي بدأ يخرج عن نطاق السيطرة ، والذي استثاره التواجد الاجنبي المكثّف في البلاد .

جنة السعودية الأميركية المشتركة للتعاون الأقتصادي
يكور)
رياض - المملكة العربية السعودية
٢ نوفمبر ١٩٩٠

ديفيد هاريل
مدير مكتب برنامج العربية السعودية

عزيزي ديفيد ،،

في الآونة الأخيرة وقعت هنا بعض الحوادث الخطيرة ، تي لا بدّ من إحاطتك بها ، وهذه الامور لا تتعلق باللجنة سعودية الاميركية المشتركة للتعاون الاقتصادي ، أو بأحد ظفيها ، وإنّما هي إشارة لما قد يواجه الجالية الغربية في رياض في المستقبل .

خلفية الحدث

يشعر عدد من رجال الدين الأصوليين في المملكة بالضيق والغضب بسبب تواجد الموظفين الأميركيين هنا ، فهم يتصورون ان وجودهم يشكل تهديداً لقيمهم الدينية ومعنوياتهم ، ولا يفرق لديهم أن هؤلاء الغربيين والغير مسلمين ، جاؤوا الى بلدهم بدعوة من ملكهم فهد لحماية أراضيهم أم لا ، وهؤلاء الأصوليون مستعدون للاعتراض ، ولمواجهة العائلة المالكة في هذا الشأن .

وقد تمّ إبلاغ المطاوعة بعدم التعرّض والاصطدام بأي أحد من الشخصيات العسكرية إلاّ في حالة وقوع إنتهاكات صارخة (حسب علمي لم يحدث مثل هذا على الاطلاق) ، وهذا الأمر

إستفزّ المطاوعة كثيراً جداً جداً ، وقد بدأوا برد فعل على الموضوع .

ملاحظة : إنّ مظاهرة النساء السعوديات المطالبات بقيادة السيارة لم يساعد على تحسّن الأوضاع ، وقد ألقى المطاوعة باللائمة على الغربيين في هذا العمل غير المؤدب والفاحش ، وهم يتصورون انها مؤامرة للتأثير على المسلمين .

الحادثة رقم (١)

تقوم اللجنة السعودية الأميركية المشتركة للتعاون الاقتصادي بإقامة حفل عيد ميلاد المسيح (الكريسميس) في كل عام في مبنى السفارة الأميركية ، وقد اعلن عن هذا الحفل في نشرة خبرية تضمن الأعلان وقت الحفلة ومكانها .. وبطريقة ما وصلت الى ايدي المطاوعة ، وقد قدّموا شكوى الى أمير الرياض الذي استدعى هو الآخر الشيخ ابا الخيل الذي رفع بدوره شكوى الى السفير فريمان ، ثم تمّ إلغاء جميع حفلات الكريسميس سواء التي أعدّتها السفارة او (جيكور) .

الحادثة رقم (٢)

أقام خمسة من الرعايا الفرنسيين ، والتابعين للسفارة الفرنسية حفلة في فيلا تابعة لهم ، وقد حضرها جمع كبير من مختلف الجنسيات ، من الولايات المتحدة وبريطانيا والسعودية وفرنسا ، ووصل عددهم ما يقرب من عشرين رجل وعشرين امرأة .

وقد ارتفعت أصوات المحتفلين ، وقام أحد الجيران بإبلاغ المطاوعة ، فجاء أحدهم للاستقصاء والفحص خارج الفيلا ، فرأى عدداً من السيارات ، وسمع أصوات المدعوين الى الحفلة ، وهنا اتصل بأربعين من زملائه لتعزيز القوّة ومهاجمة الفيلا ، ثم قادوا سياراتهم الى البوابة الأمامية ، وحاولوا الدخول بالقوة ، ثم كسروا النوافذ بقضبان حديدية ، واستخدم احد المطاوعة فأساً لكسر البوابة الأمامية ، وعندما دخل الى الفيلا ، صادفه حيوان منزلي (كلب) ألماني ، فضربه بالفأس حتى الموت .. ووجهت لبعض المحتفلين الصفعات واللكمات والرفسات ، وضربوا ضرباً مبرّحاً .. وكان من بين هؤلاء (أميركي) ضرب بمضرب خشبي يستخدم في لعبة (البيس بول) ، كما رفس حتى فقد الوعي .

وتعرّض اميركي آخر للصفع ، وعندما حاول استخدام السكين ، جرّوه وهدّدوه .. وهناك اكثر من حادثة تهديد بوضع السكين على الرقبة (هذه الحادثة شوهدت ، وهناك شهود عيان ، لكن التفاصيل غير معروفة) .

وفي نفس اللحظات أخذ جميع الحاضرين الى مركز أمن المطاوعة (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، ثمّ تمّ فصل النساء عن الرجال ، ووضع النساء في غرفة ، والرجال في زنزانة واسعة (عنبر) .. وطوال الليل رُشّوا بالمياة الباردة بسبب حرارة الجو .. وأخيراً في صباح اليوم التالي أخذ الجميع

أبلغ احد المعتقلين السفير الفرنسي بالموضوع لأخذ رأيه بشأنه ، فما كان من السفير الاّ ان ذهب الى الأمير سلمان ، امير الرياض ، لتقديم احتجاجه لديه ، وعندما سمع الأمير بما جرى اغتاظ من المطاوعة ، ثم ذهب شخصياً الى قسم الشرطة ، وتوسّط للافراج عن الجميع .

ثم طالب السفيران الفرنسي والأميركي ، وأربعة سفراء آخرون بأن يتمّ عمل شيء لمنع تكرار مثل هذا الحادث مرّة اخرى ، وتمنّوا ان يصل الاحتجاج الى أرفع مستوى حكومي هنا وفي أماكن اخرى ، في حين احتجّ السفير فريمان لدى الأمير عبد الله .

ملاحظة : الحادثة رقم ٢ استقيت معلوماتها عن طريق المواطن الأميركي الذي ضُرب بمضرب الـ(بيس بول) . كما ان جون كينزي ، مسؤول أمن (جيكور) حضر الى السفارة ـ الأميركية ـ أثناء مناقشة المسألة .

الخلاصة

اجتمع الأصدقاء امس مع المشرفين في (جيكور) (لم يكن بين الحاضرين سعوديون) لمناقشة هذه الحوادث وما يجب ان يتخذ حيالها .

وكانت المحصلة النهائية من الاجتماع هي انه لا بدّ من زيادة الاستعدادات الأمنية ، وايضاً النفسية ، سواء من ناحية عدد الحرّاس ، او من ناحية الاجراءات الضرورية الأخرى .

(جيكور) ستستأجر المزيد من الحراس ، والسفارة طلبت تزويدها بمارينز مسلّح ، وبطاقات شخصيّة جديدة يعمل بها ، وايضا زيادة التفتيش عند الدخول وفي الممرات لمبنى (جيكور) وسيكون هناك تمييز اكثر بالنسبة لنوعيات القادمين .

ديفيد ، إنني اعتبر مثل هذه الوضعية مزعجة ومقلقة جداً ، اننا نستطيع ان نتفهم بأن الحادث كان منفصلاً ، ولكنه عنفي له علاقة بالأسلحة ، دون مراعاة لحقوق الانسان كـ(حادثة الماء) والتي تخالف وتناقض المسلك الاسلامي .

في الأوقات الاعتيادية فان الافراد ربما يقضون وقتاً في الحجز ، ولكن من المشكوك فيه انهم يتعرضون للضرب . وحركة الاصوليين من جانبها منزعجة متألمة .. والسؤال الان هو هل سيتكرر الحدث مرّة اخرى ، وهل هو حقاً حادث فردي منفصل ؟ .

ان ازمة الخليج تضررت بهذا بشكل حادّ ، وان ما جرى اصاب بلادنا ، ونحن لدينا عوائل يجب الاهتمام بها هنا او هناك ، انها اوضاع شديدة الوطأة ، وما جرى أضاف المزيد من الضغط .. محيط العمل متوتر ، ومحيط المنزل ليس بأفضل منه .

فريق العمل (مديحة ، بابلو ، ايلينا ، ديانا ، بوب ، جيم ، فريد ، وأنا) سنؤدّي عملنا بأفضل ما نستطيع ، وسوف نطلعك على المستجدات .

ريتشارد . ج . غارشيا

المراقبة السعودية للاعلام الخارجي قبل وبعد حرب الخليج

لم تستطع الحكومة السعودية بعد اشتعال حرب الخليج ان تسيطر على الاعلام المعادي لها ، وذلك بعد ان تحوّل إعلام الاصدقاء والاعداء الى أداة تكشف حقيقة نظام العائلة المالكة في السعودية .. لقد خسر آل سعود مصداقيتهم الدينية التي بنوا عليها سمعتهم طيلة العقود الماضية ، وكلّ ما يأمله هؤلاء هو منع تأثيرات الاعلام الخارجي من الوصول الى الداخل .

تتعدّى الرقابة السعودية على المطبوعات حدود المملكة السعودية جغرافياً ، لتشمل العديد من الدول المجاورة والصديقة ، وقد سبّبت هذه التدخلات مشاكل سياسية متعدّدة ، ليس مع حكومات هذه الدول فحسب ، بل ومع شرائح واسعة من المثقفين والكتاب من الذين يرون في التدخلات السعودية تضييقاً من هامش الحرية المتاح اليهم في التعبير عن آرائهم ، ويعدّون هذا التدخل ممارسة مخالفة لكل الاعراف السياسية والدبلوماسية ، القاضية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى .

حساسيّة تجاه الاعلام

ولا يخفي المسؤولون السعوديون حساسيتهم الشديدة تجاه كل ما يقال وينشر عنهم في الخارج .. ذلك ان نفوذ السعودية السياسي لا يعتمد فقط على مقدار ما ينفق من مال كمساعدات للدول المحتاجة والجمعيات المنتشرة في مختلف بقاع العالم مقابل ولائها، وإنما يعتمد أيضا على السمعة التي تصوغها أجهزة الاعلام حول الدولة السعودية وزعامتها الدينية المترتبة على وجود الحرمين الشريفين في أراضيها .

وما يريده الامراء السعوديون بشكل محدّد ، هو تطويع القوانين المحليّة للدول المجاورة والصديقة ، وفي بعض الاحيان في الدول المصنّفة كعدو ، بحيث يصبح التطرّق اليهم بالنقد او الانتقاص أمراً محرّماً ، حتى وان تمّ ذلك بشكل غير مكتوب .

واعتمد نجاح الامراء في سياستهم هذا على مقدار حاجة تلك الدول او الجهات الى المال السعودي .. فدولة كمصر ، ورغم أنها أكبر وأقوى دولة عربية ، لازالت ترضخ للضغوط السعودية لحاجتها الى الدعم لانعاش اقتصادها المريض ، وفي بعض الدول ـ كدول الخليج العربي ـ التي لا تحتاج ولا تتلقى أيّ دعم مادي ، فانها باعتبارها دولاً صغيرة وضعيفة من الناحية البشرية والعسكرية ترضخ للتهديدات حفاظا على أراضيها وسيادتها .

في الكويت ، قبل الغزو العراقي لها واحتلالها ، أغلقت مجلة (الطليعة) الاسبوعية مرّات عديدة ، ليس لأنها خالفت قانون المطبوعات الكويتي ، بل لأنها خالفت قانون المطبوعات السعودي ، وقد أشارت المجلة في معظم الأحيان ـ وبصراحة ايضا ـ بأن (الشقيقة الكبرى) ، والتي يقصد منها السعودية ، كانت وراء معاقبتها .. وينطبق هذا القول على صحف كويتية يومية عوقبت بالاغلاق لمدد تتراوح بين اليوم والاسبوعين للأسباب ذاتها ، مع ان معظم الصحف الكويتية ، كان لا يسمح لها بالدخول الى المملكة ، رغم ان الاتفاق الاعلامي بين البلدين يجيز إدخالها .. ويهمّنا ان نلفت النظر الى ان هذه الصحف لا يتعرّض معظمها الى الحكومة السعودية بالنقد ، ولكن توجهها وتعاطيها للأخبار والمواضيع العربية البعيدة عن الشأن السعودي ، لا يرضي الأمراء الحاكمين في الرياض .

ومجلّة (الأزمنة العربية) الصادرة في دولة الامارات العربية ، وبعد الحاح متكرّر من الحكومة السعودية بإغلاقها ، وبعد أن أوقفت مرّات متكررة . عُطّلت في بداية الثمانينات الميلادية ، واضطرت الى الصدور في لندن ، قبل ان تنتقل الى قبرص ، لتعود مرّة ثانية الى لندن بعد الاجتياح العراقي للكويت ، ولتصدر كل اسبوعين مرّة بعد ان كانت اسبوعية .

ويكرّر القائمون على هذه المجلّة ، وهم من المثقفين المعروفين ، ومن ذوي العلاقات الواسعة والحسنة مع بعض امراء ومشايخ الامارات ، يكررون اتهاماتهم للسلطات السعودية بأنها تريد خنق الأصوات ، ليس في أراضيها فحسب ، بل وفي أراضي غيرها .. كما ويتهمونها بأنه تقف بالمرصاد لأيّ تجربة ديمقراطية تقوم في دول الخليج ، وأنها كانت وراء (حلّ) المجلس الوطني في البحرين ، ومجلس الأمّة في الكويت .. وصار بإمكان المجلّة الآن ان تنتقد مواقف الحكومة السعودية على اكثر من صعيد ، بعد ان خرجت من نطاق الحصار والتقييد المفروض عليها في بلدها .

قوانين رقابيّة صارمة

ومعروف لدى المراقبين ، ان المملكة السعودية ، هي من اكثر دول العالم تشدّداً في السماح بإدخال الصحف والمجلات العربية والأجنبيّة الى اراضيها ، وهناك عشرات الصحف والمجلات الممنوعة .. والسعوديون هنا لا يشذّون عن أغلب الأنظمة العربية التي تمارس الأمر ذاته ، الاّ ان ما يميّز حكومة أمراء العائلة المالكة السعودية عن غيرهم ، هو أن قائمة ممنوعاتهم أطول بكثير من الآخرين ، حتى من أولئك الذين يشتركون معهم في الكثير من الخصائص السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، كأنظمة الخليج الاخرى مثلا .

قد يمكن للبعض تفهّم سبب رفض السعوديين لدخول بعض الصحف والكتب لأسباب أمنيّة ، او على أساس مخالفتها لسياسة الدولة ، أو لأيّة تبريرات اخرى ، كالقول بانها تتضمن تفسيرات مخالفة للدين الرسمي (الاسلام) والمذهب الرسمي (الوهابي) .. لكن المدهش أن أغلب الممنوعات لا علاقة لها بالسياسة السعودية ، ولا بالدين او المذهب ، ولا بإخلال الأمن والتشجيع على الاجرام .. وبإمكان المواطن السعودي ان يشتري عشرات الانواع من الكتب من دولة كالكويت او البحرين ، لكنه سيتعرض للاعتقال مدّة طويلة ، اذا ما حاول إدخال أيّ منها الى بلده ! .

مع هذا كيف يمكن تبرير محاصرة وملاحقة العائلة المالكة السعودية للكتاب ورؤساء الصحف والمثقفين في الدول الأخرى لمجرّد أنهم كتبوا شيئا لا يرضون عنه ؟ .

على سبيل المثال ، صدر في يناير ١٩٨٨ كتاب (رسائل جهيمان العتيبي ـ قائد المقتحمين للمسجد الحرام بمكة) لمؤلفه رفعت سيد أحمد ، الباحث في المركز القومي للبحوث الاجتماعية

والجنائية ، وذلك عن مكتبة مدبولي بالقاهرة ، الا ان السفارة السعودية بالقاهرة ، وبالتعاون مع الأزهر وأجهزة الأمن المصريّة ، تمّت مصادرة الكتاب من الاسواق ، وقرّرت أجهزة الأمن منعه من معرض الكتاب الدولي الذي أقيم في الشهر التالي (فبراير) .. مما أثار ضجّة كبرى في الأوساط الصحفية المصريّة ، وقد علّق المؤلف على الحادث بقوله : (لقد تمّت مصادرة كتاب مصري بأوامر خارجية قادمة من آل سعود) .. وأكدت صحف المعارضة المصرية تورّط السفارة السعودية ، من بينها صحيفة الأهالي في ١٩٨٨/٣/١٦ ، وصوت العرب في ١٩٨٨/٣/١٣ .

وفي ذات العام (١٩٨٨) ، اعتقلت السلطات الكويتية ، الدكتور خلدون حسن النقيب ، الاستاذ في قسم علم الاجتماع بجامعة الكويت ، لأنه ألّف كتاباً يحمل عنوان (المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية ، من منظور مختلف) ، والكتاب هو دراسة اكاديمية صادرة عن (مركز دراسات الوحدة العربية) ، ولا يحمل الاثارة ، وليس مخصصاً عن السعودية .. وقد سمح بإدخاله وتوزيعه في الأسواق المحليّة ، كما عرض في معرض الكتاب السنوي ، لكن وزارة الاعلام السعودية اتصلت بوزارة الاعلام في الكويت مبدية استغرابها واستفسارها عن اسباب السماح بتوزيع الكتاب في الكويت والذي (يحوي اساءة شديدة للحكومة السعودية والكويتية) على حد تعبير الوزارة السعودية .. وبعد ضغوط تمّت مصادرة الكتاب من المعرض المقام في (أرض المعارض) بمنطقة (شرق) ، وصودرت النسخ المتبقيّة منه في الأسواق .

والى هنا لم تكتف الوزارة السعودية بما تمّ ، بل طالبت باعتقال النقيب الذي (لم ينل جزاءه) ، فاعتقل بعد أيام من مصادرة الكتاب ، وتمّ استجوابه في مقر أمن الدولة ، ممّا أثار طلاب جامعة الكويت ، فقاموا باعتصام سلمي في الجامعة ، أسفرت نتيجته عن اعتقال أربعة طلاب .

ومن جهتهم أصدر أساتذة جامعة الكويت بيانا استنكروا فيه اعتقال زميلهم الاستاذ النقيب ، وكذلك فعل الاتحاد الوطني لطلبة الكويت ، وهو اتحاد يعمل تحت مظلّة الشرعية .. وفي النتيجة أدّى تدخل السعوديين الى وقوع صدامات بين حكومة الكويت ورعاياها لتحقيق طلبات دولة أخرى .

وكان الكاتب والصحافي البريطاني روبرت ليسي ، قد أمضى مدّة عامين على الأقل في البلاد السعودية لأعداد كتابه (المملكة) ، ومع ان الكتاب جدير بالثقة والاهتمام ، فانه لم يكن كتاباً نقدياً معارضاً ، بل هو الى وجهة النظر الرسمية في التعاطي مع حوادث التاريخ السعودي أقرب .. إلا ان وزارة الاعلام السعودية ، رفضت إدخال الكتاب ما لم يتمّ تعديله وفق مشتهاها .. وكتب المؤلف : (إني لأعرب عن

أسفي لقيام وزارة الاعلام - السعودية - بطلب إدخال تغييرات على مواد هذا الكتاب شعرت بأني غير قادر على القيام بها .. وتشير كل الدلائل ساعة كتابة هذه الأسطر الى أنه لن يسمح للكتاب بدخول المملكة ، ولكنني آمل بأن يشعر السعوديون الذين أصبحت تربطني بالعديد منهم علاقات صداقة ، بأنني كتبت - رغم كل هذا - كتاباً جديراً بثقتهم) .

ان المشكلة السياسية التي سبّبها إذاعة فيلم (موت أميرة) بين الحكومة البريطانية والعائلة المالكة السعودية ، الى حدّ قطع العلاقات بين البلدين ، هي نموذج آخر لحساسية هذه العائلة تجاه سمعتها ، الى حدّ يدفعها بالتدخل في خصوصيات وشؤون الآخرين ، لتملي عليهم ما يجب وما لا يجب نشره .. ولقد قال أمراء الأسرة المالكة بأن سبب معارضتهم للفيلم ، أنه شوّه (صورة الاسلام) ، والحقيقة ان تشدّدهم لم يكن الا بسبب ان الفيلم قدّم صورة واضحة لمجمل تصرفاتهم وأفعالهم التي يمجّها العقل السليم .. وقد قارن المسلمون رد الفعل السعودي البارد تجاه كتاب سلمان رشدي (الآيات الشيطانية) ، والرد الصلف على كتاب موت اميرة .

وكاد أمراء السعودية يكرّرون قطع العلاقات مع بريطانيا في منتصف اكتوبر ١٩٨٦ ، بسبب تقرير لسفير بريطانيا السابق في السعودية (السير جيمس كريغ) وصف فيه العائلة المالكة بأنها (غبيّة وفاسدة) .. وبعد اجتماع بين السفير السعودي في لندن ، الشيخ ناصر المنقور ، والسير جيفر هاو ، وزير الخارجية السابق .. نقل فيه الأول تهديد حكومته بقطع العلاقات .. بعد هذا قرّرت الحكومة البريطانية إتخاذ اجراء قانوني لمنع نشر التقرير ، ولأن الاجراء لم يكن قانونيا في حقيقته ، فان الحكومة توسّلت بالرجاء والالحاح بأن تمتنع الصحف عن نشر التقرير من تلقاء نفسها ، حفاظاً على مصالح بريطانيا في السعودية ، وقد التزمت الصحف الصمت ، الا ان صحيفة غلاسجو هيرالد ، نشرت في السادس عشر من اكتوبر ١٩٨٦ بعضاً من محتويات التقرير .

عقوبات صارمة

إنّ مقالاً واحداً في صحيفة أو مجلّة لا يعجب المسؤولين السعوديين ، قد يكون سبباً كافياً لحرمانها من دخول المملكة لسنين طويلة .. وهؤلاء المسؤولن يتخذون مواقف شديدة الحدّة تجاه من يقوم بذلك ، حتى بعد مرور سنين طويلة .. فمجلة الايكونوميست لاتزال غير مرغوبة لديهم ، لأنها نشرت دراسة تحت عنوان (Araby,s Lost Glory) في عددها الصادر بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٨٧ ، وكان ردّ فعل السعوديين عنيفاً غاضباً .

وصحيفة اللوموند الفرنسية التي منعت اكثر من مرة من دخول المملكة ، نشرت مقالا في ٢٣ نوفمبر ١٩٨٩ ، تحت عنوان (محكومو مكة) ، تعرّضت فيه الى إعدام ١٦ مواطنا كويتياً في السعودية ، وشكّكت في صحّة الحكم والاتهام المنسوب اليهم ، وحينها اتخذ قرار بمنعها من التداول والتوزيع .

أمّا الصحف العربية التي منعت وتمنع فهي اكثر من ان يشار اليها .

لقد اصبح ما ينشر في الدول الأجنبية عن السعودية ، موضوعاً ذا صلة مباشرة بالعلاقات السياسية والدبلوماسية

والاقتصادية ، ولو كانت السعودية بلداً فقيرا ، لما أعيرت له أهميّة ، لكن مصالح الكثير من الدول تتأثر الى حدّ بعيد بما ينشر في صحفها ، وهذا ما يجعل من ممارسة الضغط موضوعاً ذا أهميّة .. حتى ان بلداً مثل الاتحاد السوفياتي ، والذي أعاد لتوّة علاقاته مع السعوديين بعد قطعها منذ اكثر من نصف قرن ، بات أكثر حذراً في وسائل اعلامه وما تنشره مؤسساته من كتب عربية ، تتطرق الى الحكومة السعودية .

ويستثنى من اصدارات (دار التقدّم) في موسكو التي أغرقت المكتبة العربية بالكتب الروسيّة المترجمة ، أنها لم تعد راغبة في اصدار كتب عن السعودية ، او تتعلق بالحكم السعودية نقداً او غيره .. بل انها تردّدت حتى قبل ان تعاد العلاقات بين البلدين في إعادة نشر بعض المؤلفات والدراسات ذات القيمة العلمية رغمالالحاح في طلبها ، ويمكن إيراد كتاب (تاريخ العربية السعودية) للمستشرق اليكسي فاسيلييف ، كأحد الشواهد المهمّة في هذا المضمار .

مشكلة العائلة المالكة في السعودية انها تخاف اكثر من اللازم من الرأي الحرّ ، وتضيق ذرعاً بالرأي المخالف .. والسعودية بلد قائم على الأحادية السياسية ، والأحادية الفكرية التي يمثلها المذهب الوهابي ، بحيث لا يوجد متنفّس للتعبير ، او النقاش .. فاذا ما نجا مقال من مقص الرقابة السياسية ، فانه قد لا ينجو من مقصّ الرقابة الدينية ، التي اعتادت تفسير ما لا يعجبها - وهو كثير جداً - بأنه مخالف لقوانين السماء ، التي أصبح تفسيرها حكرا على مجموعة من المشايخ يقرّرون الحلال والحرام .

الغزو العراقي للكويت وآثاره

أدّى الاحتلال العراقي للكويت الى تحوّل في الرأي العام العربي والاسلامي والعالمي ايضا ضد العائلة السعودية المالكة ، بحيث اصبح صعباً على امراء تلك العائلة ملاحقة ما يكتب والتعقيب عليه بالنفي ، كما هو معتاد ، والذي بسببه أصبحت وزارة الاعلام السعودية تسمّى (وزارة النفي) واصبح وزيرها (وزيراً للنفي) ! .

التحوّل الذي طرأ باحتلال الكويت ، وبسبب استدعاء الملك فهد للقوات الاميركية والغربية ، دمّر معظم السمعة التي بنتها العائلة السعودية المالكة لها في الخارج منذ عقود عديدة .. وقد تحوّل مجرى الاعلام العربي والاسلامي ، وفق مشاعر الشارع العام ، ووفق سياسة الانظمة العربية التي تجنّبت الاصطدام مع شعوبها ، فظهرت الفضائح ، واكتشف العرب والعجم ، ان فساد العائلة المالكة اكثر من استدعائها للاجانب بكثير .

وقد حاولت الحكومة السعودية السيطرة على الاعلام الذي كانت تغذّيه بالمال ، لكن مشاعر الشارع العربي والاسلامي حالت دون التأثير فيه بالصورة المناسبة ، حتى في الدول المؤيدة للسعودية في استجلاب القوات الغربية .

لقد اصبح الحكم السعودي ضعيفاً للغاية ، بسبب عدم فعالية البترودولار ، ولأن ما حدث من أزمة كان أكبر من ان يعالج به .. حيث حدثت شروخ واسعة بين السعودية وأغلب النظم العربية التي كانت مقرّبة لديها فيما مضى ، فتحوّل الاعلام الرسمي والشعبي في اتجاه واحد ، يعدّد مثالب العائلة السعودية المالكة .

وفي نفس الوقت فان الغربيين الذي رأوا موقف الضعف السعودي ، لم يهتموا كثيراً بالقيود المفروضة بعد ان اصبحت ازمة الخليج أزمة عالمية .. وطفق اعلام الغرب يوجّه نقداً لاذعاً - وان خفّت حدّته بعد اشتعال الحرب - ، ويصف الحكم السعودي بأنّه غارق في التخلّف والاستبداد ، والاستهتار بحقوق شعبه .

لم يعد الأمراء السعوديون يتمنّون اليوم ان تعود اليهم هيبتهم او سمعتهم السابقة ، ولم يعد في مقدورهم محاصرة الاعلام المنتقد لهم بالوسائل التقليدية السابقة (دفع المال ورشوة الكتاب والصحف) .. اذ انه ولأول مرّة في تاريخ العائلة المالكة تتعرّض لمثل هذه الحملة ، من عشرات الاتجاهات ، من الاصدقاء والاعداء على حدّ سواء ، وراح هؤلاء يستفيدون من الارشيف الضخم القديم والجديد الذي لم يجرؤ احد على كشفه فيما مضى .

في المقابل ، فان كل ما يحلم به الملك واخوانه الامراء ، هو العمل حثيثاً للتضييق على ايّة منفذ يمكن ان يصل من خلاله الاعلام الخارجي الى الداخل فيؤثر على المواطنين .

ولكن هذا مستحيل ، لأنّ الاذاعات العربية ، ومحطات التلفزة التي تصل الى داخل المملكة او بعض اطرافها ، ومن بينها ما يبثه التلفزيون الاردني والمصري والايراني واليمني وشبكة سي ان ان وغيرها .. كلّ هذا جعل من مراقبة ما يأتي من الخارج صعباً للغاية .

ولان الاعلام السعودي كان - كعادته - دون مستوى الحدث ، فان الطلبة السعوديين في الخارج يوصلون آخر ما تنشره الصحف الغربية ، خاصة الاميركية ، الى داخل البلاد ، سواء عن طريق الرسائل ، او اجهزة (الفاكسميلي) ، التي اصبحت افضل وسيلة اتصال بين المواطنين خلال الازمة ، حيث تمّ عن طريقه تداول كل المنشورات الممنوعة وقصاصات الصحف مع ترجماتها احيانا ، كذلك ما يصدر من داخل البلاد من مختلف الاتجاهات الدينية والرسمية والوطنية المعارضة او المخالفة للحكومة في توجهاتها .

وازاء فقدان مصداقية الاعلام المحلّي ، لم يعد المواطن السعودي مكتفياً كما في الأزمات السابقة بمتابعة بيانات الحكومة ، وتبنّي مواقفها ، بل أصبح حتى اولئك الذين لا يهتمون بالشأن السياسي ، يتابعون الاذاعات الاجنبية لمعرفة ما يجري في وطنهم .

لقد تعرّت العائلة المالكة ، داخلياً وخارجياً ، وخرجت الأمور عن نطاق الرقابة والسيطرة .. وخسرت حرب الاعلام والسياسة ، في وقت لم يتأكد فيه بعد كسب الحلفاء للحرب ، التي مهما تكن نتائجها ، فان الحكومة السعودية فيها خاسرة ، وستدفع الكثير الكثير من سمعتها ومصداقيتها وثروتها .

سيّاف ضدّ التواجد الأجنبي

قال عبد رب الرسول سياف ، رئيس وزراء حكومة المجاهدين الأفغان ، ووثيق الصلة بالحكومة السعودية ، في تصريح له عن تواجد القوات الاجنبية في السعودية ، لوكالة المجاهدين (إني متأكد ان حرب القوى الغربية ضد العراق ليست لتحرير الكويت ، وإنما لتنفيذ مؤامراتها الشريرة على المنطقة والدول الاسلامية) .

وعارض سيّاف ارسال قوات من المجاهدين الى السعودية بقوله : (اني اعارض مثل هذا العمل في الظروف الحالية ، اذ ان قوات اجنبية غير مسلمة موجودة هناك في الخليج) .

وشهدت حكومة المجاهدين الافغان انقساماً بشأن حرب الخليج ، بعد ان ارسل رئيسها صبغة الله مجددي بصفة منفردة ٣٠٠ من المجاهدين الى السعودية .

وقال متحدث عن مجددي ان القوات ذهبت نيابة عن ائتلاف المجاهدين ، ولكن وكالة انباء المجاهدين قالت بان الحكومة المؤقتة قررت ارسال الفي مقاتل عقب الغزو العراقي للكويت ، غير ان ذلك لم يتم لوجود مشاكل ادارية ، واضافت بان كثيرا من الوزراء في الحكومة يعتقدون الان ان الوضع تغيّر بعد هجوم القوات المتحالفة بقيادة الولايات المتحدة على العراق ، وان (ارسال المجاهدين الى السعودية في هذا الوقت قد يفسّر على انّه علامة تأييد لأفعال القوات المتحالفة في العراق) .

وكان عدد من قادة المجاهدين الأفغان ، قد أبدوا استياءهم من استدعاء الحكومة السعودية للقوات الاجنبية ، وأشار برهان الدين رباني الى ان تلك الحكومة قلّصت دعمها للقضية الافغانية من جهة ، ووثقت علاقاتها مع موسكو وقررت دعمها باربعة مليارات دولار .. في حين ان نصف مليار دولار كان كفيلا بتحرير افغانستان .

ويشعر القادة الافغان من جهة اخرى ، بان الولايات المتحدة خذلتهم ، وانها لا تريد ان يصل المجاهدون الى الحكم بعد ان رثبت اتفاقاً بهذا المعنى مع موسكو .. وتجدر الاشارة الى ان اميركا هي الأخرى أوقفت دعمها تقريباً عن الأفغان ، بانتظار حلّ سلمي يوصل أصدقاءها الى الحكم هناك .

حرب الخليج ..
تصحيح الخطأ بخطيئة أفظع

بنفس المنطق الذي أدنّا فيه جرائم صدّام ، ندين به فهد وبوش .. لأنّ الانسانية في الكويت لا تحفظ بارتكاب مجازر بحق المسلمين في العراق .. ولأنّ إعادة الكويت لا يجب ان يتمّ بتدمير منشآت العراق والسعودية .

ولماذا ندفع كلّ هذه الخسائر لكي يعود الشيخ جابر وآل صباح الى الحكم ؟! .

بعد نحو شهرين من الغزو العراقي للكويت ، قال الملك فهد بأن المملكة لن تكون منطلقاً لشنّ حرب على العراق .

وبعد ان كانت النغمة التي يكرّرها الاعلام السعودي تقول بان هدف القوات المساندة هي (الدفاع) عن المملكة ، اصبح هدفها (الهجوم) لتحرير الكويت .

ومن هدف (الهجوم) لتحرير الكويت ، توسّع الهدف الى (اختراق) الاراضي العراقية لاسقاط صدّام ، وتحرير الكويت .

أيّا كان الأمر ، وأيّا كان الهدف ، فان الحرب قد اشتعلت .. ولا يشكّ أحدٌ بأنها حرب اميركية لاهداف اميركية محضة ، وما تحرير الكويت الاّ هدف عرضي .

لم يكن للحكومة السعودية قرار في الحرب ، بل ويشكّ انها قد استشيرت في أمره .. وقد كان الحديث من قبل يدور حول من يتولّى قيادة القوات المشتركة اذا نشبت الحرب ، وقرّر الاميركيون انهم اصحاب قرار الحرب وهم قادته ، كما انهم هم الذين يفاوضون صدّام او يرفضون نيابة عن المملكة والكويت والعالم .

من الصحيح بالطبع ان حجم الأزمة الخليجية تجاوز السعوديين والكويتيين والخليجيين والعرب ايضا ، ولكن هذا لم يتحقّق الا لأنّ اصحاب المشكلة سلّموا مقاليد امورهم للادارة الاميركية .

وهذا قد يفسّر لنا كيفيّة تحوّل الاراضي السعودية الى منطلق للهجوم والعدوان ، ليس على نظام صدّام ، ولكن على شعب العراق ومقدّراته .

نحن لا نختلف على ان صدّام حاكم عدواني دموي يجب الوقوف بوجهه ، ولكننا بطبيعة الحال ضدّ هذه الحرب بالشكل الذي نراه ، حيث تزهق ارواح المدنيين وتدمّر كل المنشآت والمؤسسات المدنية من كهرباء وماء ووقود وطرق ومطارات مدنية وجسور ومنازل .

حتى ان المراقب ليتساءل عمّا اذا كان بوش وفهد اكثر اجراما من صدّام .. ذلك ان ما فعله صدّام من قتل الكويتيين وقبلهم الايرانيين وما احدثه من تدمير في البنية الاساسية للكويت ، يتكرّر اليوم على يد الاميركيين وبقيّة الغربيين وبصورة أكثر وحشيّة مما جرى في الكويت نفسها .

لماذا نحن ضد الحرب

الاسباب التي تدفعنا لنقف ضدّ الحرب ، لا تعني السكوت عن جريمة صدّام ، بل جرائمه المتعدّدة المتشعبة .

ولا يعني وقوفنا ضدّ الحرب ، عدم ايماننا بحق الكويتيين في العودة الى وطنهم ، وتقرير مصيرهم بأنفسهم .

نحن ضدّ الحرب لأسباب عديدة وهامّة نجملها في الآتي :

أولا - انّ الخطأ لا يعالج بخطأ مثله ، وان الغاية لا تبرّر الوسيلة ، وان الحرب فاقمت المشكلة وزادت الدمار .. حتى ليخيل للمرء ان بوش الذي حاول اقناع الاميركيين بدخول الحرب بالعزف على الوتر العاطفي ، وذكر المصائب التي حلت بالكويتيين ، انما يستهدف ارتكاب جريمة اكبر مما ارتكبت في الكويت ، واحداث خسائر في الارواح والانفس العراقية المدنية وغيرها ، بأفظع ممّا فعل صدّام نفسه .

والشارع العربي يتساءل ، وله الحقّ في ذلك : هل من المنطقي تدمير العراق ارضا وشعبا ، لتتحرّر الكويت .. هل يجوز ارتكاب مجازر بحق المدنيين وبحق ما بناه العراقيون خلال نصف قرن ، وما بناه الكويتيون ايضا - لان الكويت ستعود صحراء يبابا بسبب الحرب - لكي تعود الكويت لاهلها ؟ .

بنفس المنطق الذي أدنّا فيه جرائم صدّام ، ندين به الولايات المتحدة الاميركية والحكومة السعودية ودول الغرب الأخرى .. ان الانسانية في الكويت لا تحفظ بارتكاب مجازر بحق الانسانية في العراق .

وان اعادة اعمار الكويت لا يتمّ بتدمير المنشآت المدنية العراقية .

وان صدّام الذي اعترضنا على تضخيمه للمشكلة التي بينه وبين الكويت ، بغزوها ، هو ما يدفعنا لادانة اميركا وحلفائها لأنّهم بدل ان يعيدوا الكويت بطريقة سلمية ، او قليلة التكلفة ، ضخّموها بحربهم ، حتى فاقت خسائر العراق بشريّا وماديّا عشرات اضعاف خسائر الكويت والكويتيين .. بمعنى ان ثمن تحرير الكويت بالطريقة الاميركية والبريطانية ، اكبر بكثير من ثمن الكويت نفسها .

ثانيا - نحن ضدّ الحرب ، لأنّ أهداف الحرب تغيّرت .. من تحرير الكويت الى تدمير العراق وقتل ابنائه .

لم يعد هدف تحرير الكويت كافياً لدى الغربيين .. وقد اصبح مجرّد مظلّة وستار لأهداف غير مشروعة ، يقرّرها طرف الحرب الأقوى ، وهم الاميركيون .

والامور لم تعد سريّة .. الاميركيون يريدون تدمير آلة العراق العسكرية لتبقى اسرائيل محميّة معزّزة .. والاميركيون لا يهمّهم تحرير الكويت بمقدار ما يهمّهم حماية امدادات النفط .

وأهمّ من هذا يريد الاميركيون الاستمرار في اذلال العرب والمسلمين نفسيّا ومعنويّا لتحقيق ما يصبوا اليه .

ان اهداف الحرب عند اميركا ، هي غيرها عند الملك فهد او الشيخ جابر ، ونقطة الالتقاء تحرير الكويت ، او حماية السعودية .

لكن سير المعارك حتى الآن اثبت ان الاميركيين ، يعضدهم في ذلك البريطانيون ، يحثّون الخطى نحو اهداف اخرى ، تصبّ في نهايتها في مصلحة اسرائيل ، وابقاء العرب والمسلمين ضعفاء اذلاء ، لا يقدرون على مواجهتهم ولا على الاستقلال بقرارهم .

قد يستطيع البعض تفهّم ان آل صباح يريدون العودة الى الحكم بأيّ طريقة وثمن .. ولكن ما هو هدف الملك فهد من

قبول منطق الحرب بالصورة الشرسة التي نراها ، ولمصلحة من ؟! .

هل ان قتل المدنيين العراقيين ، وتخريب العراق ، يضمن أمن مملكته ؟! .

ثالثا - ان صدّام حسين لم يكن المجرم الوحيد بحق المنطقة .. فالجريمة اشترك فيها آل صباح ، وآل سعود ، والاميركيون ، والغربيون ، والاتحاد السوفياتي وغيرهم كثير .

وإذا كانت جرائم صدّام قد فاقت جرائم الآخرين ، فهذا لا يعني التنكّر لدور المجرمين الاخرين الذين أوصلوه بدعمهم المالي والنفطي والسلاح الى هذا الوضع الذي نعيش فيه .

صدّام كان ثمرة إجرام كل الذين ذكرناهم ، والضحايا هم شعوب المنطقة كلّها ومن ضمنهم الشعب العراقي .. وفي الوقت الحالي لا يمكن لأحد يدرك هذه الحقيقة ، ان يقبل بأن تدفع شعوب المنطقة ثمن اخطاء المجرمين في جرائمهم السابقة والحالية .

ان الشعب العراقي والايراني دفعا الدمّ ثمنا لاحداها ، في حين دفعت شعوب المنطقة المال والسلاح لدعمه في باطله .. أليس الملك فهد والشيخ جابر هما أكبر من أيّد الطاغية في عدوانه على شعبه وجيرانه ؟! .

وها نحن نكرّر خطأ الماضي ، دعم المجرمين الاميركيين في تدمير المنطقة ، وليس لتصحيحها بإزاحة صدّام .. وبأموال شعوب المنطقة تموّل ماكنة الحرب ، وبها يدمّر العراق ، كما دمّر من قبل .

وماذا سيعود علينا ؟ .

جثث القتلى ، وصواريخ رعب ، ودمار اقتصادي ، واستنزاف مالي ، ومذلّة عند العالم كلّه ، وخلخلة للقيم والاعراف ، وتدمير منشآت تحلية المياه والكهرباء ومعامل التكرير والبتروكيماويات وتلوث في الجو والبحر .. الخ .

ولِمَ ندفع كلّ هذا ؟! .

أليس لكي يعود الشيخ جابر الى الحكم ، وهو الذي (شرد) من أول طلقة ، دون أن يطلق صفارات الانذار ؟! .

أليس ليبقى الاميركيون ينهبون ما تبقى من الثروات المالية والارصدة ؟! .

اليس من اجل ان تبقى القوات الاميركية في الاراضي السعودية والكويتية الى الابد ؟! .

إنها فتنة ، لم يكن للشعب العراقي وشعوب الخليج في الماضي او الحاضر دور فيها الاّ الصمت .. ولو أن الحرب كانت لتصحيح الاخطاء وانصاف شعوب المنطقة لكنّا أول من أيّدها .. ولكنّ الحكام الخليجيين - مثلهم في ذلك مثل صدّام - دخلوها دفاعاً عن كراسي حكمهم ، حتى ولو أدّت الى حرق المنطقة وكل منجزاتها الماضية ، وحتى لو أدّت الى عودة أشكال الاستعمار القديمة .

فهد أقرّ الحرب والشعب اعتبرها أسوأ من صدّام

الشعب في المملكة السعودية مستاء من الحرب ، التي يجرّب فيها الغرب اسلحته ضد العرب .. ومع أن الناس يكرهون صدام حسين ، الاّ انهم يعتقدون بأن الاميركيين يريدون تدمير الشعب العراقي وان ذلك سينعكس على سمعة المملكة في الخارج .. وهم يتساءلون : هل هذه هي الحرب التي نبحث عنها ؟ ، لماذا رفض الملك العروض السلميّة العديدة ؟! .

(.. نحن كلنا نكره صدام ، ونحن دائما ننظر اليه كرجل سيء ، ولكن هذه الحرب اسوأ من صدّام .. لماذا طالت الحرب ؟ .. انت تعرف ما يجري ، فالاميركيون يجربون اسلحتهم على العرب . لقد اصبحنا كلنا حقلاً للتجارب) .

هكذا تحدّث أحد رجال الدين السعوديين لروبرت فيسك ، الصحافي البريطاني المعروف ، والذي يتابع أوضاع الحرب من الظهران .

السعوديون مستاؤون من الحرب

ليس هذا هو السعودي الوحيد الذي يعلن تذمّره من الحرب .. فرجال الأعمال والصحافيين الذين التقى بهم فيسك يبدون ذات وجهات النظر .. كلهم يكرهون صدّام حسين ، ولكنهم يشككون في أهداف وتحركات الاميركيين ، وهم لا يريدون أن يسمعوا بأن هذه الحرب هي حرب بين الخير والشر ، بل هي بالنسبة للسعوديين أقرب ما تكون الى حرب بين المسيحيين والمسلمين .

السعوديون مستاؤون جدّاً لما يرونه على شاشات التلفزيون السعودي وغيره من دمار شنيع لحق بالمنشآت المدنية العراقية .. وقد كانت الحرب حتى الآن بالنسبة لهم وللكويتيين مخيبة للامال ، فقد انتظروا ان تكون الحرب سريعة ، قليلة التكلفة ، ليس بالنسبة للسعودية فحسب ، ولكن ايضا بالنسبة للكويت والعراق .. ولكن وعود الأميركيين بعدم الاضرار بالمدنيين ، وبتحرير الكويت سريعاً ، خابت ، وأصابهم اليأس ، وهم يتساءلون ، متى تنتهي الحرب ، باكثر من تساؤلهم : متى يرحل الأميركيون .

ان السعوديين والكويتيين يشاهدون بأم أعينهم ، وعلى شاشات التلفزيون ، التدمير الفظيع في العراق .. وهم أكثر تأثراً من المشاهدين الغربيين بما يحلّ هناك بالاطفال والنساء الذين تغطي الدماء ثيابهم ، والذين سُحبوا خامدي الأنفاس من تحت الانقاض .. إنهم أكثر تأثرا وهم يقرأون اللافتات العراقية ، وأسماء المحلات والدكاكين والشوارع التي دمّرت بالقصف الأميركي المجنون .

قال أحد السعوديين لمراسل اجنبي : (لم أستطع حبس دموعي وأنا أشاهد شبكة سي ان ان وهي تستعرض آثار قنابل القاذفات الاميركية العملاقة بي ٥٢ ، في الديوانية وبغداد .. ورحتُ أتساءل كما يتساءل الكثيرون : هل هذه هي الحرب التي نبحث عنها ؟ .. وهل هذه هي الأهداف العسكرية المختارة التي يبحث عنها الأميركيون ؟ .. إنني بصراحة أشكّ بأنّ القوات المساندة تتفادى قصف المدنيين كما يجب) .

وقال عامل في شركة النفط (ارامكو السعودية) لمراسلة اميركية : (كلّما ازدادت خسائر الحرب في صفوف السعوديين ، فان المتحمسين لها سيتنازلون .. نحن نريد الحفاظ على وطننا ، ولكن ذلك لا يستدعي قصف المدنيين العراقيين .. فهم بالتالي عرب مثلنا ومسلمون ، وان مثل هذه الأعمال تهدّد سمعة المملكة والسعوديين جميعاً في الخارج) .

ويفيد عدد من المراسلين الأجانب ، ان الكثير من السعوديين قد خفّ حماسهم للحرب ، بناء على تجربة الاسابيع الثلاثة الأولى منها .. وأنهم يخافون من إطالة أمد الحرب ، وزيادة تكاليفها البشرية والمادية .. وبعضهم يقول بدون تردّد ان الحرب اسوأ من صدّام .. كما ان موجة من التشكيك في الأهداف الأميركية من الحرب أحرجت العائلة المالكة ، حيث ان أكثرية الشعب السعودي تشعر بأن الحرب ، ما هي الاّ حرب اميركية لتدمير العرب جميعاً .

ذات الشعور نقلته شبكة اي بي سي التلفزيونية الأميركية ، التي قال مراسلها في الرياض ، إن توسيع أهداف الحرب لتشمل تدمير العراق ، وإسقاط صدّام حسين ، وابقاء القوات الاميركية الى سنوات طويلة قادمة ، لا تحظى بترحيب واسع هنا .. وبإمكانك ان تسمع إشارات الامتعاض والتساؤل المليء بالريبة : ماذا لو أعطت الحكومة السعودية والكويتية الخمسة عشر مليار دولار للعراق ووفرت على المنطقة دماراً وخسائر اكبر بكثير مما جرى حتى الوقت

الحاضر ، ولماذا أصرّت الحكومة على رفض المبادرات السلمية العديدة التي دعا اليها قادة وزعماء عرب ومسلمون لحلّ الأزمة ، ما لم ينسحب العراق أولاً عن الأراضي الكويتية ؟ .

فهد مسؤول عن شنّ الحرب

لا يشكّ السعوديون في ان صدام حسين باحتلاله للكويت قد أدخل المنطقة في أزمة خطيرة .. وان انسحابه منها سيتم عاجلاً أو آجلاً .

ولكنهم في نفس الوقت يشاركون قطاعاً واسعاً من العالم العربي والاسلامي ، بأن الخطوات التي اتخذها الملك فهد منذ بداية الأزمة كانت أبعد ما تكون عن الحكمة والتعقّل .

ولا ينكر هؤلاء مسؤولية العائلة المالكة في الحرب .. فهي أولا انطلقت من الأراضي السعودية ، وهي من جهة ثانية ممولة في قسم كبير منها ، وهي ثالثا مشاركة فيها بالجنود والسلاح .. وقد كان يمكن للشارع السعودي تفهم مشاركة المملكة في تحرير الكويت انطلاقاً من أراضيها ، ولكنهم لا يستطيعون تأييد الملك في قراره بأن تنطلق طائرات المملكة وطائرات دول الغرب في قصف بغداد والمدن العراقية الأخرى .

ويرى العديد من السعوديين ، ان الملك فهد كان ضعيفاً أمام الاميركيين ، وانه انصاع لكل خططهم السياسية والعسكرية التي قد تودي بالمملكة وشعبها وجيشها الى دمار .. وهم يخشون ان تدفع البلاد في المستقبل مقابل الدمار الذي يحل بالعراق الان لتعميره ، كما دفعت لهدمه .

يقول احد رجال الاعمال السعوديين : ان كل ما كان يطلبه صدام قبل غزوه للكويت ، ثلاثة عشر مليار دولار من السعودية والكويت .. وذلك للتغلب على المصاعب المادية ولتأهيل العراقيين العائدين من الجبهة العراقية / الايرانية .. ولكن البلدين ماطلا في ذلك ، رغم ما في كلام الرئيس العراقي من مصداقية ، بأن الكويت والامارات ، ثم السعودية ، كانتا وراء هبوط مداخيل العراق ، بإغراقهم السوق العالمية بالنفط ، حتى وصلت اسعاره في احدى الفترات الى سبعة دولارات للبرميل الواحد .

ويمضي رجل الأعمال قائلا : ان الكويت والسعودية وبعد أزمة انهيار اسعار النفط ، أوقفتا أو خفضتا بشكل شديد دعمهما للعراق متذرعتان بهبوط اسعار النفط .. وكانت الامارات قد زادت من حصتها المقررة في اوبك من النفط ، وتبعتها الكويت ، ثم السعودية ، بحجّة ان العراق وغيره لم يلتزموا بسقف الانتاج .. وفعلا لم يكن العراق ملتزماً بذلك ، وقد طلب من المملكة والكويت تفهّم وضعه بأنه في حرب .

المهم ان الأمور تطورت بعد وقف اطلاق النار بين العراق وايران ، وقد طالب الرئيس العراقي المسؤولين في المملكة تخفيض انتاجهم من النفط لكي ترتفع الاسعار ويتم التغلّب على الأزمة .

وهنا رفضت السعودية كما الكويت والامارات ذلك ، وشعر صدام التكريتي بأن هذه الدول تخلّت عنه ، فيما يعتقد انه حقّه ، لأنه يقاتل بالنيابة عنها .. فراح يعطي اشارات التهديد ، التي فهمها الكويتيون والسعوديون خطأ ، بأن قطع الأعناق أهون من قطع الأرزاق .

فهد .. رفض الحلول السلمية

هناك الكثير من الحديث عن ان صدام التكريتي رفض الحلول السلمية .. والحقيقة ان الاميركيين وغيرهم ، لم يقدّموا حلاً سلميًا لأزمة الكويت .. بل ان جهدهم انصبّ على مجلس الأمن الدولي لاصدار قرارات تقول بإخراج العراق من الكويت دون قيد او شرط .

ومثل هذا لا يعدّ حلاً سلمياً للأزمة .. وكان انسياق الملك فهد وحكومة المنفى الكويتية ، وراء الشعار الاميركي البريطاني القائل بأن المعتدي لا يجب أن يأخذ أي غنيمة من عدوانه ، أمراً مفزعاً للغاية .

> إلتصاق الملك بالموقف الاميركي لا ينبيء عن حكمة أو تقدير لمشاعر المواطنين ولمصالحهم

> لماذا أخلف الملك وعده بأن لا تكون بلادنا منطلقاً للهجوم على العراق ؟ .

ذلك ان مثل هذا القول هو الذي دفع بصدام الى التصلّب .. وان الانسياق وراء هذا الشعار ، هو الذي جاء بالحرب ، وجعل السعودية والكويت تتعهدان بدفع اكثر من اربعين مليار دولار لتمويلها .

الان هناك من السعوديين من يقول بان السلطان قابوس كان اكثر حكمة من الملك فهد حين التقى بوزير الخارجية العراقي طارق عزيز في مسقط ، وكان اكثر حكمة حين دعا في آخر قمّة خليجية في الدوحة الى التفاهم مع الرئيس العراقي وإعطائه بعض المعونات ، والاراضي التي يطلبها ، بدل ان تتدمّر المنطقة ، وتخسر اكثر مما يطالب به صدّام فعلاً . وللأسف فإن السلطان قابوس نال تقريعاً من الملك والشيخ جابر اللذان أصرّا على مسايرة الموقف الاميركي حتى النهاية .. وها نحن نرى منذ الأسبوع الأول للحرب ، شكل النهاية المحزنة التي ستحل بالمنطقة الخليجية بشكل عام .

لماذا رفض الملك فهد الوساطات العديدة - يتساءل المواطنون - ؟ وإن كان التساؤل قد جاء بشكل متأخر ، وان كان له تبرير ، بأنهم كانوا يتوقعون نهاية للأزمة في وقت سريع ، كما وعدت الادارة الاميركية الملك فهد وغيره ، وكما وعد الاخير شعبه والجيران .

لقد دعا الملك الحسن الثاني الى عقد قمّة عربية لمناقشة الأزمة الكويتية ، مرتين ، رفض الملك فهد ان يحضرهما .

وتقدّم الشاذلي بن جديد بمبادرة سلام ، وطاف العراق والاردن وايران ، ولكن الملك فهد لم يستمع اليه ، بل لم يسمح له بالقدوم الى الرياض .

وتقدّمت اليمن بمشروع مبادرة ، انهارت امام مغالاة الملك في الالتصاق بالموقف الاميركي الذي كان يعدّ للحرب عدّتها .

وتقدّمت دول المغرب العربي بمبادرة نالت نفس المصير .

وتحرّك الملك حسين لذات الغرض فزار سلطنة عمان ، ولكن الملك رفض استقباله .

وتقدّم الاتحاد السوفياتي بمبادرة فشلت بسبب التعنّت السعودي / الاميركي .

كلّ هذه المبادرات ، كان يمكن ان توصل الأزمة الى حلّ سلمي ، بعيداً عن قرارات الأمم المتحدة (الأميركية) التي جعلت دعاتها في الزاوية ، بحيث اصبحوا لا يفضّلون سوى قرار الحرب .

صحيح ان صدام كان متعنتا في رفضه الانسحاب من الكويت .. ولكنه كان يبحث عن ثمن مجز ، ولم تفسح السعودية وحكومة المنفى مجالاً للحلّ ، مفضّلة الحرب ، ودفع أضعاف ما يطالب به طاغية بغداد .

إننا لم نرَ موقفاً من الملك فهد يشير الى الحكمة أبداً .. ولعلّ ذلك راجع الى انه أصبح محكوماً بسياسات البيت الأبيض وتسليمه الأمور بيد بوش وأعوانه ، والذين تتعدّى أهدافهم الحقيقية من الحرب ، تحرير الكويت ، بأشواط بعيدة .. يدلّنا على هذا تصريح الأمير سلطان ، وزير الدفاع السعودي ، الذي اشار فيه قبل الحرب ، الى امكانية تقديم تنازل للعراق ، ولكنّ وزارة الخارجية الاميركية استدعت ابنه (السفير بندر بن سلطان) واحتجّت على تصريح أبيه ، وطلبت منه ان يبلغ أباه بأن يتراجع للصحافة واجهزة الاعلام عنه .. وفعلا خرج سلطان ، وقال : ان الصحافة اساءت فهم تصريحي !! .

نحن لا نشكّ في خطأ وخطايا صدّام ، وأنه عامل عدم استقرار في المنطقة .. ولكن لا أحد بعد اليوم يقبل بالحرب الاميركيه التخطيط ، الاميركية الاهداف ، التي لن يخرج منها السعوديون والعراقيون والكويتيون سالمين مهما كانت النتائج .

حوار

حسن الصفار ، زعيم منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية في لقاء صحافي :

المسافة بعيدة جداً ليسمح الحكم للمعارضة بالمشاركة في الحكم !

في مقابلة مطولة له مع صحيفة كيهان انترناشيونال الصادرة في طهران باللغة الانجليزية ، بتاريخ الثاني من فبراير .. تحدث الشيخ حسن الصفار ، زعيم منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية عن تأثيرات الأزمة الخليجية ، وقال بأنها غيّرت الخارطة السياسية في المنطقة وان لم تستقرّ بعد .. واعتبر ما حدث أنه اضاف الى الامة الاسلامية وابنائها وعياً جديدا ، بحيث لا يمكن بعده ان تبقى الانظمة الحاكمة في البلاد الاسلامية على ما هي عليه .

وقال ان المواطنين السعوديين لم يفيقوا من هول فاجعة غزو الكويت ، حتى دهمتهم مصيبة اكبر بعودة الاستعمار العسكري القديم والمباشر الى المنطقة .

ولأهميّة ما جاء في اللقاء نضع نصّه بين يدي القرّاء .

يعتقد الكثيرون أن الحرب الحالية في الخليج ، سوف تغيّر الخارطة السياسية في المنطقة .. ما هو تصوركم لهذا الأمر ؟ .

منذ نحو عامين والخارطة السياسية في العالم في حالة تغيّر وتبدّل ، وقد كانت أبرز معالم هذا التغيير : سقوط الشيوعية واندحارها ، ونهاية ما عرف بالمعسكر الشرقي ، وما رافقه من سقوط جدار برلين ، الذي يعدّ أبرز مَعْلَم لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وفي نفس الوقت ارتفعت خلال هذه الفترة الاصوات التي تطالب بحقوق الانسان ، وسقوط الديكتاتوريات في العالم ، وعايشنا خلال المرحلة الماضية سقوط عدّة رموز للدكتاتورية ظلّت تحكم لسنوات طويلة .

لقد كان واضحا ان مرحلة جديدة قد دخلها العالم ، فانتهى عصر القطبين ، وراحت الولايات المتحدة الاميركية بعد ان تخلّصت من منافسها تعد وتخطط من اجل رحلة جديدة بعيدة .. عنوانها ومضمونها : سيطرة كاملة لأميركا على كل العالم وثرواته .

وما حدث في المنطقة باحتلال الكويت ، قلب الكثير من المعادلات ، حيث اضاف عناصر مهمّة في التغيير لم تكن في الحسبان .. وان استنفار العالم الغربي وحشد اساطيله ، انّما يعكس رؤية الغرب تجاه منطقتنا ، حيث يراها مجرّد بئر نفط ، يجب ان يستمر في تغذية صناعته ، دون إبداء أدنى إهتمام بما تتطلّع اليه شعوب المنطقة الخليجية .

ان الأزمة الاخيرة غيّرت الخارطة السياسية فعلا ، والتي كانت قبل الاحتلال العراقي للكويت في طور التبدل .. فالتحالفات والشعارات والمفاهيم تغيّر الكثير منها بسبب الأزمة ، وهذا أمر متوقع .

ومن أبرز ما لاحظناه نحن كمعارضة لنظام العائلة السعودية المالكة ، هو مدى الرفض الذي يكنّه المسلمون في العالم الاسلامي لهذه العائلة ، ولسياساتها الممالئة للغرب .. خاصة بعدما استدعت القوات الاميركية وسمحت لها بغزو المنطقة والسيطرة عليها ، بصورة جرحت أعماق القلب المسلم ، وكشفت مدى الضعف والخلخلة في بناء النظام السياسي .

الخارطة السياسية تغيرّت عمليّاً وهي لم تستقرّ بعد .. اذ ستشهد المنطقة مزيداً من التفاعلات ، وهناك توقعات بحدوث تغييرات جغرافية فيها .. وما نرجوه هو ان تصبّ هذه التغيرات الجغرافية في مجال وحدة المسلمين ، ولكن ليس بالفرض والاكراه .

ان التاريخ يقول لنا بأن كلّ مرحلة يدخلها العالم ، عادة ما تشهد تبدّلات في جغرافية الدول ، وعادة ما تكون التغييرات حادّة عنيفة وقويّة .. حدث هذا في الحرب العالمية الأولى ، ثم مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية .. لقد انتهت دول وبرزت أخرى الى الوجود .. ولعلّ واحدة من التبدلات التي حدثت في هذا المنعطف التاريخي الحسّاس ، الوحدة الالمانية ، والوحدة اليمنيّة .

يجب ان نعمل جميعا ان تكون الاحداث والتحولات المقبلة لصالح المسلمين .

ما هي في رأيكم انعكاسات الأزمة الخليجية على العالمين العربي والاسلامي ، بغض النظر عمّا قيل من الطرفين المتصارعين ؟ .

سيكون لهذه الأزمة آثارها وانعكساتها الكبيرة على عالمنا العربي والاسلامي ، منها ما هو سلبي ، ومنها ما هو ايجابي .

لقد نبّهت الأزمة العقل المسلم على حقائق كثيرة .. عن واقعه الذي يعيشه ، وعن التسلّط الاستعماري الذي يمارس بحقّه .. إنّنا نعتقد بأن الأزمة أضافت الى الأمّة وابنائها وعياً جديدا ، ونبّهت المسلمين الى ضرورة أن يكون لهم دورا في ساحة الاحداث ، بأكثر مما كان سابقاً .. لا يمكن للأنظمة الحاكمة في البلدان الاسلامية ان تبقى على ما هي عليه ، وستتعرّض لضغوط قويّة وعنيفة من اجل ان تتحوّل الى الأحسن .. كما اعتقد بأننا سنشهد بداية اخرى لمشوار المواجهة مع اسرائيل .

أمّا الانعكاس السلبي فهو تدمير المنطقة ، ومنشآتها المدنية والعسكرية ، واهدار ثرواتها في الحروب ، وازهاق الارواح الكثيرة في هذا الصراع المجنون .

كيف ترى مشاعر الناس في السعودية تجاه تواجد نصف مليون جندي اجنبي هناك ، وتجاه تدمير العراق باسناد كامل من العائلة المالكة السعودية ؟ .

بلا شك فان المواطنين كانوا ولازالوا ضد الاحتلال العراقي للكويت ، وما كاد الناس يفيقون من هول فاجعة الغزو ، حتى دهمتهم مصيبة أكبر ، بعود الاستعمار العسكري

المباشر والقديم الى المنطقة ، بدعوة ورضى من النظام السعودي .

لقد تساءل الناس ، وبأصوات مسموعة بعيد الغزو العراقي واستدعاء القوات الاجنبية : لماذا دعمتم صدام حسين بالأمس ، وصوّرتموه على انه حامي حمى العرب ؟ .. وهل من المعقول ان ينقلب الوضع هكذا بين عشيّة وضحاها ، فيصبح هو الكافر المجرم المعتدي ؟! .

إنهم يتساءلون : أين هو السلاح ، ألم تصرف عليه العائلة المالكة المليارات ؟ ، أليست ميزانية الدفاع هي الأضخم في هذه المنطقة ، بل انها تساوى عدّة اضعاف ميزانية دول اخرى بكاملها ، مثل سوريا والأردن ، وهما دولتان تقفان في مواجهة اسرائيل ؟ .. ولماذا تأتي القوات الاميركية ، وبهذه الكثافة التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ؟ .

لقد هزّت حادثة الغزو العراقي واستدعاء القوات الاجنبية أعماق المواطن في بلادنا ، ونبّهته لحقائق كثيرة كان غافلاً عنها طيلة عقود من السنين .. وشهدت الأوساط الشعبية والدينية ، في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والرياض ، محاضرات واحاديث تنتقد التواجد العسكري الاميركي ، وتندّد بالعائلة المالكة نفسها .

والآن نتساءل نحن وشعبنا مرّة اخرى : لمصلحة مَنْ يتم تدمير العراق بشعبه وجيشه وامكاناته .. ألا يتمّ ذلك بنفس الأيدي التي صنعت دولة اسرائيل ودعمتها وتعهدت بالحفاظ عليها .. ألا نرى اليوم بأن العائلة المالكة يثيرها ضرب اسرائيل بالصواريخ ، بأكثر مما يثيرها أيّ شيء آخر ؟ .

تدلّ المؤشرات الحاضرة على ان الحرب التي تقودها الولايات المتحدة الاميركية ستستمر طويلا ، ماذا تتوقعون ان يحدث لو لم تنته الحرب قبل موسم الحج القادم ؟ .

يسعى آل سعود الى استقطاب اكبر عدد ممكن من الحجاج في هذا العام ، على أمل ان تنتهي الحرب قبل موسم الحج ، فيما ألمحت بعض البلدان الى احتمال عدم ذهاب مواطنيها للحج في هذا العام ، كالأردن واليمن وليبيا والعراق نفسه ، طالما كان هناك تواجدا اميركيا .

النظام من جهته يخشى ان يتحول حجّ هذا العام الى مظاهرة سياسية ضدّه ، وضد الاحتلال الاستعماري الاميركي لأرض المقدسات ، ويخشى أن يكون هناك تفاعلا كبيرا من قبل المواطنين مع بقيّة حجاج البلدان الاسلامية .. ولذا فان الأمير نايف ، وزير الداخلية السعودي ، سيسعى بكل جهده لقمع كل عمل معارض في الحج ، وبالطبع لن ينسى لغة القمع التي اعتاد عليها في بيانات وزارته كل عام .

ان الاميركيين والغربيين الآخرين لا يريدون ان يستمر القتال حتى ذلك الوقت ، وهم يسعون لانهائه قبل الحج ، أمّا لو استمر القتال فان السعودية ربما تعمل على تقليص عدد الحجاج الى أقل عدد ممكن ، بعد ان توفر لتلك الخطوة غطاءها الشرعي المطلوب من قبل علمائها المرتبطين بها .

كما نتوقع ان تقوم السعودية ، باستحداث أساليب ووسائل إغراء للحجاج لتحسين صورتها لدى المسلمين ، وهناك استعدادات وخطط لتحقيق هذا الأمر .

صرحت الحكومة السعودية انها ستقوم باصلاحات سياسية بعد حل الأزمة الراهنة ، هل تتوقعون ان تتم هذه الاصلاحات ، وهل ستلبي طموحات الشعب ؟ .

لقد اوضحت في اكثر من مناسبة ، ان سياسة آل سعود الحالية لن تقود البلاد الاّ الى المزيد من الخراب والدمار والمازق .. وإن إعلان الملك عزمه على القيام باصلاحات

> **حتى لو قامت الحكومة ببعض الاصلاحات ، فنحن لا نتوقع ان تكون بمستوى طموحات الشعب وتطلعاته**

سياسية ، لم نأخذه ـ نحن ولا الشعب ـ على محمل الجدّ ، لأنّ مثل هذه الاعلانات والوعود قد تكرّرت اكثر من عشر مرّات .. ان الامراء لا يتحدثون عن الاصلاحات الاّ وقت الأزمات ، وحينما تنتهي يتناسون كل شيء قالوه .

وحتى لو قاموا ببعض الاصلاحات والتغييرات ، فنحن لا نتوقع ان تكون بمستوى طموحات الشعب وتطلعاته ، والذي أرهقه سيف الدكتاتورية .. وكل ما سيقوم به النظام لن يتعدّى بعض التغييرات الشكليّة .

بإعتباركم مرشداً لمنظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية ، هل يمكن ان نعرف موقفكم فيما اذا دعتكم الحكومة للمشاركة في اي تركيبة سياسية ؟ .

لا نعتقد ان النظام قد أوتي من الشجاعة قدراً الى حدّ يسمح فيه لقوة معارضة بأن تشاركه في الحكم .. ولهذا فإنّ سؤالكم سابق لأوانه كثيراً .. فلا زال أمام هذا النظام مسافة طويلة جدا جدا ، لكي يقوم بهذه الخطوة .. وان اصلاحات النظام المستقبلية ستحاول ان تأخذ في الاعتبار تطوير وسائل مواجهة المعارضة .

لقد ذكرت اكثر من مرّة أننا نريد تحولات حقيقية في بلادنا تعطي كل صاحب حق حقه ، وصاحب الحق الأكبر هو الشعب .. فما يريده هو نحن نريده .. اننا نتطلّع الى وضع سياسي يقوم على اساس من الحرية والمساواة ، وحق كل فرد بممارسة دوره في البلاد ، وان يتم تنظيم كل هذا وفق قانون يوافق عليه أبناء الشعب ايضاً .

تعتقد مصادر عربية وغربية بوجود انقسامات حادّة داخل العائلة الحاكمة في السعودية ، كيف ترون تأثير هذا الصراع على الاوضاع الحالية ، وما هو مستقبل العائلة المالكة في الحكم ؟ .

الخلافات داخل الاسرة السعودية بولغ في اكثر من اللازم في الخارج .. هناك صراعات . واهتمامنا بهذا الموضوع في حدوده ، لأن هذا الصراع في الأساس إنما هو تنازع على الحصص بين الأمراء .

أمّا الجديد في الأمر ، فان الاحاديث تتعاظم عن دور الجيل الثالث من الاسرة في ادارة البلاد وحكمها ، وهم من المتعلمين وخريجي الجامعات .. فالجيل الأول يتمثل في شخص الملك عبد العزيز واخوته وابناء عمومته من آل جلوي .. وقد انقرض هذا الجيل تماما .. أمّا الجيل الثاني ، وهم اولاد عبد العزيز ، فقد ظلّوا في الحكم أربعة عقود ، وقد آن الأوان ـ حسب رأي الغربيين ـ لأن يُعطى الجيل الثالث ـ وهم أبناء الجيل الثاني ـ دوراً أوسع في الحكم ، بحيث يكون هذا الدور متوائماً مع توجهات وشعارات المرحلة .. وهذا الرأي تؤمن به أوساط عديدة في الادارة الاميركية .

أمّا مستقبل العائلة المالكة فتحفّه المخاطر ، وذلك لحدوث تغييرات عديدة من بينها :

أولا ـ الوضع العالمي الجديد ، وما حصل من متغيّرات في اوروبا الشرقية على وجه الخصوص ، وتوجه شعوب العالم نحو المطالبة بالحريات والديمقراطيات وإشراكهم في الحكم .

ثانيا ـ الوضع الأقليمي السائد بعد الغزو العراقي للكويت ، واتضاح مدى هشاشة النظم الخليجية ، ومدى ارتباطها بالغرب ، وانعكاس كلّ ذلك على هيبة الحكم .

ثالثا ـ مستوى الوعي والنضج الذي وصل اليه الشعب .

لهذه الاسباب ، فان ابناء الشعب لن يسمحوا بأن تستفرد العائلة السعودية المالكة بالحكم والثروة وتتلاعب بمصير البلاد ، كما فعلت في الماضي .

ماوراء درع الصحراء

برنامج تلفزيوني حول الأوضاع الملتهبة في السعودية

لماذا يحارب الغرب لحماية نظام العائلة المالكة غير الديمقراطي ؟

وما هي حقيقة مشاعر السعوديين تجاه ما يجري ، وكيف ينظر الغرب لذلك

أثناء قيام رئيس وزراء بريطانيا السيد جون ميجور بزيارة المملكة السعودية ، ضمن جولته التي شملت عمان ومصر ، والتي تفقد فيها القوات البريطانية قبل أن تبدأ الحرب بنحو عشرة ايام .. عرضت شبكة بي بي سي التلفزيونية ، القناة الاولى ، برنامجا عن السعودية ، حمل اسم (ما وراء درع الصحراء) أعدّه ديفيد لوماكس .. وقد حوى البرنامج على مقابلات مع عدد من الامراء السعوديين ، وعن أهم الاحداث والقضايا التي تفجّرت في المملكة بعد الغزو العراقي للكويت واستدعاء القوات الاجنبية لحماية حكم العائلة المالكة .

تبدأ الكاميرا باحثة عن شيء تلتقطه ، وكالعادة فان الخيمة والجمل هما أهم ما يثير المشاهد الغربي .. فعلى بعد اميال قلائل من الحدود الكويتية السعودية تنتصب خيمة يجلس فيها بدوي عجوز والى جانبه إبنه المتعلّم في الولايات المتحدة الاميركية والمتزوج من اميركية ، والذي يمتلك بيوتا عديدة في لندن وكاليفورنيا والرياض ، لتوحي للمشاهد بالتناقض الحضاري الصارخ الذي أحدثه النفط .

التغيير ضرورة

موضوع التغيير السياسي في السعودية ، أصبح ضرورة ملحّة منذ زمن ، ولكن لم يبد ذلك الألحاح من قبل الشعب ومن الغربيين تبعاً لذلك - للحفاظ على مصالحهم - الا بعد الغزو العراقي للكويت ، وبعد ان بان عجز آل سعود وضعفهم وفشلهم .

يقول أحد الصحفيين السعوديين ، ان الأزمة الحالية لها آثار ايجابية ، اذ خلقت جوّاً من الاثارة والنقاش في الشارع السعودي حول موضوع المشاركة الشعبية في الحكم .

في حين يرى مقدّم البرنامج ان عدداً من السعوديين يرون بأن وجود القوات الاجنبية أخرج زمام الأمر من يد الحكومة ، وان الأصوليين قد علا صوتهم ، والأمور اخذت بالتغيّر تدريجياً ، وحتى الامراء يتحدثون حالياً عن نوع من التغيير الذي قد يحدث مستقبلاً .

بعدها يستعرض البرنامج تقرير منظمة العفو الدولية الذي اصدرته في الحادي عشر من يناير ١٩٩٠ ، والذي أفاد باعتقال ما يزيد على ستين شخصاً ، في فترة زمنية صغيرة ، وعرض البرنامج صور بعضهم .. ثم أشار الى تقرير جديد صادر عن المنظمة نفسها حول اساءة الحكومة السعودية معاملة اليمنيين المرحّلين من المملكة ، والذين قدّر عددهم بما يقارب المليون انسان ، بسبب موقف الحكومة اليمنية من وجود القوات الأجنبية في الاراضي السعودية .

هنا يوجّه سؤال الى الأمير خالد ابن الملك الراحل فيصل ، والذي يتولى امارة منطقة عسير ، حول وجود المعتقلين السياسيين .. وقد أنكر الأمير وهو يتصنّع ابتسامة طفت على شفتيه ، فقال : لا يوجد لدينا معتقلون سياسيون ، وهذه المعلومات غير صحيحة ! .

كرّر السؤال مرّة أخرى : بأن تقرير منظمة العفو الدولية أكّد وجود المعتقلين ، بالصور والأسماء ، ولكن الأمير المُحرج عاد فقال : غير صحيح ، لم أسمع عن وجود معتقلين سياسيين ! .

ووجّه سؤال آخر للأمير أكثر إحراجاً : كيف تقنع الغرب بالدفاع عن نظام غير ديمقراطي ، وعن بلد ليس فيها دستور او احزاب او انتخابات ؟ .

هنا أجاب الأمير ، خريج جامعة اوكسفورد : وهل يحتاج كل بلد الى الديمقراطية ؟! .

بمعنى ان العائلة المالكة لا تحتاج الى الديمقراطية ، لا بمفهومها الغربي ، وإنما أساس الحكم المنفتح الحرّ القائم على احترام خيار الشعب ، وإشراكه في صنع مستقبله .

وأعيد السؤال : هذا البلد لا توجد به انتخابات ولا أحزاب سياسية ، فلماذا يدافع الغرب عنه ؟ .

قال الأمير : عندنا نظامنا الديمقراطي الخاص بنا ! .. وهو النظام الأسلامي .

ولكن : هل يستطيع أحد أن يعارض الحكومة ويعبّر عن وجهة نظره دون ان يطاله الاعتقال ؟! .

نعم .. يجيب خالد الفيصل .. هذا موجود عندنا ، فكثير من الناس يأتون يوميا ويطرحون آراءهم المخالفة للحكومة ، ولا يحدث لهم أيّ شيء .

ويصف مقدّم البرنامج ، مجالس الأمراء المفتوحة والتي يعتبرونها البديل عن الشورى والانتخاب والدستور بقوله : للأمير - خالد الفيصل - مجلس مفتوح يحضره الناس المحتاجون الذين يطلبون من الأمير مساعدتهم في حل مشاكلهم المادية ، وان الذين يتجمّعون في هذه المجالس عادة ما يطالبون بالأعانات والمساعدات .

وهنا تتحرّك الكاميرا لتوضّح ديمقراطية الأمير ، ديمقراطية الاعانات والمساعدات ، اذ ان كل شخص يتقدّم ويقبّل الأمير ويسلّم رسالة بحاجته يتناولها الحاجب ، ليبتّ فيها فيما بعد ! .

ان نظام (المجلس) ، ان صحّ تسميته بأنه نظام ، لا يثق به الكثيرون ، ولا يعتبرون ان له علاقة بالشورى او الديمقراطية ، كما يقول السيد لوماكس .

وماذا عن الأحزاب السياسية ؟! .

يجيب خالد الفيصل : لن نسمح بها ، لأنها مخالفة للعقيدة الاسلامية ، ولأنها تأتي بأفكار منحرفة تخالف الشرع .. واذا كان لدى أيّ مواطن أفكارا مخالفة للحكومة ، يستطيع الذهاب للمسؤولين وطرح وجهة نظره ! .

وهل وجود الأحزاب السياسية معارض للشريعة الاسلامية ؟! .

سؤال وجّه للأمير فأجاب عليه بكل وقاحة : نعم ، لأنّ الأحزاب السياسية تأتي بأفكار منحرفة وخارجة على الشريعة ، وهذا شيء ممنوع ، وليس امامنا طريق اخر غير الدين الذي نؤمن به !! .

يا له من دين ، ويا له من اسلام ، هذا الذي يلتصق به الامراء السعوديون .. هل هذا هو الاسلام ، وهل هذا هو نهجه الحر الذي يُعرض على الاجانب لكي يبرّر استبداد العائلة المالكة ؟! .

الاسلام ضد الأحزاب السياسية ، وليس ضدّ العوائل الملكية الوراثية ، انه ضد الحريّة - بنظر آل سعود وامرائهم - وليس ضدّ ولاية العهد والاستئثار بالسلطة والثروة واللعب بهما .. انه - بنظر المثقّف خالد الفيصل - ضد الرأي الاخر ، بينما ديمقراطية آل سعود ، هي التي توفّر الحرية وتحترم الآراء في مجالس الأنس والدردشة ومجالس طلاّب الحاجة !! .

ولو سُئل الأمير ، وماذا عن الاحزاب الاسلامية ذات النهج الديني ، لأجاب بنفس الاجابة ، لأن القضيّة عند امراء الاسرة المالكة ان تبقى السلطة بين أيديهم ، فهم الشيوخ ، وهم (الأبخص) ، وأمّا بقيّة الشعب ، فعليهم السمع والطاعة دون نقاش ، ومن يتجرّأ ويطرح رأيا مخالفاً ، فمصيره الى السجن .. ثمّ من يتجرّأ وينتقد آل سعود بمحضرهم ، إذا كان المواطن لا يستطيع ان يتفوّه ببنت شفة في مغيبهم خوفاً من أجهزة مباحثهم ومخابراتهم ؟! .

منطق آل سعود ، إفعل ما تحب ، وعارض ما لا تحبّ ، وألصق ذلك بالاسلام والقرآن ، الذي يجيد الفتاوى بإسمه كذباً وزوراً صغار العائلة المالكة وكبارها .

ماذا عن الطرف الآخر من المثقّفين ، ورأيهم في التغيير ؟ .

يقول وزير المالية الأسبق عبد العزيز أبا الخيل : ان البلاد قادمة على تغيير ، وتطوّر في الجانب الديمقراطي ، والعمل مستمر في هذا المجال لتحقيق ذلك .. لا يهمّ إن كان مجلس الشورى الذي وعد به الملك يعتمد النظام القائم في اوروبا او غيرها .. وحتى لو أقيم لا يهمني موقعه ، سواء كان في وسط الصحراء أو في احد ميادين الرياض ، المهم ان يعمل .

ويضيف : ان ما جرى للكويت يمكن ان يطلق عليه لفظ (الهزّة الأرضية) التي هزّتنا جميعا وأثرت على مجتمعاتنا والامر يحتاج منّا ان ننظر بعين الاعتبار الى ما جرى ، وان نعدّ انفسنا للتغيير القادم .

وفي لقطة طريفة تسلّط الكاميرا التلفزيونية على مبنى شاهق ، قال معدّ البرنامج انه مبنى مجلس الشورى السعودي ، الذي لم يفتتح بعد ، والذي مضى على بنائه سنوات طويلة ، ومضى على الوعد به اكثر من عشرين عاماً .. وأعاد البرنامج الي الأذهان ما وعد به الملك مؤخراً بانشاء المجلس ، في سلسلة الوعود الكاذبة ، وكيف انه لم يعط اي تفاصيل للطريقة التي يتم بها اختيار الاعضاء .

الموقف من القوات الاجنبية وآثار تواجدها

لا يحظى الموقف الرسمي الذي اتخذته العائلة المالكة باستدعاء القوات الاجنبية بالرضا من شرائح عديدة في المجتمع السعودي .. وحتى الذين أيّدوا الحكومة وموقفها بهذا الشأن هم معارضون في الاصل لذلك ولكن العائلة المالكة هي التي جعلت الخيارات قليلة في مواجهة التهديدات الخارجية ، وذلك لأنها لم تعتمد التجنيد الاجباري ، وجعلت مؤسسة الجيش وسيلة للارتزاق فحسب ، ولم تهتم بالاصول والضوابط العسكرية المعروفة في العالم كلّه ، بل وضعت الأمراء على رأس قيادة فصائل الجيش بعد ان منحتهم أعلى الرتب بالمجّان .. واكثر ما فعلته الحكومة هو شراء الاسلحة بعشرات المليارات من الدولارات ، رشوة للغرب ، ولكي يحصل الامراء المرتشون ، كوزير الدفاع سلطان وحاشيته واخوانه ، على مئات الملايين من السمسرة غير المشروعة .. ثم ألقي بكل هذا السلاح في المخازن ليأكله الصدأ ، وبقي الجيش السعودي العتيد لا يتجاوز عدد أفراده السبعين ألف شخص الا بصعوبة ، بينهم عشرون ألفاً من أفراد الحرس الوطني ، الذي يستخدم في الغالب الاسلحة الخفيفة ، والذي حُصرت مهمته في القمع الداخلي .

إن العائلة المالكة وبسبب إهمالها لكلّ هذا ، وعدم ثقتها بالشعب ، رأت أنه لا خيار متاح أمامها الاّ المجنّدات الاميركيات ، واليهود ، وجيش الاستخبارات الاميركي .. وحتى بعد ان وقعت الأزمة ، لم تفرض الحكومة التجنيد الاجباري وتعلن حالة الاستنفار العام في صفوف الشعب ، بل انها لم تكن جادّة حتى في قبول المتطوعين وهم قلّة على أيّة حال .. ليس بسبب الاتكفاء والخوف ، بل لشعور عموم الشعب بأن نظاماً لا يثق بشعبه ولم يعطه حقّه في التعبير عن رأيه والمشاركة في صنع مستقبله السياسي ، وحوّل الوطن الى مجرّد فندق للنوم ، أو مصدراً للرزق او الارتزاق .. وان نظاماً يعتمد على الأجنبي في الدفاع عن نفسه ، لا يستحق الدفاع عنه .

يقول البرنامج التلفزيوني : أن الحكومة السعودية أنفقت البلايين من أجل الجيش وتقوية آلته العسكرية وجلب الخبراء الأجانب لتدريبه على استخدام هذه الأسلحة ، ومع هذا الانفاق الاّ أن الأزمة الأخيرة أثبتت بأن السعودية لا تستطيع الدفاع عن نفسها ، الأمر الذي اضطرّها لاستدعاء القوات الأجنبية .

واضاف : بأن القوة الجويّة السعودية تعتمد بالدرجة الأولى على تدريب الفنيين الغربيين الذين يرتبطون مع السعوديين بعقود طويلة الأمد ، والذين من دونهم لا يمكن للمقاتلات السعودية الغربية ان تطير في الجو .

فنيّان بريطانيان يقومان بتدريب السعوديين على طائرات التورنادو وصيانتها ، قالا بان السعوديين قد يستغنون عن الفنيين الأجانب على المدى البعيد وليس الان .. في حين قال احد المسؤولين البريطانيين في شركة ايرو سبيس ، انه مادامت الطائرات موجودة في السعودية ، فان السعوديين يحتاجون الفنيين الغربيين .

ويتابع معدّ البرنامج قوله : انّ هناك تكديساً للسلاح في السعودية ، ولكن لا يوجد في المقابل القوة البشرية الكافية لاستخدامه .. وان العائلة المالكة حرصت ان يبقى عدد افراد القوات المسلحة قليلا خوفاً من ان تقوم بإعداد انقلاب ضدّها .

وبالنسبة للامراء فان العائلة المالكة تثق في القوات الاجنبية اكثر من ثقتها بأفراد الشعب السعودي ، وطالما ان العائلة المالكة السعودية غير قادرة على حماية نفسها ، فان الاميركيين يريدون البقاء اكثر من المدّة المطلوبة .. وقال الجنرال جوردن براون ، المستشار السياسي للقوات الاميركية في الرياض : ان مهمتنا حماية السعودية ومصادر الثروة فيها .. لذا فاننا نحتاج لبعض

الوقت لترتيب امورنا في المستقبل .

ورغم كلّ هذا فانه حتى رجال المؤسسة الدينية الرسمية التي منحت العائلة المالكة تغطية شرعية لاستجلاب القوات الاجنبية ، يخشون من آثار هذا الاستجلاب على الوضع الاجتماعي والثقافي والنفسي والسياسي والاقتصادي للبلاد .

يقول خالد الفيصل : أنا سمعت الكثير مما يقال ويثار في الاعلام الغربي عن التغيير الذي سيحدثه وجود القوات الاجنبية على مدى تمسكنا بديننا الحنيف ، وانا لا أتوقع اي تغيير من هذا التواجد !! .

وحين سئل عمّا اذا كان هناك استياء شعبي من التواجد الاجنبي قال ببلاهة : التواجد الاجنبي لن يؤثر على وضع المجتمع ، والناس سيبقون مسلمين لمئة سنة قادمة ! .

لو قال هذا الكلام انسان يفقه تطور الاوضاع في المجتمع ، او كان ملتزما بدينه حقاً لاعرنا كلامه أهميّة ، ولكن من يسكن القصور العاجية ، والغريق في بحيراتها ـ مثل الأمير ـ لا يخشى البلل .

ويعبر احد البدو الذين يعيشون في الخيم عن رأيه في مسألة تواجد القوات الاميركية في اراضي المملكة : اميركا التي نعرفها هي أم الدول والمجتمع العام ، وهي مثل الأب للعائلة وهي التي تقوم بالموضوع سلمي او غير سلمي !! .

أما فيصل البشير ، المتعلم والمتزوج من اميركا ، وابن هذا البدوي انف الذكر ، فهو يقول : انا ضد تواجد القوات الأجنبية أيّاً كانت ولكن ما فعله صدام حسين وقواته عندما غزوا الكويت ، جعلني أرى بأن ذلك يستدعي ان ندافع عن انفسنا ، وما فعله الملك فهد صحيح .

يقول ديفيد لوماكس معدّ برنامج (ما وراء درع الصحراء) انه قبل ان تستدعي الحكومة السعودية القوات الاميركية قامت باستشارة علماء الدين ، وبقت مدّة اربعة ايام بدون موقف واضح من الغزو العراقي للكويت .. وفي لقاء مع احد المصلين يوم الجمعة في احد مساجد الرياض ، سئل عن موقفه من استقدام القوات الاميركية ، فردّ : الاميركان يختلفون عن الاسرائيليين .. وهنا قاطعه مصلّ آخر قائلا : اتقوا الله استغفروا الله ، لماذا لا تغارون على دينكم ؟ . وهنا أمر المصور ان يخرج من باحة المسجد .

ان موقف المؤسسة الدينية من استقدام القوات ، لا يمكن ان يعبّر عنه الشيخ بن باز وحده ، فهناك اصوات عديدة ضدّ هذا التواجد .. وحسب البرنامج فان الأغلبية من رجال الدين عارضت ذلك التواجد ، وبقيت الأقليّة مع الملك فهد .

كيف يمكن قياس الرأي العام في بلد مغلق مثل السعودية؟ .

المساجد ونوعيّة الخطباء ومقدار الجمهور المحتشد هو الذي يدلّل على ذلك .. اذ ان المسجد يعتبر الصوت الوحيد في السعودية الذي يمكن ان ينطلق منه صوت المعارضة .

تنتقل الكاميرا لتصور المساجد المكتظّة بالمصلين ، وتركّز على الخطباء والتسجيلات الصوتية في أشرطة الكاسيت ، التي تباع في الأسواق .

هناك محل يسمّى (تسجيلات التقوى الاسلامية) ، في الرياض ، وقد قال صاحب المحل ان هناك نحو اربعين شريط كاسيت لرجال دين وعلماء معروفين يعارضون التواجد الاجنبي ، بينها شريط واحد منع رسمياً تداوله ولكنه يباع في السوق السوداء ، وهذا الشريط الممنوع ، هو الأكثر تنديداً بالتواجد الغربي ، وبالخصوص الاميركي .

يوضّح البرنامج نموذجا من الخطابات المطروحة في المساجد بالصورة والصوت : (والينا أعداء الله وأحببناهم بقلوبنا ، ونسينا الفيصل بين الايمان والكفر .. ان موالاة الكفار سبب من أسباب

وتطور الوضع الى انتقاد العائلة المالكة .. قال احد الخطباء : (فأنت ترى في مجتمعاتنا القصور الفارهة الفخمة وترى بجانب ذلك فقيرا في كوخ ، ان الله تعالى ما أعطانا هذه الأموال لكي نبني بها القصور) .

ان آثار استئثار الحكومة المالكة بالغنى ـ يقول البرنامج ـ ليس من الصعب العثور عليه .. وتسلط الكاميرا الأضواء على غرفة المؤتمرات في قصر صيفي في مدينة أبها ، وهو قصر بناه الملك فهد لنفسه قبل نحو خمس سنوات ، ولكنه لم يأت لرؤية القصر أو يمكث فيه مرّة واحدة ! .

وهناك الكثير من الأمراء بدأوا ـ على مضض ـ يعترفون بوجود الاسراف والتبذير والتلاعب بالأموال .. يقول الامير سلطان بن سلمان ، الذي حمل وصف رجل الفضاء ، بعد ان حمله المكوك ديسكفري عام ١٩٨٥ .. يقول الأمير معترفا : ان هناك اخطاء ، وان بعض افراد العائلة المالكة يقومون بممارسات في الأتجاه الخاطيء ، سواء في السعودية او اماكن مختلفة من الدول المجاورة والغربية .. ثم أعلن الأمير افتخاره انه احد افراد العائلة المالكة ! .

ويعلق الجنرال جوردن براون ، المستشار السياسي في القيادة المركزية الاميركية في السعودية ، بأن هناك تياراً قوياً ضد وجود القوات الأجنبية ، وان هناك اشرطة قويّة متداولة بين الشعب ، وأن الاشرطة قد تمّ الاستماع اليها من قبل اعضاء السفارة الاميركية ، ولكن تبيّن انها اعتيادية ، ولا جديد فيها يستحق الاثارة !! .

وسُئل الجنرال : هل حصلتم على شريط شيخ الهدى ، وهو شديد العداء للغرب ؟ .

أجاب الجنرال : هل كان يباع قبل الأزمة .

نعم .. كان يباع خلال الأزمة وهو بيدي الآن .

اذن .. يمكنني ان أنسخه وأستمع اليه .

ردّ معدّ البرنامج : هذا الشريط يحمل تهجّمات قويّة ضد التواجد الغربي في السعودية .

قال الجنرال : هذا لا شك بوجوده ، هناك تحامل على التواجد الغربي في هذا البلد ، ولكن لا ندري متى يمكننا ان نوقفه ، هنا مجتمع صغير حرّ في التعبير عن رأيه ، وهذه الأشرطة تعتبر احدى هذه الوسائل .

وبالنسبة للتغيير الاجتماعي المترتّب على وجود القوات الاجنبي ، فان مظاهرة النساء هي احد معالمه ، وهناك لقطات واضحة للنساء اللاتي تظاهرن في الرياض من اجل السماح لهنّ بسواقة السيارة ، وذلك في السادس من نوفمبر الماضي .. وبعكس ما هو رائج فان النساء ظهرن محجّبات في سياراتهن .. وبعكس ما توقعت بعض المتظاهرات ، بأن أحدا لم يصوّر المظاهرة ، فأن مصوّر التظاهرة في بداية انطلاقتها كان قد أخبر بها قبل وقوعها فاستعدّ لها من مكان خفي بعيد عن الأنظار .

وقالت احدى المتظاهرات بصراحة : نريد ان ندفع الحكومة لتسمح لنا بقيادة السيارة .. في حين ان احدى المؤيّدات لهنّ قالت انها كانت تتمنى لو ان المظاهرات وقعت قبل أزمة غزو الكويت او بعد ان تنتهي .

واوضح البرنامج بعض ردود فعل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومجمل المؤسسة الدينية ، من المظاهرة ، وصوّر لنا منشورا بأسماء المظاهرات واسماء ازواجهن ، وكيف انهم اتّهموا بانهم (شيوعيون ، وعلمانيون اميركيون) .

وقد تبع موقف الحكومة موقف رجال الدين فأعلنوا منعهم لأي امرأة تسوق السيارات في البلاد ـ عدا المجنّدات الغربيات ـ ، وان من يخالف ذلك يعاقب اشدّ المعاقبة ـ كما قال بيان وزارة

أيّ دورٍ لشعوب الخليج في صراعات الحكّام ؟!

حسين رمضان

اللامبالاة ستجعل من وطننا المستباح عرضة للاستعمار المباشر

لا يختلف اثنان في الحكم على أن ليس للمجتمع الخليجي اي دور يذكر في المسائل المهمة التي يترتب عليها تقرير مصير البلاد ومستقبلها ، في السلم او الحرب ، في الشدة أو في الرخاء .. ولكن قد يتفق الكثيرون بأنه في حالة الازمات يبرز دور الشعوب .. في تلك الحالة – كما بالنسبة للخليجيين – يتم دفع ضريبة الازمات التي تنشأ من فشل سياسات الانظمة في ادارة البلاد ، واخفاقها في كل المجالات السياسية منها والاقتصادية ، هنا يبرز ذلك الدور اليتيم في دفع الكلفة الباهضة ، المعنوية منها والمادية ، وقد راينا ذلك اثناء الاختلاف بين حكام الدول الخليجية انفسهم ، او اثناء النزاعات الاقليمية التي اصطنعها الغرب ، ويعلم المتتبع للاحداث كم هي حجم المآسي التي تعاني منها شعوب الخليج بسبب صراع الحكام على قطعة من الارض او بئر من البترول ، كما حصل بين قطر والبحرين في خلافهما حول جزر حوار ، او كما حصل بين السعودية والكويت حول جزيرة غاروه وغيرها والتي احتلتها السعودية عام ١٩٨٩ ، اي قبل نحو ثمانية اشهر من احتلال الكويت ، او كالخلاف الذي نشب في نفس الفترة وادى الى ازهاق ارواح ستة عشر شابا كويتيا .. تلك فقط مجرد امثلة من التاريخ الحديث ، ولو اردنا تعداد المشاكل بين الحكام وآثارها السلبية على الشعوب الخليجية لأحتجنا الى صفحات وصفحات .

اما اذا انتقلنا الى دور الشعوب في الصراع الاقليمي فاننا نجد بان الكلفة تتضاعف ، فأما ان يقف الناس مع الحاكم حتى لو كان ظالما ويشترك معه في الشتم والتنديد والتكفير ضد عدو النظام ، واما ان يصنف في جبهة العدو كما حصل في السعودية ، ودفعت طائفة من المجتمع ثمنا باهضا بسبب رفضها تاييد جبهة الباطل والتي كان يمثلها آنذاك صدام في حربه ضد ايران .. ودفعت ثمنا آخر بسبب رفضها التنديد بالأيرانيين وغيرهم من الحجاج الذين اريقت دماؤهم في مكة المكرمة عام ١٩٨٧م .

اما الشعب البحراني فما زال يدفع ثمن الصراع بين الاسرة الحاكمة واطراف اقليمية منذ عام ١٩٨٠م حتى هذه الساعة والشعب كله وراء القضبان الحديدية .. وهناك المصيبة الكبرى التي حلت بالشعب الكويتي وعمت آثارها بقية شعوب الخليج ، والتي كان السبب الرئيسي فيها خلاف اسرة آل الصباح والطاغية صدام .

هذا هو دور الشعوب في دول الخليج التي لا تملك أن تقول (لا أو نعم) بملء ارادتها ، فما يطلبه الحكام منها هو أن تخضع لهم وتطيعهم ان اصابوا اواخطأوا وان ادى ذلك الى حرق المنطقة وتدميرها او على الاقل الاضرار بمصالح الشعوب .

لقد خلفت العلاقة الحميمة بين حكام الخليج وصدام حسين دمارا على الشعوب التي طالما حذرت الحكومات من هذه العلاقة والدعم لترسانته الحربية ، ولم تلتفت تلك الحكومات وخصوصا السعودية والكويت الى الامر بل كانت تعاقب بالسجن مواطنيها اذا انتقدوا صدام او عارضوه في افعاله ، وها نحن نرى الآن هذه الحكومات تعاقب من لا يلعن ويشتم صدام ، صديقها بالامس .. كانت حكومات المنطقة تضع شعوبها دائما في خانة الجاهلين بالامر ، وكانت ترى في انتقاداتهم تعديا على احتكارهم الفهم والعلم والحكم ، وكان الحكام يقولون بان الشيوخ ابخص واعلم بالصح من الخطأ وان الناس لم يصلوا الى المستوى الذي يؤهلهم لمشاركة الاسر الحاكمة في صنع القرارات المصيرية للبلاد ، ولم يلاحظ الحكام الفرق الشاسع بين سرعة التغيير الاجتماعي من جهة والتطور المذهل في قابلية المجتمع الخليجي لمواكبة التغيير الذي طرأ على العالم ، ومحاولة الانعتاق بشكل تدريجي من قيود التنظيم الاجتماعي القديم والدخول في عالم التمدين وما يفرضه من تنظيمات اجتماعية جديدة.

ورغم تلك المحاولات التي برزت أحيانا على شكل مطالبة بالحرية أو الديمقراطية سلميا كما حصل في الكويت والبحرين ، وأحيانا اتخذ التغيير شكل المواجهة العنيفة كما حصل في السعودية لأكثر من مرة ، ابرزها اعتصام جهيمان العتيبي في بيت الله الحرام .

وفي مقابل ذلك التحرك والدفع للتغيير ، كانت الاسر الحاكمة تهتم بتطوير أساليب القمع والارهاب ، وترفض القبول بأساليب جديدة للحياة السياسية .. هذا الموقف الجامد والمتصلب واخضاع الناس بالقهر وعدم التخلي عن روح المجتمع القبلي ، سبب مشكلة تورطت فيها الانظمة ، ففي الوقت الذي تطور فيه العمران وانتعشت سبل الحياة ، لم يطرأ اي تغيير على القنوات السياسية بحيث تتواكب مع التغيير الاقتصادي الذي عكسه انتاج النفط وارتفاع مداخيله ، الى حد ان السعودية تعتبر خروج مظاهرة نسائية من اجل الحصول على اجازة للسواقة يعد امرا خطيرا على الحكم نفسه .

ومن خلال استعراض محاولات التغيير في الخليج خلال العقود الماضية نجد انها قد فشلت بسبب اصرار الاسر العشائرية الحاكمة على الحكم بالطريقة المزاجية المستبدة . . بدءا من الحياة البرلمانية عام ١٩٦٢م في الكويت وسقوطها عام ١٩٦٧م ثم عودتها عام ١٩٧١م وانتكاستها عام ١٩٧٦م وعودة الحياة اليها عام ١٩٨٠م ثم نهايتها

عام ١٩٨٦م ، وتجربة

ما يسمى بالشورى في بلادنا التي بدأها الملك عبدالعزيز ، مرورا بالوعود الكثيرة التي اطلقها ابناؤه وورثته في الحكم .. اما تجربة الامارات التي اعدت الدستور المؤقت من عام ١٩٧١م واستمر بخطته الخمسية حتى عام ١٩٨٦م والى اليوم والامارات العربية بدستور مؤقت .

اما البحرين فقد فشلت تجربة الحياة النيابية التي فرضتها أحداث مارس ١٩٧٢م ومرت بمراحل صعبة انتهت بمقتلها عام ١٩٧٥م بسبب ضغوط السعودية .

ان الانظمة في الدول الخليجية لا تملك الاستعداد لعملية التطوير السياسي ، وليس لديها تصور واضح حول ما يجب فعله ومالا يجب ، وتبين أن عمليات الاصلاح الهزيلة السابقة كانت مرهونة بحجم الضغوط المنفردة والتي أكدت ولأكثر من مرة بأن أنظمة الخليج لن تقدم على اي تغيير ما لم يكن هناك ضغط شعبي واسع يدعو اليه ، خاصة في السعودية التي اوضحت مواقفها السلبية السابقة مدى حساسيتها ازاء المطالبة بالحريات السياسية وعدم اكتفائها بالحجر على آراء المعارضين السياسيين ، أو حتى الاصلاحيين ، بل أنها مارست معهم ضروبا متنوعة من العزل الاجتماعي والاعتقال والتعذيب والتصفية أو النفي ، واحيانا التسفيه ونسج الاشاعات ضد المعارضة السياسية بأصدار فتاوى من علماء الدولة ، ترميهم بالتخريب والافساد والمحاربه .

ان تلك الممارسات لن تساعد دعاة الاصلاح في متابعة العمل باشكال سلمية ، ولن تساعد على التطور السلمي في تحقيق المطالب ، بل تهيىء التربة الصالحة للنزوع نحو العنف والانتقام ، قال الشاعر :

ومن لم يجد الا الاسنة مركبا\ فما حيلة المضطر الا ركوبها

وهذه حقيقة مسلم بها ، ذلك أن المواطن الذي يحرم من حقوقة (المدنية –الشرعية–الدستورية) في العمل وحرية الرأي والانتقال والسفر والتجمع وحتى طلب الرزق ، هذاالانسان يجد نفسه مجبرا للتحالف مع من يرفع الحيف عنه ، ولا يراعي شرعية الوسيلة ، وهانحن نرى اليوم كيف أن نسبة كبيره من شعوب الدول العربية والاسلامية ، بل بعض الحركات الاسلامية قد ارتمت في أحضان الطاغية صدام ، لأنه رفع شعار الدفاع عن المستضعفين ضد المستكبرين وشعار الدفاع عن الفقراء ضد المترفين .. ان موقف هؤلاء لم يأت من فراغ بل وجدوا في هذا الشيطان ما يلبي ندائهم فالفلسطينين والاردنيين والسودانيين واليمنيين جميعهم في خندق واحد مع صدام حسين في مقابل امريكا التي تقود المعسكر الغربي كله ضد العراق وبمباركة من النظام السعودي ، وهذا المعسكر يعتبر العدو اللدود لهذه الشعوب ، وهو السبب المباشر لكل المشاكل التي تتعرض لها المنطقة .

ومع انتهاء تلك الحقبة السوداء وحلول حقبة جديدة فرضتها الاحداث ، وأجبرت الانظمة ان

> يجب أن لا نُخدع بشعارات الغربيين في دفع عجلة الديمقراطية في المنطقة الخليجية

> الخليجيون منزوعو الارادة أمام حكامهم ، والأخيرون منزوعو الارادة امام الغرب

تعترف بدور الشعوب في مثل هذه الازمات بعد أن انكشفت حقيقتها وبان ضعفها أمام الخطر ، وأخذت تتودد لشعوبها باطلاق المبادرات الاصلاحية ، وتهافت الامراء والمشايخ ليكون لهم قصب السبق في اعلان الشورى والديمقراطية ، لكن الذي يبدومن هذا التهافت على الاصلاح انما هو شعور بأن المرحلة المقبلة سوف تجبرهم على التنازل ، فأرادوا أن يركبو الموجة قبل أن يجرفهم التيار . وفي مثل هذه الظروف ،لا بد للشعوب الخليجية من كلمة وكفاها صبرا وسكوتا ، فهي اليوم تدفع ثمن ذلك الصبر والسكوت القديمين ، والثمن سيكون هذه المرة باهظا وشاملا يتجاوز الاشخاص والاقاليم ، ويعتقد أن ضرر الحرب سوف لن يترك احدا سالما ، يقول تعالى (واتّقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة واعلموا أنّ الله شديد العقاب) وهذه الفتنة لا يعلم نهايتها الا الله ، وحتى لو أنتهت الحرب فسوف تبقى آثارها تمزق الصف العربي شرّ تمزيق .

والآن ما هو دور الشعوب في هذه المحنة ؟.

لا يجوز في مثل هذه الظروف أن تقف الشعوب موقف المتفرج وتقول مادام الصراع بين الغربيين وصدام ، وكلاهما ظالم ، فاللهم آشغل الظالمين بالظالمين .. هذا المنطق غير مقبول ، فهذه الفتنة ليست من الفتن التي قال عنها الامام علي عليه السلام (كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهرا فيركب ولا ضرعا فيحلب) .. ذلك القول لمن يستطيع السلامة لنفسه ودينه ، والحال أن شعوب المنطقة الخليجية في أتون المعركة ، وتكاد الشعوب تكون وقود معركة خاسرة . وقد حان الوقت لأن تقول الشعوب كلمتها قبل فوات الاوان ، لا بد أن تعلن للعالم رفضها لهذه الحرب التي عرفت اهدافها المبيته ، وهي تدمير البنية التحتية للمجالات الحيوية للتنمية الاقتصادية ، واعادة هذه الدول الغنية بالبترول الى مصاف الدول الفقيرة والمحتاجة دائما الى الغرب ، وتكون بذلك قد ضمنت ضخ البترول دون اية مشكلة وبالتالي تبقى الشعوب رهينة تلك الحاجة وتنصرف عن المطالبة بحقوقها المغتصبة .

فينبغي على الذين يرون أن الاعتراض على الحاكم أو نصيحته سوف يولد المشاكل ان يدركوا هذه المرة بان السكين وصلت الى رقابهم ، وان البلاد والمنطقة الخليجية يتحدد مستقبلها على تحركهم ونهضتهم ورفضهم ان تتحول بلادنا الى دار ينعق على اطلالها الغربان وتعشعش فيها البوم .. عليهم ان يدركوا ان التأخر عن اداء المسؤولية اليوم سيجعلنا في القريب العاجل عبيدا لساسة البيت الابيض ، ويجعل من وطننا المستباح عرضة للتمزيق والاستعمار المباشر بحجة الامن وغيره .

ان العائلة المالكة لن تستمع الى نصيحة احد ، خاصة في هذه الظروف التي يسيطر فيها الجيش الاميركي حتى على ادارة المرور .. والامراء لا يستمعون الا الى اصحاب البشرة البيضاء او الحمراء ، في حين يقابل المواطن المؤمن المخلص لوطنه بالشك والريبة او التسقيط واتهامه بالجهل او التدخل فيما لا يعنيه .

ان الحكومات الظالمة التي ضيقت الخناق على المواطنين يجب مواجهتها بالوعي ، لانها تسعى لتبرير اعمالها الشيطانية باسم القران والاسلام واحاديث الرسول ، يعضدها في ذلك تجار الفتاوى وباعة الدين بالدنيا ..الذين يتمسكون بظواهر الآيات ليعطوا لأنفسهم الشرعية في ظلم الناس وكبتهم واذلالهم والتلاعب بمصائرهم ، وأن امثال هؤلاء الطبالين ، الذين ياكلون على موائد السلاطين ويؤيدون حرق بلادنا والكويت والعراق وغيرها .. هؤلاء الذين شرعوا للامراء استجلاب الاجانب للسيطرة على البلاد واحتلالها بصورة واضحة سيخسرون مرتين : خسارة الدنيا وهي استلاب الحرية التي هي اثمن شيء عند الانسان ويتبعها الاذلال وبيع الكرامة ، وخسارة الآخرة التي تتلخص في قول الله تعالى في وصفه علماء السوء (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آيتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) .

أما دور الاتجاه المعارض في مثل هذه الظروف ، فينبغي عليه ان يتسلح بأقصى درجات الوعي وأن لا ينجر وراء الشعارات ، فأن اصحاب هذا الاتجاه هم مستهدفون كذلك من هذه الهجمة الشرسة على المنطقة ، ومع أخذ الحيطة والحذر لا بد من مضاعفة النشاط الذى ينسجم مع هذه المرحلة الخطيرة .. على المرء ان لا ييأس من التغيير وان يندفع نحو العمل ، وان لا يراهن على التواجد الاجنبي في البلاد ، لان الرهان على الاميركيين لن يوصلنا الى خير في المستقبل .. ذلك ان الترسانة العسكرية الضخمة ، لا تستهدف حماية الوطن بل حماية النفط ، وان ارواحنا لا قيمة لها عندهم ، كما هي ارواح العراقيين والكويتيين الذين فضلوا البقاء في الكويت .

هذه الحرب المدمرة هي اسوأ على المنطقة من غزو صدام للكويت . وان حل ازمة الكويت لا يتم بحرق بلدنا وبلدان الخليج الاخرى .. وقد راينا ان الاميركيين يريدون البقاء في بلادنا حتى بعد ان تنتهي الحرب ، ليستنزفوا ما بقي من ثروات الوطن .. وفي مثل هذه الظروف لا يسع المرء الا ان يعارض ما يجري وان يمارس ما لديه من نفوذ قبل ان تتدفق الاف الجثث على مدننا مثلما تدفقت من قبل على الاخرين .

دعم صدّام أضاع الكويت .. وجعل السعودية محتلّة بالقوات الاميركية

لماذا لا يعترف الملك بأخطائه الماضية حتى لا تتكرّر ؟

لا يبدو ان العوائل الملكية والأميرية في الخليج تعتبر دعمها لعدوان صدام على الجمهورية الاسلامية في ايران خطأ فادحاً .. على الأقل مجاراة لما تعتبره الحكومات الغربية نفسها ، التي رأت ان اعطاء صدام افضل ما لديها من سلاح لوقف التمدّد الاسلامي ، كان خاطئا فارتدّ عليها .

ومع ان دول الغرب ناقشت هذا الموضوع منذ بداية الأزمة ، ووجّهت انتقادات حادّة ولاذعة لرؤساء الدول الغربية من قبل شعوبهم وصحافتهم وبقيّة اجهزة اعلامهم .. فان هذه الدول لم تعط صدام التكريتي سلاحاً مجانيًا ، وقد تركز النقد على (بيعه) الأسلحة المتطورة .

أما في دول الخليج فلا أحد يحاسب ولا أحد يعتذر .. والسعوديون لم يعتذروا كما فعل صباح الأحمد الصباح ، وزير الخارجية الكويتي اثناء زيارته لايران بعد الأزمة .. لأنهم لا يعتبرون الدّعم والتموين النفطي والمالي والعسكري كان خطأ ، بل يرون ان صدّام كان على حقّ وان ايران في الوقت الحالي انصاعت للواقع .

القضيّة هنا اكبر من ان يمرّ عليها مرور الكرام .. فما حدث في ايران من تدمير وقتل لم يصب الكويتيين معشاره ، وإنّ المنازل التي دمّرت والمدن التي مسحت من وجه الارض ، والاعراض التي انتهكت ، والملايين التي هجّرت ، انما هي عربية .

صدّام حسين لم يقتل الفرس فحسب ، بل كان ضحيته عرب ايران ، او عرب خوزستان او عربستان كما يحلو للبعض تسميتهم .. صدام التكريتي كان يقول بأنه جاء لتحرير عربستان ، فكان ان حوّل مدنها ترابا ، وحقولها يبابا تعصف فيها الرياح .

هذا هو الحقّ الذي دافع عنه السعوديون والكويتيون بصورة خاصة ، وهذه هي العروبة والانسانية التي كان يحمل لواءها صدّام التكريتي ، وهذه هي الحقوق التي دافعت عنها اجهزة الاعلام السعودية والكويتية .

ولكن الله ينتقم . فلا أحد يعتبر ما جرى امتحانا من الله ، بل هو نقمة سلّطها على الذين تسببوا في مقتل اكثر من مليون انسان ، ودمّروا مئات المدن والقرى ، وشرّدوا اكثر من ثلاثة ملايين عربي ايراني .

لم يكن لمواطني الخليج دور في تقرير دعم صدّام من عدمه ، وان كانت قد انساقت وراء الدعاية السعودية الطائفيّة التي صورت الحرب بين السنّة والشيعة .. وكانت اعتراضات البعض تذهب ادراج الرياح .

لم يقل احد يومها ان صدام حاكم دموي سفّاك ، لا دين له ولا ضمير ، وان حزبه العلماني يقوم على قاعدة الكفر والالحاد ، بل على العكس ، كان التهجّم على صدام وذمّه يؤدي بالمواطن الى الاعتقال ، كما حدث في المنطقة الشرقية السعودية ، حيث اعتقل عشرات المواطنين لأنهم شتموا صدّام حسين .

أمّا الآن فان الذي لا يشتمه هو الذي يعتقل .. ولكن ذلك لا يعني التكفير عن الماضي ، ولا الاعتراف بالخطأ ، لان الاعتراف فضيلة لا يعرفها أصحاب السمو الملكي والاميري .. بل ان الاصرار على الأثم والتفاخر بدعم رأس النفاق صدّام في السابق هو ما درجت آلة الدعاية السعودية

على تكراره .

لم يقل أحد ان صدّام خدع الملك فهد ، أو غرّر به ، لأن الملك لا يعترف بأنه أحمق ، ولا يعترف بأنه ساذج ، ولا يعترف بأنه كان يدعم جبهة الباطل التي اربكت اقتصاد البلاد في الماضي كما في الحاضر .. وكأنّ ذلك جاء مصداقاً للآية الكريمة : (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدّوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثمّ تكون عليهم حسرة ثمّ يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون) .

لقد اعترف الملك في السادس عشر من يناير الماضي ، في ردّه على رسالة صدام المفتوحة اليه ، والتي يتهمه فيها بتضييع بلاد المسلمين ، وبالتقصير في دعم بلاده أثناء الحرب ، اعترف بان السعودية قدّمت ٢٥ر٧ مليار دولار ، بينها منح اجمالية بمبلغ ٥ر٨٤ مليار دولار ، وانتاج نفطي لصالح صدّام بقيمة ٦ر٧٥ مليار دولار ، ومعدّات عسكرية بمبلغ ٢ر٧٤ مليار دولار ، وقروض ميسّرة لن يدفع صدّام قرشا منها بمبلغ ٩ر٢٥ مليار دولار .

أمّا الصحف السعودية ، وبينها صحيفة الشرق الاوسط ، فقالت ان المملكة قدمت خمسين مليار دولار لصدّام خلال العشر سنوات الماضية .

وزيادرة على هذا تفاخر الملك بما فعله ، وكأنّ تشجيع صدّام في عدوانه على ايران أنتج الخير له وللمنطقة .. وكأنّ سيل الدماء الذي تدفق مدّة ثمان سنوات حمى عرشه وعرش أمثاله من مشايخ الخليج .. يقول الملك : ان السعودية وقفت مع العراق (وقفة الرجال الأوفياء طوال الحرب التي خضتموها على مدى ثمان سنوات وأضعتم ثمارها في ثمان دقائق ودماء مليون قتيل لم تجف بعد على ثرى العراق وايران) .

هذه وقفة الرجال إذن .. أن تناصر الباطل الى آخر لحظة .. وتسكت عن جرائمه طوال هذه السنين ، وهكذا تضيع ثمار النصر في دقائق ، ولم تضع الكويت في ساعتين نتيجة دعم العدوان الصدّامي .

لو كان للايرانيين لسان لقالوا ما قاله شاعر العرب :

فإنْ نهزم فهزّامون قُدْماً
وإنْ نُهزَم فغير مهزّمينا
وما إنْ طبّنا جبنٌ ولكنْ
منايانا ودولة آخرينا
فقُلْ للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

لقد ارتدّ المبطلون على من دعمهم ، وستدفع بلادنا والكويت وامارات الخليج ، أضعاف ما دفعته لصدّام في حربه ، ثمناً لذلك الموقف غير النبيل .

ان القضيّة لم تكن عروبة او شهامة من الملك او الشيخ جابر حينما قرّرا دعم صدّام ، بل كانت موقفا سياسيا محسوبا .. ولكن حسابات الله أبت أن تجري وفق ما يشتهيه الضالون .. المسألة ان من يسلّ سيف البغي يقتل به ، وأن من أعان ظالماً في ظلمه سلّطه الله عليه .

فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا ، ولا يأسف الاّ فاعل السوء .

ما ضرّ بلادنا لو اتخذت موقف الحياد .. وماذا كنّا سنخسر إذا كان الملك يعتبر ان الطرفين أعداء له ، ان لا يضيع اموال الشعب على حرب الخاسر فيها المسلمون .. لقد اعلنت ايران انها خسرت ألف مليار في حربها مع العراق ، وذلك يشمل كلّ شيء ، من مدن ومنشات ، عدا البشر .

لقد دفع الملك - حسبما أعلن ٥ر٢٧ مليار دولار لصدّام ، على الأقل ، وأعلن ايضا انه سيتكفّل بنصف نفقات القوات الاجنبية (٢٥) مليار دولار .. وقيل بعدئذ ان السعودية تبرعت بربع التكلفة (٥ر١٣) مليار ، مثلها مثل الكويت ، كما قال وزير الخارجية الاميركي بيكر في ٢٦ يناير .

الطريف ان اسرائيل طلبت ١٣ مليار تعويض !! ، ولا شك ان تكلفة عملية درع الصحراء تشمل دعم البلدان الاخرى المشاركة في التحالف ، ومنها اسرائيل .. هذا عدا المليارات التي دفعت الى هذه الجهة او تلك شراء لمواقفها ، وعدا مئات المليارات التي خسرتها البلاد ودول الخليج والدول المنتجة للنفط بسبب حرب الاسعار التي وصلت الى سبعة دولارات ، كان أحد اهم اسبابها دخول ال سعود في الحرب الى جانب البعث الصدّامي ومحاولتهم تدمير اقتصاد الايرانيين بتدمير الاسعار عن طريق زيادة الانتاج .. وهذه احدى ثمار الحرب التي دفع اليها الملك فهد وموّلها .. وقد يكشف صدّام في المستقبل تفاصيل المؤامرة التي كان هو احد أطرافها على العالم الاسلامي .

نتيجة دعم العراق ، ضياع الكويت ، واحتلال القوات الاميركية لاراضي المملكة ، وخسائر في كل الاتجاهات .

فهل آن للملك ان يعترف بخطئه القديم الجديد ؟ .

لا لتكسب ايران من ذلك ، ولكن لنعرف مواقع اقدامنا ، ولكي نستطيع ان نحاسبه في المستقبل على مثل هذه الاخطاء التي لا يجب ان تغتفر ؟ .

بندر يتدخّل لمنع مراقبة بريد الجنود الاميركيين

أفادت معلومات موثقة ان جميع الرسائل والطرود البريدية الموجّهة لافراد الجيش الاميركي في السعودية ، تعنون الى مقر قيادة القوات الاميركية بالظهران .. وكانت الرسائل ومنذ البداية لا تخضع للتفتيش العادي الذي تقوم به وزارة البريد والبرق والهاتف السعودية .. وكان عدد من المسؤولين في البريد قد ابدوا انزعاجهم قبل ترتيب الارسال الى جهة موحّدة ، من المجلات الخلاعية وافلام الفيديو الساقطة ، والخمور وغيرها التي تمرّ بين ايديهم ، وقد أعادوا قسماً منها الى المرسلين في الولايات المتحدة .

وهنا أبدى الاميركيون انزعاجهم من هذه الرقابة التي تحدثت عنها الصحف كثيراً ، وقد اتصل الأمير بندر بن سلطان ، السفير السعودي في واشنطن ، بوزارة البريد والبرق والهاتف مطالبا بعدم التدخّل فيما يرسل للجنود الاميركيين وغيرهم من افراد القوات الغربية .

وصدر امر ملكي بهذا الخصوص باستثناء ما يرسل للجنود من التفتيش حتى ولو حوت الطرود البريدية اموراً لا يوافق عليها قانون الرقابة السعودي .

وصدر تعميم سرّي وعاجل من مدير المنطقة الشرقية للبريد ، فيصل بن فارس الفيصل ، بتاريخ السادس عشر من صفر ١٤١١ هـ ، وزّع على مراكز البريد يقول :

[نبعث لكم نسخة من برقية المقامالسامي رقم ٥ / ب / ٢٦٣٦ وتاريخ ١٢ / ٢ / ١٤١١هـ ، المحالة الينا بشرح معالي وزير البرق والبريد والهاتف بالقيد رقم ١٩٥ / س ، وتاريخ ١٣ / ٢ / ١٤١١هـ ، والمتضمنة الموافقة على اقتراح سمو سفير خادم الحرمين في واشنطن بشأن السماح بمرور الارساليات والطرود البريدية الواردة من الولايات المتحدة والموجهة لافراد القوات الاميركية المتواجدة بالمملكة ، وابداء المرونة في التعامل مع الاشياء المرسلة لهم من رسائل وصحف ومجلات وكتب واشرطة الفيديو .

للاطلاع وضع التوجيه السامي موضع التنفيذ والتحقق من ان بعائث البريد المعاد للولايات قد اعيد وفقا للنظم والتعليمات البريدية والتي لا يبرر وجود صورة العلم الدولة على طابع البريد سببا لاعادتها .. انتهى .

عليه نأمل الاطلاع واتخاذ التدابير اللازمة لتنفيذ مضمونه بكل دقّة واتقان ، وان يكون على رأس المعادات مختصين من ذوي الخبرة ومؤهلين لتطبيق التعليمات والنظم البريدية بكل دقّة واتقان] .

رسالة مفتوحة الى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

فيما يلي جزء من رسالة مفصلة وجهها احد تلاميذ الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس الادارات العامة للافتاء والبحوث والدعوة والارشاد ، وجهها اليه مستنكرا سكوته عن قيام الحكومة باستقدام القوات الاجنبية الى المملكة ، وكاتب الرسالة شخص معروف جدا لكنه طلب كتمان اسمه وحذف مقاطع معينة من رسالته حفاظا على كرامة استاذه ، لان عتاب التلميذ لاستاذه غير ماينشر على الملا كما قال ، وتكشف الرسالة جانبا من الانشقاق الموجود والمتفاقم بين المؤسسة الدينية الرسمية وبين رجال الدين المستقلين ، كما تكشف عن اسباب ذلك الانشقاق الذي يتركز في خضوع العلماء التقليديين لسلطة الاسرة المالكة او سكوتهم عما تقوم به.

صاحب السماحة استاذي الفاضل

امد الله في عمره

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد ادهشني كثيرا سكوتكم عما حل بالبلاد ، ولاسيما ماقررته العائلة المالكة من استقدام الالاف من العساكر من الكفار ثم الدخول في الحرب وما ترتب عليه من دمار للبلاد واهلها. وادهشني اكثر اقوالكم التي وان لم تكن مؤيدة للحكومة تاييدا صريحا الا انها تمثل على اقل التقادير مساندة للحكومة فيما رأته مناسبا وانتم تعلمون ان ماتراه الحكومة مناسبا لايخرج عن الركون الى اليهود والنصارى والاستعانة بهم وما ترتب على ذلك من استقدامها لمئات الالاف من الجنود من الرجال والنساء السافرات الخالعات المسترجلات ودخولها الحرب تحت رايتهم والاحتماء بحماهم.

وادهشني ثالثا ما يتردد على مسمع منكم من بعض تلاميذكم ومن يأتمرون بأمركم على منابر الجمعة وفي حلقات الدرس والوعظ من تاويل لايات الله وحديث رسول الله وسيرته بما يناسب مصلحة الحكومة وبما يبرر لها افعالها وان كانت مخالفة لصريح القرآن والسنة وسيرة الصحابة . فقد وقع هؤلاء الذين لا أشك في جهل بعضهم وفي سوء طوّية البعض الاخر وسعيه وراء اغراض دنيوية لاتخفى على العاقل ، وقعوا في القران والسنة تأويلا وتقليبا حتى استخرجوا منها من التأويلات والتفاسير مايرضي رغبات رؤسائهم الدنيويين ، وما يجعل دين الله مطية لكل ظالم ومتأول وأفّاك .كل هذا العبث في دين الله وانتم تنظرون فلا يصدر منكم انكار للمنكر ولا دعوة للمعروف ، ولا نهي لمن اعتادوا سماع رايكم عن الخوض في دين الله بما لايعلمون ، حتى لكأنما اصبح الشرع بغلا لامالك له يتلطى لامتطائه الاقزع والاعور والجاهل والعالم المخلص وذو الغرض ، حسن النية ومريض القلب.

وقد سمعنا من بعض من يحضرون مجالسكم نهيا عن الحديث في امر جنود الاجانب الذين هبطوا على بلاد الجزيرة التي حرم الله وطه تراب مقدساتها على الكفار والمشركين ، ويسألكم بعض طلاب الحق والمستفسرين عن حكم الشرع فتعرضون عن الجواب ، وتصدون السائل وذي الحاجة خشية ان تقولوا مايخالف الشرع او يقال في مجلسكم مالايرضي اهل الحول والطول والسلطان . فما اعجب الفرق بين هذا وبين صولاتكم الغاضبة في الحديث على من دونكم من اهل الاسلام الذين يخالفون اجتهاداتكم وآرائكم وليس فتواكم في الاباضية والزيدية والشيعة والصوفية وغيرهم ببعيدة العهد.

ثم اني قد وجدتكم سارعتم الى الفتوى بمروق النساء اللاتي خرجن يطالبن بالسماح لهن بسياقة السيارة ، وفساد دعواهن وحرمتم عملهن والاقتداء بهن ودعوتم السلطات الى كفهن عما اسميتموه بفسادهن ، لكنكم اغمضتم العين عن جحافل النساء اللاتي جاء بهن الجيش الامريكي في عسكره واللاتي بلغ عددهن ثلاثين الف امرأة ، وهن يقمن بكل مايفعله الرجال ويختلطن بهم وهن فوق ذلك سافرات متبرجات خالعات يخرجن الى الاسواق بسلاحهن ويقدن

هل سكوتكم عن الفساد زهدا في الدنيا ، أم خشية من السلطان ، أم رجاء الصلاح ؟!

سياراتهن بل ويشتركن في المنام في خيم مشتركة مع الجنود من الرجال وانتم تعلمون ما يؤدي اليه.

والعجب كل العجب في انكم حكمتم بكفر احد علماء البلاد المخلصين من اهل الفضل والمعرفة وهو الشيخ محمد بن علوي المالكي لانه اجاز الاحتفال بمولد نبي الاسلام محمد بن عبد الله عليه الصلوات والسلام ، وقد صدر في شأنه كما علمنا ثلاثة كتب تقول بتكفيره وكتبتم مقدمة و تقريضا لبعضها . بينما اعتصمتم بالصمت تجاه الاحتفالات الضخمة التي اقامها العسكر الاجانب بعيد ميلاد المسيح و احتفال الجنود اليهود بعيد الغفران اليهودي ، مع مارافق تلك الاحتفالات من غناء ماجن و طرب وشرب للخمر ورقص خليع يختلط فيه الرجال بالنساء العاريات او اشباه العاريات . كل ذلك يحدث في بلاد المقدسات ومبعث الاسلام ومثوى رسول الله ، وانتم عن كل ذلك ساكتون قد ضربتم عما يجري كشحا ، لاندري ازهدا في الدنيا فالزهد لايجيز السكوت عن الفساد ام خشية السلطان و ما علمنا ان شأن العلماء واهل الشريعة السكوت على المنكر ام هو رجاء الصلاح في السلطان وما عسى ان ترجونه بعد ان جرى ماجرى وبانت الحقائق كالشمس في رابعة النهار. أولا تخشون غضب الله على اهل هذه البلاد وانتم منها ، أولا تخشون الحساب يوم لاينفع مال ولابنون ، أولم تحفظوا ان افضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر.

وقد نقل عنكم بعض من التقى بكم انكم تقولون بان الامر اليوم ملتبس وهو الى الفتنة اقرب منه الى الحق الصريح او الباطل الصريح ، ولاجل هذا فانكم ساكتون حتى يتميز الحق من الباطل ، فواعجبا من هذا الرأي ، واعجبا . اين ياسماحة الشيخ موضع الالتباس ؟ انها فتنة ، ولكن الحق بيّن والباطل بيّن وليسا ملتبسين.

ان اهل الكتاب من الكفار والمشركين والموالين لهم والمستعينين بهم والراكنين اليهم هم الذين يلبسون الحق بالباطل سعيا في الصد عن دين الله وبغيا في الارض الفساد. انكم – ياسماحة الشيخ – تقراون قول الله تعالى (يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون) وقوله (قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون).

انكم خير من يعلم بان مافعله اهل السلطان معارض لصريح ما امر الله به ، يستوي في ذلك اول الافعال وهو استقدام عساكر النصارى واليهود و ما نتج عن ذلك وماتلاه وما سيأتي في عقبه مما لانعرف ، بل ان القرآن اعتبر ذلك علامة على ان من يفعله منافق في قلبه مرض ، وتعلمون ان الركون الى النصارى ودول الكفر منهي عنه في قوله تعالى (يا ايها الذين امنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لايهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ، فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين)

وتريد الحكومة ومن تنفخ فيه من الابواق ممن يدعون العلم و يتقدمون الصفوف باسم الدين ، تريد خداع الناس بالقول ان استقدام اليهود والنصارى الى موطن الرسول هو من نوع الاستعانة والاستئجار وما الى ذلك من التسميات ، فهل عدم المسلمون في الارض حتى لم يبق الا اليهود والنصارى يدافعون عن ارضنا ومقدساتنا ، هل جال اهل السلطان على بلاد المسلمين وسألوهم العون فابوا حتى اضطروا الى الاستعانة بالكفار والمشركين ثم كيف يخشى هؤلاء من هجوم اخوة لهم بغوا عليهم وكانوا من اهل دينهم ثم يامنون لمن هو عدوهم في الاصل والفرع ، قال تعالى (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين . كيف وان يظهروا عليكم لايرقبون فيكم الاّ ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم و اكثرهم فاسقون) . و قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك كن الله من ولي ولا نصير).

ياسماحة الشيخ ..

هذا كلام ناصح الى من هو اولى بأن ينصح ، واني اذ اقول ماقلت فمثلي مثل ناقل التمر الى هجر ، انتم اهل المعرفة والتقدير ، لكني حسبت ان واجبي ان اقول لكم ما اراه حقا ، واخشى ان ينفض الناس عنكم اذا استمرت مداهنتكم للسلطات على حساب الشرع الالهي – وقد حصل في كثير من الحالات وربما وصلكم خبرهم – فهذا تذكير ان الذكرى تنفع المؤمنين ، فان قبلتم ما قلت فالله اولى بالحق وان رددتموه فانما حسبي الله عليه توكلت وعليه فليتوكل المؤمنون ، و عزائي انني اديت الامانة وابلغت في النصيحة و ابرأت ذمتي امام الله ، وما بقي فهو عليكم واليكم .

عهدنا فيكم النهوض عند المعترك والصدع بكلمة الحق وان كان مرا و ماعهدنا منكم قبل هذه الواقعة الجبن والانكماش والرغبة فيما زهد فيه المتقون من دنيا السلطان وشهوات الدنيا ، وانتم الان – ابقاكم الله – في اواخر العمر ولم يبق الا قليل وتلاقون ربكم فيسالكم عما لايشفع لكم فيه مال ولابنون ولا سلطان ولادنيا ، فقلها صريحة واضحة شجاعة . . كلمة الشرع فيما حل بالبلاد ، واقطع الطريق على المتسربلين برداء الدين وهو منهم براء . (فاصدع بما تؤمر واعرض عن الجاهلين).

اعتذر عليكم ان كنت قد اطلت او تحاملت ، او قلت ماليس لي بحق

حفظكم الله وسدد خطاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وثائق المسيرة النسائية المطالبة بقيادة السيارات في الرياض

أحدثت المسيرة النسائية المطالبة بالسماح للمرأة بقيادة السيارة زوبعة في الشارع العام السعودي .. ولأن أبعاد الحدث مهمّة للغاية ، وتأثيراته ستبقى ، ونظراً لأن المشكلة وان حاول المسؤولون تجاوزها ، للتفرّغ لما هو أهم ، وهو حرب الخليج .. ستبقى علامة فارقة ونقطة تحول في الصراع الاجتماعي .. لكلّ هذا آثرنا ان نقدّم للقرّاء الوثائق المعبّرة عن مختلف الاطراف فيما يتعلق بالحدث .

فتاوى الشيخ بن باز حول مسيرة النساء

★ فضيلة الشيخ : كما تعلمون حدث ما حدث من قيام بعض النساء والفتيات بالخروج بالسيارات يوزعن المنشورات بطلب قيادة السيارات الى غير ذلك ، فما موقف المسلم وطالب العلم من ذلك ؟ .

● جواب : هذه الحادثة بادرة سوء .. وقد راجعنا مع بعض المشائخ قبل الأمس حول هذا الموضوع ، ورأينا أن يؤخذ على أولياء أمورهن من أزواجهن وولاة أمورهن التعهد على ما أحدثن .

★ فضيلة الشيخ : هل سيتم فصلهن من أعمالهن ، وبخاصة ان بعضهن يدرسن بناتنا ؟ .

● جواب : تم إبلاغ المسؤولين والمديرات أنه في حالة كلام أي احد حول الدعوة الى هذا الأمر ، فانه يتم إبلاغنا وسنقوم بما ينبغي القيام به ، وكل من يسمع او يعلم عن أحد (بثّه للشبهات) فليبلغنا عنه ، يقول فلان بن فلان ، ولو كانت من أكثر من واحد فأحسن .. وحقنا عليكم ان تبلغونا بما تعلمون ، وحقكم علينا ان نبلغها لولاة الأمور ونقوم باللازم .. ولا بدّ من التثبّت قبل نقل الكلام ، والله المعين .

★ فضيلة الشيخ : هل تنصحون بإرسال البرقيات الى ولاة الأمور للاستنكار حول ما قام به هؤلاء النسوة ؟ .

● جواب : نعم .. جيد لا بأس بذلك ، الأثنين والثلاثة .. طيّب .

★ فضيلة الشيخ : النساء في الجيش الاميركي يقدن السيارات ، فهل الشريعة لا تشملهن ، أم ماذا ؟ .

● جواب : تمّ الكلام حول هذا الأمر مع ولاة الأمور ، وسيتم معالجته إن شاء الله .

★ فضيلة الشيخ : تقترح أحدى الأخوات ان تخرج رسالة في حكم قيادة المرأة للسيارة ؟ .

● إقتراح طيّب .. وسنقوم بذلك ان شاء الله .

الرسالة التي بعثت بها النساء المطالبات بقيادة السيارة الى أمير الرياض ، الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز ، حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ،، .

انها لفئة كريمة وعظيمة من خادم الحرمين الشريفين ، ان فتح باب التطوع للمرأة السعودية المسلمة أن تخدم بلدها في هذا المجال الحيوي ، وانها لدلالة أكيدة من خادم الحرمين ، وايمان عميق منه أن المرأة ذخر طيب لهذا البلد المعطاء .

ان عصرنا الحاضر عصر مليء بالتحديات الكبيرة والتي تتطلب منا جميعا رجالا ونساء ان نكون في مستوى الوعي يوصلنا للتصدي لمثل هذه التحديات .

ان بلدنا المملكة العربية السعودية ، البلد المفدّى ، أعطانا ولازال يعطينا الكثير من الخيرات ، يناديا هذه الأيام العصيبة ، ان نرد له الجميل ، ونقدم له الولاء بجميع فئاتنا وشرائحنا الاجتماعية ، كبارا وصغارا ، رجالا ونساء ، وانه حقا بلد طيب وكريم ، وترخص له وبإسمه جميع التضحيات .

صاحب السمو .. ان حكومتنا الرشيدة ، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين ، وولي عهده الأمين ، قدّمت ولازالت تقدم للمواطنين ، جميع المواطنين ، كل ما تستطيعه من جهد وعطاء لرفعة هذا الوطن ، وجعله في مصاف الدول المتقدمة حضاريا .. ان جهودهما واضحة في شتى مناحي الحياة وميادينها ، من صناعة وتجارة وصحة وتعليم وغيرها ، وانه لتقدّم يعانق النجوم ، ويشيد به كل من رأى هذا البلد الكريم .

صاحب السمو ، ولما لمسناه في سموكم من روح متفهمة ومستوعبة لمعطيات هذا العصر ، وما للمرأة العاملة من جهد خلاق ومبدع في ظل من تعاليم ديننا الاسلامي ، تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين والحكومة الرشيدة .. نرجو ان تفتح لنا قلبك الأبوي الكبير في رعاية مطلبنا الانساني ، الا وهو قيادة السيارة داخل مدينة الرياض ، وهذا خاضع لمبررات كثيرة ، لعل من أبرزها ما يلي :

١ ـ وجود الرجل الأجنبي داخل البيت والاضطرار الى البقاء أحيانا معه داخل السيارة .

٢ ـ الأعباء المالية الأضافية التي تتحملها كثير من الأسر نتيجة لوجود مثل هذا السائق الأجنبي .

٣ ـ حدوث كثير من الأمور اللاأخلاقية داخل البيوت نتيجة لوجود السائق والخادم داخل المنزل .

٤ ـ اضطرار المرأة بأن تحل محلّ الرجل عند حدوث الأزمات والأوقات العصيبة ، مثل التي تمر بها بلادنا هذه الأيام ، نتيجة لتهديدات الحاقدين والمغرضين ، حيث تتطلب مثل هذه الظروف التحاق الرجال بجبهات القتال للدفاع عن الوطن ، وتقوم المرأة بحماية الجبهة الداخلية .

٥ ـ إيلاء المرأة مزيدا من الثقة بقدرتها على تحمّل المسؤولية الموكلة لها في المشاركة في بناء الأمة والمساهمة بشتّى الميادين .

صاحب السمو انه بوقفة موضوعية لطلبنا ، ستلاحظون في النهاية بأننا لم نطلب ما يرفضه ديننا وتعاليمه السمحة ، بل بالعكس من ذلك ، انه أمر يسنده الدين وتراث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون ، والسلف الصالح ، وما اعتمادهم على جهد وعطاء المرأة ، الاّ دليل يؤكد عظمة الاسلام وشموليته في ان اعطى كل ذي حق حقه : قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم : (خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء) .. حقا انها عظمة معلم البشرية ، وسيد الخلق ، أن ترك لنا دروسا وعبرا ، جلية كنور الشمس ، لتبدّد في النهاية ظلمات الجهل والتخلّف ، وتنير الطريق لكّ العاقلين الذين يريدون الحق ان يظلّ قويا وشامخا ، وعدوا صلبا امام كلّ المضللين .

صاحب السمو ان لنا في سموكم الكريم أمل كبير ووطيد أن تولوا مطلبنا الجدية التي يستحقها ، والذي في الحقيقة لا يعبّر عن مطلب ذاتي بقدر ما هو مطلب ينشده الوطن واولو الأمر القيمين عليه .

وفّق الله سموّكم وسدّد خطاكم ، وحمى الله الوطن الحبيب من كلّ شر ، والسلام عليكم .

تقرير أحد رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حول المسيرة النسائية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، .

فانه في يوم الثلاثاء الموافق للتاسع عشر من ربيع الثاني ١٤١١هـ ، انطلقت مسيرة نسائية الساعة الواحدة والنصف ظهرا بالسيارات من حي السفارات وتكاملت في الساعة الرابعة عصرا ، في منطقة العليا ، في شارع صلاح الدين ، بالرياض .. واجتمعت قرابة خمس واربعون امرأة بسياراتهن ، ويقمن بالقيادة بأنفسهن ، وهنّ متبرجات ، وفي مسيرة تجمهر حولها جمهور كثير .. يقود هذه المسيرة ثلاث نساء ، ويرددن شعارات (قيادة) وترد بقيّة المجموعة (حريّة) ، رافعات سواعدهن بذلك ، ومعهنّ منشور يقمن بتوزيعه ، ويزعمن ايصاله الى أمير الرياض وخلفهن بعض الرجال يقومون بمدّهن بذلك المنشور والناس في ذهول ، وفي حيرة من الأمر ، وبين مصدّق ومكذّب لما يجري .

ثم نزلت المدعوة حصّة المنيف ، وقالت انا المتحدثة بإسمهن ، ولا أحد يمسّهن بأذى ، فقال رجال الهيئة : تقفين انت ومن معك .. فقالت انا لا أخاطب الاّ رجال الأمن ، ثم ركبت وقادت السيارة الى حيث وجهها رجال الأمن بطلب منها الى صالة سمر للافراح ، ثم نزلت حصّة المنيف ، وقالت نريد أمارة الرياض ، نريد الأمير سلمان ، نريد مكرمة ملكية .. ثم قالت خلفها الدكتورة فاتن الزامل ، لن ننزل وسنسير بسياراتنا الى امارة الرياض .

ولما طلب منها ان تنزل في الخلف ويقود بها رجل ، قالت لا أحد يركب ويقود سيارتي الاّ أنا ، ولا أتنزّل أن أكلّم المطاوعة رجال الدين ، ولما جاء رئيس الهيئة امرت صديقاتها بالنزول عن القيادة والركوب في الخلف واشترطت ان لا يقود السيارة الاّ رجل أمن ليس معه مطاوعة ، ثم بعد ذلك ركب كل سيارة رجل أمن الهيئة ومن الشرطة ، وتوجهوا الى شرطة العليا .

وفي الطريق حاول بعضهن التخلّص من الموقف ، وقالت إحداهن سوف اترك السيارة وأذهب الى الجمعية النسائية ، فقالت لها احدى زميلاتها : لا تفضحينا ، نحن سواء ، وفعلا امتثلت لأمرها .

عند مركز الشرطة لم ينزلن الاّ بعدما نزلت حصّة المنيف وفاتن الزامل ، وكانت فاتن الزامل وهي استاذة في كلية العلوم الطبيّة بجامعة الملك سعود ، نازلة وهي تجر حجابها على الأرض ، وتقول بكل وقاحة لرجل الهيئة ، انا لست مقتنعة بهذا (تعني الحجاب) ، وبعد دخولهن قسم الشرطة أخذن يرقصن بعد إدخالهن الى غرفة ويصفقن فرحاً بأنهن لم يذهبن الى مركز الهيئة .

ومن كلمات حصّة المنيف في هذه الأثناء (لا نريد ان نكلّم اصحاب المكانس) ، تقصد رجال الهيئة ، وتقول بكل وقاحة : لا نكتب شيء ولا نوقع على شيء نحن نريد الأمير سلمان ، وتقول (لا نريد علماء عميان لا يبصرون ، نريد ناس متفتحين واقعيين عارفين بتحديات المجتمع ، كعلماء الأزهر ، الأزهر له ألف سنة) .

ثم جاء العقيد محمد عيسى الرشيد ، ونادى بعض النساء المتظاهرات ، مثل وفاء ، فاتن ، حصة ، ثم قامت حصّة ورمت غطاء وجهها على هذا الرجل فرحا بمجيئه واستبشارا به ، وخرجت ابنة حصة المنيف الصغيرة وقال لها قولي لأمك ان الوضع متأزّم في الخارج بين الناس ، ولكني قلت للخادمة تأتي بدلا منك ، وكشف امره من قبل رجال الهيئة وأخذ يعتذر منهم .

وفي الغد بعد أخذ التعهد عليهن ، تتبجّح عزيزة المانع الأستاذة بجامعة الملك سعود ، كلية التربية ، قسم رياض اطفال ، بقولها ، لا يهمونكم ماشين مسيرة خمس وأربعين بنت من الظهر ، ويالبت فيه تصوير وهذا انتصار عظيم ، وتضحك بملء فيها ، ومن أمن العقوبة أساء الأدب ، والله المستعان على وحشة هذا الزمان .

فتوى مفصّلة للشيخ عبد العزيز بن باز حول قيادة المرأة للسيارة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه .. أمّا بعد :

فقد كثرت الأسئلة عن حكم قيادة المرأة للسيارة .. والجواب :

لا شكّ ان ذلك لا يجوز لأن قيادتها للسيارة تؤدي الى مفاسد كثيرة وعواقب وخيمة ، منه الخلوة المحرّمة بالمرأة ، ومنها السفور ، ومنها الاختلاط بالرجال بدون حذر ، ومنها ارتكاب المحظور الذي من أجله حرمت هذه الأمور .. والشرع المطهّر منع الوسائل المؤدية الى المحرم واعتبرها محرمة ، وقد أمر الله جلّ وعلا نساء النبي ونساء المؤمنين بالاستقرار في البيوت ، والحجاب ، وتجنّب إظهار الزينة لغير محارمهن ، لما يؤدي اليه ذلك كله من الاباحية التي تقضي على المجتمع .. قال تعالى : ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله .. الاية﴾ .

وقال تعالى : ﴿يا أيّها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ .. وقال تعالى : ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهنّ على جيوبهنّ ولا يبدين زينتهنّ الاّ لبعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهنّ أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيّها المؤمنون لعلّكم تفلحون﴾ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (ما خلا رجل بامرأة إلاّ كان الشيطان ثالثهما) .. فالشرع المطهّر منع جميع الأسباب المؤدية الى الرذيلة بما في ذلك رمي المحصنات الغافلات بالفاحشة ، وجعل عقوبته من أشدّ العقوبات ، صيانة للمجتمع من نشر أسباب الرذيلة .

وقيادة المرأة من الأسباب المؤدية الى ذلك ، وهذا لا يخفى ، ولكن الجهل بالأحكام الشرعية ، وبالعواقب السيئة التي يفضي إليها التساهل بالوسائل المفضية الى المنكرات ، مع ما يبتلى به الكثير من مرض القلوب ، ومحبّة الاباحيّة ، والتمتع بالنظر الى الأجنبيّات .. كل هذا يسبب الخوض في هذا الأمر وأشباهه بغير علم ، وبغير مبالاة ، بما وراء ذلك من الأخطار ، وقال الله تعالى : ﴿قل إنّما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين .. إنّما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ .. وقال ﷺ : (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) .. وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله ، إنّا كنّا في جاهلية وشر ، فجاء الله بهذا الخير ، فهل بعده من شرّ ؟ .. قال : نعم ، قلت : وهل بعد ذلك الشرّ من خير ؟ ، قال : نعم وفيه دخن ، قلت : وما دخنه ؟ ، قال : قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ ، قال : نعم دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها ، قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، قال : هم من جلدتنا ، ويتكلّمون بألسنتنا ، قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ ، قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت : فإن لم يكن لهم إمام ، ولا جماعة ؟ ، قال : فاعتزل تلك الفرق كلّها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) .. متفق عليه .

وإنّي أدعو كل مسلم أن يتّقي الله في قوله وفي عمله وأن يحذر الفتن والداعين اليها وأن يبتعد عن كل ما يسخط الله جلّ وعلا ، أو يفضي الى ذلك وأن يحذر كل الحذر أن يكون من هؤلاء الدعاة الذين أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف .. وقانا الله شر دعاة السوء ووفق كتاب مسحفنا وسائر المسلمين لما فيه رضاه وصلاح أمر المسلمين ونجاتهم في الدنيا والآخرة ، إنّه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

الرئيس العام لادارات البحوث العلميّة والافتاء والدعوة والارشاد
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

بيان وزارة الداخلية حول قيادة المرأة للسيارة

تودّ وزارة الداخلية ان تعلن لعموم المواطنين والمقيمن ، أنه بناء على الفتوى الصادرة بتاريخ ٢٠ / ٤ / ١٤١١هـ ، من كل من سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ، وفضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، نائب رئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء ، وعضو هيئة كبار العلماء ، وفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان ، عضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء ، وعضو هيئة كبار العلماء ، وفضيلة الشيخ صالح بن محمد اللحيدان ، رئيس مجلس القضاء الأعلى بهيئته الدائمة ، وعضو هيئة كبار العلماء .. بعدم جواز قيادة النساء للسيارات ، ووجوب معاقبة من يقوم منهن بذلك بالعقوبة المناسبة ، التي يتحقّق بها الزجر ، والمحافظة على الحرم ، ومنع بوادر الشر ، لما ورد من أدلّة شرعية توجب منع أسباب ابتذال المرأة وتعريضها للفتن .

ونظرا الى ان قيادة المرأة للسيارة تتنافى مع السلوك الاسلامي القويم الذي يتمتع به المواطن السعودي الغيور على محارمه .. فان وزارة الداخلية توضح للعموم تأكيد منع جميع النساء من قيادة السيارات في المملكة العربية السعودية منعاً باتاً ، ومن يخالف هذا المنع سوف يطبّق بحقّه العقاب الرادع .. والله الهادي الى سواء السبيل .

تعميم من وزارة الأوقاف للأئمة المساجد بمنع الحديث عن مظاهرة النساء

فضيلة إمام وخطيب جامع ..... حفظه الله .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،، وبعد .

لعلّكم تعلمون بما حدث من قلّة من النسوة بخروجهن في قيادة سياراتهن في احد شوارع مدينة الرياض مخالفات بذلك الانظمة والتعليمات ، يطلبن الترخيص لهن بالقيادة بدعوى عدم اضطرارهن للجوء الى استخدام سائقين اجانب غير محارم لهن ، وقد تمّ منعهن من قبل السلطات الأمنية المختصة وتوقيفهن فور حدوث ذلك منهن ، وأمر خادم الحرمين الشريفين حفظه الله بإحالة موضوعهن لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، واشترك مع سماحته في معالجة موضوعهن اصحاب الفضيلة الشيخ صالح اللحيدان ، والشيخ عبد الرزاق عفيفي ، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان .

وقد اتفق رأيهم ، وفقهم الله ، على منع هذا الطلب وأخذ التعهد اللازم على هؤلاء النساء بعدم العودة لهذه البادرة وأخذ التعهد على أولياء أمورهنّ من أزواج وسواهم وكفالتهم لهذه النساء .. ومن أخلّ بما تعهد به سوف يتعرض للعقوبة المناسبة التي يتحقق بها الزجر والمحافظة على الحرم ، ومنع بوادر الشر ، وامر صاحب السمو الملكي وزير الداخلية بانفاذ ذلك .

وعليه ، يعتبر الموضوع منتهيا بما اتخذ حياله من اجراءات حاسمة وقاطعة من سماحته ، واصحاب الفضيلة المشايخ .

ولذلك نوجه نظركم الى عدم التعرض مطلقا لهذا الموضوع من قريب أو بعيد مادام قد تم معالجته على النحو المشار اليه ، تجنّبا للتشويش والاثارة ، ومن يخالف ذلك سيكون موضع المساءلة ، ونؤكد على تجنّب مناقشة هذا الموضوع في خطبة الجمعة أو غيرها من قبلكم او السماح لأحد بالتعرض له في الجامع ، وتقدير حساسية الظروف الحاضرة التي تتطلب وحدة الصف واتحاد الكلمة ، ولا شك انكم خير من يقدّر اهميّة ذلك في ظل الأوضاع الراهنة .

حفظكم الله ، والسلام عليكم ،،

وكيل وزارة الحج والاوقاف لشؤون المساجد
محمد بن اسحاق آل الشيخ
١٤١١/٤/٢٠هـ

تعميم من مدير جامعة الملك سعود على الطلبة والاساتذة

الأخوة أعضاء هيئة التدريس والطلاب والطالبات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

نظراً لما لاحظناه من وجود بعض الجدل واللغط في أروقة الجامعة ، وما تبع ذلك أو نتج عنه من اثارة وتوتر في بعض الأماكن ، فإنني أود ان اضع امام الجميع الحقائق الآتية :

١ ـ ان جامعة الملك سعود كانت دائماً وستظل ملتزمة بقواعد الاسلام الخالدة ورؤيته الشاملة للكون والحياة ، يحكمها كتاب الله المنزل وهدى رسوله ﷺ ، ولن تكون بحول الله في يوم من الأيام مقرّاً للالحاد أو مخالفة لشرع الله .

٢ ـ ان العمل الذي قامت به فئة من النسوة خارج الجامعة يوم الثلاثاء الماضي ، هو عمل لا تقرّه الجامعة ، ولا تتعاطف معه ، وتعدّه عملاً طائشاً لا يخدم المصلحة العامّة بشكل عام ، ولا المرأة السعودية بشكل خاص .

٣ ـ ان المشاركات في هذا العمل من منسوبات الجامعة عدد قليل من بين الفئة التي قامت بهذا العمل ، وتصرفهن لا يلزم الجامعة ، ولا يعبر عن كل اعضاء وعضوات هيئة التدريس فيها ، ويكفي ان نشير الى ان عدد عضوات هيئة التدريس ، ومن في حكمهن في الجامعة يبلغ (٧٥٩) بينما المشاركات في هذا العمل لا يتعدّى عددهن عشراً فقط .

كما ان في الجامعة في الرياض ما يزيد على أحد عشر ألفاً وخمسمائة طالبة (١١٥٠٠) لم يشارك منهن في هذا العمل إلاّ أربع فقط ، وهذا كاف لبيان مدى عدم تقبّل هذا العمل من منسوبات الجامعة .

٤ ـ ان القضية الآن في يد الدولة التي لا نشكّ في أنها ستعالجها بالطريقة المناسبة .

٥ ـ ان كثيرا من الاشاعات التي أطلقت حول بعض الأشخاص عارية من الصحة ، واستهدفت الاساءة الى تلك الأسماء .

٦ ـ ان بلادنا في هذه المرحلة من تاريخها محتاجة الى التضامن والتكاتف خلف قيادتها لمواجهة الأخطار المحدقة بها .. وأن علينا جميعا ان نجنّد انفسنا لذلك .. ولا نترك للمغرضين والمفسدين استغلال مشاعرنا الطيبة ونوايانا الحسنة لينفذوا منها الى تحقيق ماربهم في احداث الفرقة والتفكك بيننا ، واشغالنا عن توحيد صفوفنا لمواجهة أعداء ديننا وبلادنا وأمتنا ، كما أننا يجب ان نحذر من الاشاعات الكاذبة التي يطلقها اعداؤنا سلاحا للفتك بنا .

وبناء على ذلك فإنني أدعو جميع أعضاء هيئة التدريس والطلاب والطالبات الى الانصراف الى محاضراتهم العلمية التي جاؤوا من أجلها والتي أقيمت الجامعة من أجلها ، وترك الجدل والنقاش في هذا الموضوع ، وأطلب من جميع القائمين على التدريس في هذه الجامعة الاهتمام بتحضير الطلاب والطالبات ، ورفع اسماء الغائبين والغائبات عن المحاضرات ، كما أطالب جميع الطلاب والطالبات بالاهتمام بدروسهم ، وعدم التجمهر او المشاركة في أعمال مخلّة بالأمن ، أو محرّضة على إثارة الفتنة ، وأن من يصدر منه مثل هذه الأعمال فانه سيحال الى لجان التأديب لمعاقبته .

داعيا الله ان ينعم على بلادنا بالأمن والاستقرار ، وان يجنبها الفتن ما ظهر منها وما بطن .

والله ولي التوفيق .

فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين

● **أرجو توضيح حكم قيادة المرأة للسيارة، وما رأيكم بالقول ان قيادة المرأة للسيارة أخف ضررا من ركوبها مع السائق الاجنبي؟.**

★ الجواب على هذا السؤال ينبني على قاعدتين مشهورتين بين علماء المسلمين.

القاعدة الاولى : أن ما أفضى الى المحرم فهو محرم.

القاعدة الثانية : ان درء المفاسد اذا كانت مكافئة للمصالح أو أعظم، مقدّم على جلب المصالح .. فدليل القاعدة الأولى قول الله تعالى : ﴿ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾.

ودليل القاعدة الثانية : قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾، وقد حرّم الله تعالى الخمر والميسر مع ما فيهما من المنافع درء للمفسدة الحاصلة بتناولهما.

وبناء على هاتين القاعدتين يتبين حكم قيادة المرأة للسيارة .. فإن قيادة المرأة للسيارة تتضمن مفاسد كثيرة.

فمن مفاسدها نزع الحجاب، لأن قيادة السيارة سيكون بها كشف الوجه الذي هو محل الفتنة، ومحط أنظار الرجال، ولا تعتبر المرأة جميلة او قبيحة عند الاطلاق الاّ بوجهها، اي أنه اذا قيل جميلة او قبيحة لم ينصرف الذهن الاّ الى الوجه، واذا قصد غيره فلا بد من التقييد، فيقال : جميلة اليدين، جميلة الشعر، جميلة القدمين. وبهذا عرف ان الوجه مدار القصد.

ربما يقول قائل انه يمكن ان تقود المرأة السيارة بدون نزع الحجاب بأن تتلثم المرأة وتلبس في عينيها نظارتين سوداوين.

والجواب عن ذلك ان يقال : هذا خلاف الواقع من عاشقات قيادة السيارة، واسأل من شاهدهن في البلاد الأخرى. وعلى فرض أنه يمكن تطبيقه في ابتداء الأمر، فلن يدوم طويلا، بل سيتحول في المدى القريب الى ما كانت عليه النساء في البلاد الأخرى كما هي سنّة التطور المتدهور في أمور بدأت هيّنة مقبولة بعض الشيء، ثم تدهورت منحدرة الى محاذير مرفوضة.

ومن مفاسد قيادة المرأة للسيارة نزع الحياء منها، والحياء من الايمان كما صح ذلك عن النبي ﷺ، والحياء هو الخلق الكريم الذي تقتضية طبيعة المرأة، وتحتمي به من التعرض للفتنة، ولهذا كانت مضرب المثل فيه، فيقال : أحيا من العذراء في خدرها، واذا نزع الحياء من المرأة، فلا تسأل عنها.

ومن مفاسدها أنها سبب لكثرة خروج المأة من البيت، والبيت خير لها، كما قال ذلك أعلم الخلق بمصالح الخلق، محمد رسول الله ﷺ، لأن عاشقي القيادة يرون فيها متعة ولهذا تجدهم يتجولون في سياراتهم هنا وهناك بدون حاجة لما يحصل لهم من المتعة بالقيادة.

ومن مفاسدها ان المرأة تكون طليقة تذهب الى ماشاءت ومتى شاءت وحيث شاءت، من أي غرض تريده لأنها وحدها في سيارتها.

متى شاءت في اي ساعة من ليل أو نهار، وربما تبقى الى ساعة متأخرة من الليل، واذا كان الناس يعانون من هذا في بعض الشباب، فما بالك بالشابات.

حيث شاءت يميناً وشمالاً في عرض البلد وطوله وربما خارجه أيضا.

ومن مفاسد قيادة المرأة للسيارة أنها سبب لتمرد المرأة على أهلها وزوجها، فلأدنى سبب يثيرها في البيت تخرج منه وتذهب في سيارتها الى حيث ترى انها تروح عن نفسها فيه، كما يحصل ذلك من بعض الشباب وهم اقوى تحمّلاً من المرأة.

ومن مفاسدها انها سبب للفتنة في مواقف عديدة.

في الوقوف عند إشارات الطريق.

في الوقوف عند محطات البنزين.

في الوقوف عند نقط التفتيش.

في الوقوف عند رجال المرور عند التحقيق في مخالفة او حادث.

في الوقوف لملىء إطار السيارة بالهواء (البنشر).

في الوقوف عند خلل يقع في السيارة في أثناء الطريق، فتحتاج المرأة الى إسعافها، فماذا تكون حالها حينئذ؟ ربما تصادف رجلا سافلا يساومها على عرضها في تخليصها من محنتها، لا سيما إذا عظمت حاجتها حتى بلغت حدّ الضرورة.

ومن مفاسد قيادة المرأة للسيارة، كثرة الحوادث، لأن المرأة بمقتضى طبيعتها، أقل من الرجل حزماً وأقصر نظراً وأعجز قدرة، فاذا داهم الخطر عجزت عن التصرف.

ومن مفاسدها، انها سبب للارهاق في النفقة، فان المرأة بطبيعتها تحب ان تكمل نفسها بما يتعلق بها من لباس وغيره، الا ترى الى تعلقها بالأزياء كلما ظهر زي رمت بما عندها وبادرت الى الجديد، وان كان أسوأ ممّا عندها. الا ترى الى غرفتها ماذا تعلّق على جدرانها من الزخرفة. الا ترى الى ماصتها وغيرها من أدوات حاجياتها.

وعلى قياس ذلك، بل لعله أولى منه السيارة التي تقودها، فكلما ظهر موديل جديد، فسوف تترك الأول الى هذا الجديد.

وأما قول السائل : وما رأيكم بالقول إن قيادة المرأة للسيارة أخف ضرراً من ركوبها مع السائق الأجنبي؟.

فالذي أرى ان كل واحد منهما فيه ضرر، وأحدهما أضرّ من الثاني من وجه، ولكن ليس هنالك ضرورة توجب ارتكاب واحد منهما.

واعلم أنني بسطت القول في هذا الجواب، لما حصل من المعمعة والضجة حول قيادة المرأة للسيارة والضغط المكثف على المجتمع السعودي المحافظ على دينه وأخلاقه، ليستمرىء قيادة المرأة للسيارة ويستسيغها. وهذا ليس بعجيب لو وقع من عدو متربص بهذا البلد الذي هو آخر معقل للاسلام يريد أعداء الاسلام ان يقضوا عليه، ولكن هذا من اعجب العجب إذا وقع من قوم من مواطنينا، ومن ابناء جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا ويستظلّون برايتنا، قوم انبهروا بما عليه دول الكفر من تقدّم مادي دنيوي، فأعجبوا بما هم عليه من أخلاق تحرروا بها من قيود الفضيلة الى قيود الرذيلة، وصاروا كما قال ابن القيم في نونيته :

هربوا من الرقّ الذي خلقوا له // وبُلوا برقّ النفس والشيطان

وظنّ هؤلاء ان دول الكفر وصلوا الى ما وصلوا اليه من تقدّم مادي بسبب تحررهم هذا التحرر وما ذلك الا لجهلهم، او جهل الكثير منهم بأحكام الشريعة وأدلّتها الأثرية والنظرية وما تنطوي عليه من حكم وأسرار تتضمن مصالح الخلق في معاشهم ومعادهم، ودفع المفاسد، فنسأل الله تعالى لنا ولهم الهداية والتوفيق لما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة.

كتبه محمد الصالح العثيمين في ٣ / ٤ / ١٤١١ هـ

رد من العثيمين على المشاركات في المسيرة

من محمد الصالح العثيمين الى الدكتورة سهام الصويغ وزميلاتها عزيزة المانع وسعاد المانع وفوزية العبد الكريم وحصّة آل الشيخ ونضال الأحمد ومنيرة الناهض والفت محمد، وفقهن الله لما فيه الخير.

ج - وعليكنّ السلام ورحمة الله وبركاته.

وصلني كتابكن بدون تاريخ، وفهمت بما تضمنه من وجهة نظركن حول ما حدث في الرياض يوم الثلاثاء الموافق ١٩ / ٤ / ١٤١١ هـ، من المسيرة التي اختلف الناس في التعبير عن تسميتها، ولسنا بصدد التحقيق في حقيقة مسمّاها، بل تكفينا الصورة حيث سارت مجموعة من السيارات تقودها النساء في شوارع مدينة الرياض، وحيث ذكرتن في الكتاب : ١ - أنهنّ متسترات تماماً ومتنقبات.

٢ - ولم يصحب هذا اي تصرف منكر أو دعوة منكرة، او سوء من القول المنسوب اليهن.

٣ - ان هؤلاء النسوة حسبن انه ليس في قيادة المرأة إذا دعت إليها الحاجة شيء ينكره الشرع.

٤ - انه اذا لم يرد نص شرعي يحرّم المرأة ان تركب بعيرا او حمارا تقوده بنفسها، فان القياس ان تجوز لها قيادة السيارة مادامت ملتزمة بآداب الاسلام، إذا دعت الحاجة الى ذلك.

٥ - وأنه بعد أن أصدر أربعة من العلماء الأجلاء انه لا يجوز للمرأة قيادة السيارة، وأصدرت وزارة الداخلية بناء على ذلك عدم السماح للنساء بقيادة السيارات، فما أنتن ممّن يعصي ما أمر به ولي الأمر، ولا ممن يخالف اجتهاداً توصل اليه أربعة من العلماء الأجلاّء.

أقول حيث ذكر في الكتاب ما سبق، وأهمه رقم ٥، فاني أرجو الله تعالى ان يكون هذا آخر جولة كما هو أول جولة في هذا المضمار، وأن لا يكون وراءه ما يخشى من الفكرة الخاطئة التي يسمونها تحرير المرأة، وهو أعني ما يسمونه تحرير المرأة الذي يفسره واقع اولئك الدعاة اليه، ليس تحريرا لها في الحقيقة، الاّ من رق عبودية الله الذي خلقها الى رق عدوها الشيطان، ونفسها الأمّارة بالسوء، كما قالت امرأة العزيز : ﴿وما أبرىء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الاّ ما رحم ربي إن ربي لغفور رحيم﴾.. وإني أنصح كل امرأة منّ الله عليها بعلم ان تشكر ربها على هذه النعمة، وذلك بالتزام طاعته وخشيته سرّاً وعلنا.. (ثم عدد الشيخ العثيمين ١٢ نصيحة دينية رأينا أنه ليس هناك متّسع لها هنا، خاصة وانّها لا تتعلّق بصورة مباشرة بالموضوع).

كتبه محمد الصالح العثيمين من عنيزة في العشرين من جمادى الاولى ١٤١١هـ.

الإنفتاح الفكري بين المذاهب الإسلامية

★ الجهل المتبادل بين اتباع المذاهب أحد أهم أسباب الصراع المذهبي .

★ كتابات المستشرقين عن المذاهب الاسلامية تستهدف تمزيق وحدة المسلمين وتشويه نظرتهم تجاه بعضهم البعض .

ما الذى يشدّ الانسان المسلم الى مذهب من المذاهب ، او إمام من الأئمة ؟ .

ما الذى يدفعه الى اعتناق هذه الفكرة او الالتزام بذلك المنهج ؟ .

المفروض ان الدافع وعنصر الانشداد هو طلب الحقيقة والوصول الى الرأي الأصح والأصوب عقائديا وتشريعيا ، لاحراز براءة الذمّة ورضا الله سبحانه وتعالى ، حيث يتيفتح وعي الانسان المسلم في هذه الحياة فيرى أمامه عدة مناهج وطرق في فهم عقائد الاسلام ، وتحديد جزئيات احكامه ، وعند الاختلاف فإن الحق لا يتعدّد خلافا لما يراه المصوّبة ، فإذا ما كان هناك أكثر من رأي حول قضية واحدة ، فلا بد ان بعضها مصيب والاخر مخطيء ، كما ان نسبة الصواب والخطأ قد تكون نسبية بين الاراء ، وعلى أحسن الفروض فان هناك صحيح وأصح وصائب وأصوب ، مع قطع النظر عن معذورية المخطيء بل وثوابه ما دام مجتهدا قد بذل غاية وسعه ، فان المجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر واحد .

وهنا يفترض في المسلم ان يدرس ويتأمل المذاهب والمناهج المطروحة في الساحة الاسلامية ويعتمد على عقله وتفكيره ، وعوامل الاستدلال والاطمئنان المتوافرة لديه ، لكي يختار أحد تلك المناهج والمذاهب .

وهذا يعني أمرين : .

الأول : إتاحة الفرصة وتوفر المجال للاطلاع على مختلف الاراء والمذاهب بأن تسود أجواء المجتمع حرية فكرية ثقافية ، يتمكن الانسان عبرها من التعرف على جميع الطروحات والاراء ، وهذا ما كان متداولا ومعروفا في العصور الاسلامية الأولى ، حيث كانت تتعدد حلقات الافتاء والتدريس في المساجد العامة وفقا لتعدد المذاهب واختلاف الائمة ، كما كانت تنعقد جلسات المناظرة والحوار وتتداول كتب العقائد والحديث والفقه على رأي مختلف المذاهب والمدارس .

بالطبع فان حرية الفكر والثقافة حق طبيعي للانسان ، ومبدأ أساسي من مباديء الاسلام ، واذا ما انعدمت هذه الحرية الفكرية واستبدّ بالساحة مذهب واحد ورأي فكري واحد ، مع حظر باقي المذاهب وقمع سائر المدارس ، فانه لا يمكن للمسلم ان يطمئن إلى صحّة اختياره وانتخابه للمذهب المفروض عليه بشكل غير مباشر .

الثاني : إهتمام المسلم بالبحث الموضوعي وتجرّده عن دواعي التعصب والمصلحة ، ذلك ان الكثيرين لا يجدون دافعا للبحث والاهتمام ، مكتفين بما يجدون عليه عوائلهم وأهاليهم ، وما يسود في مجتمعهم وبيئتهم .

وإذا ما تجاوزنا المسألة الذاتية ومسؤولية الانسان تجاه نفسه بالبحث عن الحق لاعتناقه والتزامه ، فإن هناك قضية اخرى ترتبط بموقف الانسان تجاه الاخرين وإصداره الاحكام على معتقداتهم ومذاهبهم ، حيث لا يصح له الانطلاق من الجهل والتسرّع دون معرفة واطلاع للحكم على الاخرين ، يقول تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا) .

ان من أهم عوامل الصراع وسوء التفاهم بين اتباع المذاهب الاسلامية هو الجهل المتبادل ، وعدم الانفتاح الفكري فيما بينهم حتى على مستوى العلماء والقيادات ، حيث يحتفظ كل طرف لنفسه بانطباع وموقف سلبي تجاه الطرف الاخر ، دون ان يكلف نفسه عناء البحث والتأكد من صحة انطباعه وموقفه ، وكأنه ليس مسؤولا امام الله عن سوء ظنه بالآخرين ، وخطأ حكمه عليهم ، أو غير مدرك لما ينتجه هذا الموقف الجاهلي من اخطار وتبعات على وحدة الأمة وتماسك صفوفها .

وهذا الجهل وعدم الانفتاح بين المذاهب هو الذى يتيح الفرصة للاعداء والمغرضين ليصطادوا في الماء العكر ، وليشوهوا سمعة كل مذهب أمام المذاهب الاخرى ، وليعبئوا كل طائفة تجاه الطوائف الاخرى .

يقول احد العلماء اللبنانيين وهو يتحدث عن دور الجهل في تعميق الخلاف الطائفي بين السنة والشيعة ما يلي : (وظني ان الكثير من المسلمين لو اطلعوا على ما عليه الشيعة لم يكن منهم الا المودة والأخاء .. حدثني بعض أهل العراق فقال ما مضمونه : لما جاء الترك بجيشهم لمقابلة الانكليز محاماة عن العراق من جهة البصرة في الحرب الكبرى ، وكان في جيشهم من ديار بكر والموصل من لا يعرف الشيعة فلما رأوا من علماء الشيعة ورجالها ما رأوا من التزامهم بالصلاة وغيرها من العبادات واخلاصهم في المدافعة عن بيضة الاسلام وكيان المسلمين ، وتفانيهم في المحاماة عن دينهم ، أخذ يقول بعضهم لبعض العراقيين : انا ما كنا نعرف الشيعة ، فان كان أنتم شيعة فنحن كلنا شيعة) .. وأعجب من ذلك ما حدثني به بعض الفضلاء عن أحد أعلام الشيعة عن رجل من علماء نابلس انه قال له : (كنا نتقرب الى الله بدم الشيعي والان صرنا نتقرب الى الله بحب الشيعي)(١) .

ويبدو ان هناك إشكالا عميقا يكمن في مناهج الدراسة في الحوزات والجامعات والمعاهد الدينية ، حيث تقتصر كل مؤسسة على تدريس اتجاه معين في العقائد والفقه والعلوم الدينية ، متجاهلة سائر الاتجاهات والمذاهب ، والأخطر من ذلك هو تعبئة الطلاب في كل معهد ديني ضد ما يخالف مذهبه ومنهجه ، عبر أسلوب التهريج والاسقاط والدعاية السوداء، فيتخرج طلاب العلوم الدينية بفكر منغلق وعقلية ضيقة ، جاهلين بالرأي الاخر ، منحازين بتعصب ضده .

ولقد حدثنا التاريخ ان الاستاذ الامام الشيخ

محمد عبده راى قبل اخذه شهادة التدريس ، أن يطالع مع بعض الطلاب كتبا منها (شرح العقائد النسفية) للتفتازاني مع حواشيه ، وسوغ لنفسه اثناء ذلك أن يرجح مذهب المعتزلة في بعض المسائل الكلامية ، على مذهب الاشاعرة ، فقامت لذلك ضجة كبرى في الأزهر ووصل الأمر الى المرحوم الشيخ عليش الكبير ، وكان رجلا حاد المزاج ، سريع الغضب ، شديد الغيرة على ما يعتقد ، فهاج وماج ، وارسل الى الشيخ محمد عبده ، وكلمه في ذلك كلاما شديدا ، وتعصب للشيخ عليش في ذلك طلاب من الأزهر وعلماء ، حتى كان الشيخ عبده يضطر الى إصطحاب عصا معه وهو يقرأ الدرس خوفا على نفسة من اعتداء ذوي العصبية (٢) .

ويشير العلامة الشيخ محمد جواد مغنية إلى هذه الملاحظة الهامة في مقالة نشرتها مجلة (رسالة الاسلام) المصرية عدد تشرين الأول ١٩٥٢ م بقوله : (ان الشريعة الاسلامية لم تستخرج من الوهم والخيال ، بل لها أصول مقرره لا يختلف عليها مسلمان ، مهما كان مذهبهما ، وانما الخلاف والجدال بين المذاهب حصل فيما يتفرع عن تلك الأصول وما يستخرج منها ، فالعلاقة بين أقوال المذاهب الاسلامية هي العلاقة بين الفرعين المنبثقين عن أصل واحد) .

ونحن اذا أردنا معرفة ان هذا المذهب على حق في اسلوبه وإستخراج الحكم من مصدره دون سائر المذاهب ، فعلينا ان نلاحظ جميع الأقوال المتضاربة حول الحكم وندرسها بطريقة حيادية ، بصرف النظر عن كل قائل وعن منزلته العلمية والدينية ، ثم نحكم بما يؤدي إليه الأصل والمنطق على نحو لو أطلع عليه أجنبي لأقتنع بانه نتيجة حتمية للاصل المقرر ، وبهذا نكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

اما من يطلع على قول مذهب من المذاهب يؤمن به ويتعصب له ، لا لشيء ، الا لأنه مذهب ابائه ، ويحكم على سائر المذاهب بانها بدعة وضلالة ، فهو مصداق للاية الكريمة (واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا أولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) .

وأي فرق بين رجل أفنى العمر في حفظ معتقدات أبيه ودرسها ، لا يتجاوزها قيد انملة ، ورجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدرس شيئا ، ولكن تكونت له من بيته وبيئته عادات ومعتقدات ؟ .. أي فرق بين الرجلين حتى يقال : ذلك عالم ، وهذا جاهل ؟ .

وليس العالم من وثق برأيه ومعتقدات آبائه ، وكانت له المقدرة التامة على المحاورة والمداورة ، وإنما العالم من فصل الواقع عن ذاته وعاطفته ، وفكر تفكيرا حرا مطلقا ، لم يتعصب لرأي على رأي ، بل يقف من كل قول موقف الشك والتساؤل وان كثر به القائلون وأمن به الأقدمون .

ان احترام العالم يقاس باحترامه للحقيقة ، فهي ضالته أينما وجدت ، ولقد أثبتت التجارب ان الاختصاص بعلم من العلوم يحتاج الى ثقافة عامة ومعرفة نظريات ومباديء علوم شتى ، فكيف يكون الانسان متخصصا بعلم وهو لا يعرف عنه الا قول عالم يخالفه فيه كثير من العلماء ؟ .. واستطيع التأكد ان من الاجانب من يعرف عن الاسلام وتاريخه وشريعته ورجاله وعقائدهم ما لم يعرفه كثير من متخرجي الأزهر والنجف .

وانه لغريب ان تقوم جامعتان لهما تاريخهما وعظمتهما، احداهما في العراق والثانية في مصر ، يبحثان في موضوع واحد ، ويهدفان إلى شيء واحد : الى نشر الشريعة الاسلامية ثم لا يكون بينهما اي نوع من أنواع التعارف والتعاون .

ان في كتب الشيعة الامامية اجتهادات لا يعرفها الخواص من علماء السنة ، ولو اطلعوا عليها لقويت ثقتهم بالشيعة وتفكيرهم ، وكذا الشان بالقياس إلى كتب السنة وعلماء الشيعة .. ان اطلاع كل فريق على ما عند الاخر من أقوى البواعث على تمهيد السبيل للتقريب بين الاخوة ، من حيث يريدون أو لا يريدون .

وقبل الشيخ مغنية بعدة قرون كان العلامة

> ★ لا يجب ان ينغلق كل اتباع مذهب على انفسهم دون معرفة آراء الآخرين .

الشاطبي المتوفي سنه ٧٩٠ هـ يقرع جرس الانذار هذا بقوله : (ان تعويد الطالب على ان لا يطلع الا على مذهب واحد ربما يكسبه ذلك نفورا وإنكارا لكل مذهب غير مذهبه مادام لم يطلع على ادلته فيورثه ذلك حزازة في الاعتقاد في فضل ائمة اجمع الناس على فضلهم)(٣) .

ووصل الجهل بين المسلمين ببعضهم البعض الى حد اعتقد فيه بعض المتعصبين ان هناك فوارق تكوينية بين الشيعة وباقي المسلمين ، وان للشيعة ذنبا في اسفل اجسامهم ؟ ، فهل يضحك الانسان ام يبكي لهذا الجهل المفرط والتعصب الحاقد .. وهناك طريفه ينقلها الاصفهاني في كتابه (المحاضرات) اذ يقول : سُئل رجل كان يشهد على آخر بالكفر عند جعفر بن سليمان ، فقال : انه معتزلي ناصبي حروري رافضي ، يشتم علي بن الخطاب ، وعمر بن أبي قحافة ، وعثمان بن ابي طالب ، وأبا بكر بن عفان ، ويشتم الحجاج الذي هدم الكوفة على أبي سفيان ، وحارب الحسين بن معاوية ، يوم القطائف .. فقال له جعفر بن سليمان : قاتلك الله .. ما ادري على أي شيء أحسدك ؟ أعلى علمك بالانساب ؟ أم بالاديان ؟ أم بالمقالات ؟ .

وقد لعب بعض الكتاب والمفكرين دورا مثيرا في تكريس حالة الجهل والتضليل الاعلامي لدى كل مذهب تجاه سائر المذاهب ، حيث يقدم اولئك الكتاب صورة خاطئة تنطوي على الجهل والمغالطات عن هذا المذهب أو تلك الطائفة ، اما لغرض في نفس الكاتب ، أو لاعتماده على المصادر المعادية والمناوئة للجهة التي يكتب عنها ، أو لتقصيره في البحث والمراجعة .

فمثلا : حينما يطالع القاريء كتاب (كشف الظنون على اسامي الكتب والفنون) لمؤلفه الشيخ مصطفى بن عبدالله الحنفي (١٠١٧ هـ - ١٠٦٧هـ) والمعروف بالحاج خليفة ، فانه سيعتبره مرجعا ومصدرا في موضوعه ، لما فيه من دلالة على سعة اطلاع المؤلف ، وتقصيه للكتب وفنون المعارف ، ولكن القاريء سيصاب بالدهشة حينما يقرأ ما كتبه المؤلف عن المذهبين الامامي الشيعي والشافعي ، حيث مزج بينهما بشكل غريب ولننقل جزء من نصه :

قال (والكتب المؤلفة على مذهب الامامية الذين ينسبون إلى مذهب إبن ادريس ، اي الشافعي رحمه الله ، منها شرائع الاسلام ، والذكرى والقواعد ، والنهاية .. الخ) .

وقال عند تفسير الشيخ الطوسي ، فقيه الشيعة : (هو أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي فقيه الشيعة الشافعي ، كان ينتمي إلى مذهب الشافعي المتوفي سنة ٤٦٠هـ ، سمّاه مجمع البيان لعلوم القران)(٤) .

هذا الخلط والخطأ الذي وقع فيه مؤلف كشف الظنون لضعف اطلاعه أو عدم دقته في البحث ، أصبح نظرية يتناقلها بعض الكتاب المعاصرين دون بحث أو تمحيص كالمحامي صبحي محمصاني الذي كتب عن المذهب الشيعي قائلا (وهذا المذهب لا يختلف كثيرا عن المذهب الشافعي في فروع الفقه)(٥) .

وحتى الذين كتبوا في الفرق والمذاهب لم تأت أغلب كتاباتهم وفقا لقواعد التحقيق والموضوعية والبحث ، كما هو الحال في كتاب (الفرق بين الفرق) لأبي منصور البغدادي ، وكتاب (الملل والنحل) للشهرستاني ، وكتاب (التنصير) للاسفرائيني ، وكتاب (الفصل) لأبي حزم الظاهري .

يقول الرازي عند ذكره لكتاب (الملل والنحل) للشهرستاني : انه كتاب حكى فيه مذاهب أهل العالم بزعمه ، الا انه غير معتمد عليه لأنه نقل المذاهب الاسلامية من الكتاب المسمى بـ (الفرق بين الفرق) من تصانيف الاستاذ أبي منصور البغدادي ، وهذا الاستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ، ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح ، ثم ان الشهرستاني نقل مذاهب الفرق الاسلامية من ذلك الكتاب ، فلهذا السبب وقع فيه الخلل في نقل هذه المذاهب (٦) .

ويسجل الشيخ محمد شلتوت شيخ الجامع الازهر هذه الملاحظة على كتب الفرق بقوله : (لقد كان أكثر الكاتبين عن الفرق الاسلامية

متأثرين بروح التعصب الممقوت ، فكانت كتاباتهم مما تورث نيران العداوة والبغضاء بين أبناء الملة الواحدة ، وكان كل كاتب لا ينظر إلى من خالفه إلا من زاوية واحدة هي تسخيف رأيه ، وتسفيه عقيدته باسلوب شره أكثر من نفعه ، ولهذا فان من اراد الانصاف لا يكون رأيه عن فرقة من الفرق الا من مصادرها الخاصة ، ليكون هذا أقرب الى الصواب وأبعد عن الخطأ)(٧) .

وقال السبكي في الطبقات عند ذكره لكتاب (الملل والنحل) للشهرستاني : (ومصنف إبن حزم ابسط منه الا انه مبدد ليس له نظام ، ثم فيه من الحط على أئمة السنة ونسبة الأشاعرة ، الى ما هم بريئون منه ، ثم ان إبن حزم نفسه لا يدري علم الكلام حق الدراية على طريق إهله)(٨) .

كما ان لكتابات المستشرقين دورا سيئا في تضليل أفكار المسلمين وتشويه نظرتهم تجاه بعضهم البعض ، وكما هو معروف فان هناك أهدافا سياسية مغرضة وراء حركة الاستشراق ، لا بد ان يكون تمزيق شمل الأمة الاسلامية وتعميق الخلافات في صفوفها ، واحدا من أبرز تلك الاهداف التي تسعى حركة الاستشراق لتنفيذها ثقافيا .

من هنا جاءت كتاباتهم عن المذاهب والفرق تخدم هذا التوجه ، ومؤسف جدا ان تكون كتاباتهم مصادرا ومراجعا يعتمدها بعض المؤلفين المسلمين لتقييم التيارات والمدارس الاسلامية .

ومما يثير الدهشة والاستغراب ان بعض الكتاب يعترفون بعدم اطلاعهم على آراء وكتب الطرف الاخر ، ولكنهم مع ذلك يسمحون لانفسهم بإصدار الحكم وإتخاذ الموقف المضاد من ذلك الطرف الذي لم يسمعوا منه ولم يطّلعوا على حجته .. فالعلامة ابن خلدون في مقدمته الشهيرة يعلن اعراضه وعدم قراءته لكتب بعض المذاهب كالشيعة والخوارج ، ولكنه مع ذلك يكيل لهم القدح والتهم والطعن : قال ما نصه :

(وشذ بمثل ذلك الخوارج ، ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم بل اوسعوها جانب الانكار والقدح ، فلا نعرف شيئا من مذاهبهم ولا نروي كتبهم ، ولا اثر لشيء منها الا في مواطنهم ، فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن ، والخوارج كذلك ، ولكل منهم كتب وتاليف واراء في الفقه غريبة) .

اننا نعيش الان عصر العلم والمعرفة ، وازدياد حالة الفضول لدى الانسان للاطلاع على خبايا الكون والحياة ، والتعرف على اوضاع الشعوب والقبائل النائية والبعيدة ، فهل يصح لنا ان نجهل بعضنا البعض ، وينغلق كل منا على مذهبه ومعتقداته دون ان نوسع أفق معلوماته ، بدراسة سائر الاراء والمذاهب ، والاطلاع على مختلف التيارات والمدارس الاسلامية ؟ .

وكما ينبغي لكل قادر واع ان يسعى للمعرفة والاطلاع ، فان على اتباع المذاهب ان يعملوا لتعريف مذاهبهم وتبيين وجهات نظرهم دفعا للتهم والشبهات ، فالناس أعداء ما جهلوا .

ان ساحتنا الفكرية تعاني من الجمود والتقوقع والارهاب ، فلا بد لنا من نهضة ثقافية فكرية نرتفع بها الى مستوى الانفتاح العلمي والتحرر الفكري والتنافس المعرفي الهادف ، حتى تتفجّر الطاقات والمواهب وتتبلور الافكار والاراء ، ونستفيد من ايجابيات كل المذاهب الاسلامية لتقديم صورة مشرقة عن الاسلام العظيم للعالم ، ولبناء أسس حضارة إسلامية جديدة ترتقبها كل جماهير أمتنا بشوق ورجاء .

إننا بحاجة الى مؤسسات علمية فكرية تدرس قضايا الدين والحياة على ضوء مختلف المذاهب الاسلامية ، والى معاهد ومؤتمرات وندوات تخصصية لمناقشة موارد الاتفاق والاختلاف بين طوائف المسلمين ، بروح موضوعية أخوية .

هوامش

(١)الحقائق في الجوامع والفوارق للشيخ حبيب آل ابراهيم ، ص ١٢ .
(٢)رسالة الاسلام ، عدد ٤ ، السنة الثانية ، ص ٣٥٧ .
(٣)ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين ، ص ٥٧ .
(٤)كشف الظنون ، جزء ٢ ، ص ١٢٨١ الى ص ١٢٨٦ .
(٥)المباديء الشرعية والقانونية ، ص ٣١ .
(٦)الامام الصادق والمذاهب الأربعة ، جزء ٥ ، ص ٣٥ .
(٧)المصدر السابق ، ص ٣٦ .
(٨)المصدر السابق ، ص ٣٧ .

فرار المزيد من الطيارين السعوديين

أفادت اذاعة فرنسا الدولية ، ان عددا من الطائرات السعودية قد لجأت الى الاردن ، قيل انها اربع طائرات مع طاقمها .. جاء ذلك احتجاجاً على دخول المملكة الحرب والاشتراك فيها لتدمير كيان العراق والمملكة ، بالتعاون مع دول الغرب .

وكان طائرتان سعوديتان قد لجأتا الى الخرطوم في شهر نوفمبر الماضي لذات السبب وأشارت وكالات الانباء اليه في حينه ، ومن المحتمل ان تلجأ طائرات اخرى ، لعدم قناعة الطيارين ، وشريحة واسعة من الجيش السعودي ومن المواطنين ، بأهداف الحرب الحالية في الخليج .

ويبدو ان مسألة لجوء الطيارين السعوديين ليست جديدة .. فبعد ان اشتعلت الحرب الاهلية اليمنية عام ١٩٦٢ ، واصطدمت القوات المصرية بالسعودية ، هرب اربعة طيارين سعوديين الى القاهرة احتجاجا على اشعال الحكومة السعودية فتيل الحرب ، ودعمها للقوات الملكية ضد الثورة الجمهورية التي قادها المشير عبد الله السلال .

ومن الواضح ان الجيش السعودي لم يدخل حرباً ضدّ أعداء الامّة الحقيقيين منذ أن تأسس ، وكل الحروب التي كانت الحكومة السعودية طرفاً فيها هي حروب تستهدف بلداً عربياً .

ويقول مطلعون ان لجوء الطيارين السعوديين بطائراتهم الى المعسكر المقابل ، يعطي دلالة كافية لحجم المعارضين للحرب في صفوف السعوديين ، العسكريين ، فضلاً عن المدنيين .. ويقول مراقبون محليّون ، ان القوّة الجوية السعودية تحظى باهتمام بالغ من العائلة السعودية المالكة ، ليس فقط باعتبارها قوّة الحكم الضاربة ، ولكن لخطرها الكبير واحتمال ارتدادها على الحكم نفسه .. وخلال العقود الماضية ، ثبت ان افراد القوّة الجويّة السعودية اكثر نزوعاً من غيرهم للانقلاب ، وقد قاموا بعمليات انقلابية عديدة لعلّ اشهرها محاولة الانقلاب الفاشلة عام ١٩٦٩ .

ولهذا السبب بالتحديد ، تحظى ادارة استخبارات القوة الجوية السعودية والتي يرأسها الامير بندر الفيصل بن عبد العزيز ، بكثير من الاهتمام والتيقّظ .. وزيادة في الاحتياطات ، وضع امراء الاسرة المالكة على رأس قيادات القواعد العسكرية ، وجرّدوا الطائرات من الذخيرة حتى في احرج الأوقات ، وهناك معلومات تفيد بان هذه الاحتياطات الامنية جارية حتى في الوقت الحاضر .

كما تحرص العائلة المالكة على مراقبة تلفونات الطيارين وصناديق بريدهم ، لئلا يصل اليهم اي حديث عن المعارضة المتنامية في البلاد .

مثال هذا ، التعميم الذي أصدره الامير بندر الفيصل ووزّع على القواعد العسكرية الجوية والمؤرخ في الثالث من جمادى الاولى ١٤٠٤ هـ يقول فيه ما نصّه :

(لقد دأبت الجهات المغرضة في الخارج بارسال نشرات وكتيبات تتنافى مع عاداتنا وتقاليدنا الاسلامية ، حيث بعضها يتضمن شعوذة باسم الدين ، يقصد بها البلبلة والتشويه وتعنون الى صناديق البريد او ترسل مباشرة الى الطلاب في خارج المملكة وداخلها .. وعليه نأمل التنبيه على منسوبيكم انه في حالة وقوع اي شيء من هذه الكتيبات او النشرات المشبوهة في ايديهم ان يسلّموها فوراً لركن استخبارات القاعدة لديكم ، وترسل من قبلهم لفروع الأمن العسكري في المناطق) .

التيار الديني والعائلة المالكة .. من التحالف الى المواجهة

دراسة في التطور المعاصر للتيار السلفي في المملكة

توفيق الشيخ

يتصاعد الانشقاق تدريجيا بين العائلة المالكة والاتجاه الديني من الشباب ورجال الدين الجدد ، الى الطبقة التقليدية من العلماء والمتدينين المنسجمين عادة مع التوجه الحكومي .

ويتغذى هذا الانشقاق بالتمرد الذي يظهر الى السطح بين حين واخر .. بين التقليديين وبين كل من المتدينين المنفتحين ولاسيما رجال الدين الشباب من جهة ، والليبراليين من جهة اخرى . وقد ادت ازمة الخليج وما رافقها من استقدام لمئات الالاف من الجنود الاجانب الى البلاد ، الى اثارة مشاعر متناقضة بين الاطراف الثلاثة ، حيث يشعر التقليديون بوطأة التناقض بين ما اتفقوا عليه مع الحكومة من عدم اتخاذ سياسات مخالفة للدين بصورة مباشرة وعلنية ، وبين التواجد المكثف للغربيين وما ترافق مع ذلك من الاعلان عن ممارسات كانت حتى الان تجري في طي الكتمان ، مثل اقامة الحفلات الراقصة وظهور النساء السافرات بالسلاح في الشوارع ، وعقد دورات لتدريب النساء السعوديات على التمريض في الجيش تحت اشراف مدربين من العسكريين الرجال ، وتاثيرات هذه الاحداث وغيرها على المجتمع المحلي ، حيث ظهرت الى العلن مطالبات بالتخفيف من سيطرة المؤسسة الدينية والسماح للنساء بقدر من الحرية الاجتماعية ، وقد فسرت هذه المطالب بانها من تاثير الوجود العسكري الاجنبي في المنطقة .

يمكن تقسيم الخط الديني في المملكة الى اربع شرائح رئيسية ، ينطوي بعضها على تمايزات داخلية ، وان كانت تشترك في الاوصاف العامة :

أ – الشريحة الاولى : ويتمثل فيها رجال الدين الذين يتمتعون بالصفة الرسمية ضمن احدى المؤسسات الدينية التابعة للحكومة وفي طليعتها الرئاسة العامة لادارات البحوث والافتاء والدعوة والارشاد ، وهيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجامعة الاسلامية في المدينة المنورة وجامعة الامام محمد بن سعود في الرياض ، اضافة الى رابطة العالم الاسلامي ووزارة العدل ، ويتبع هذه المؤسسات العدد الاكبر من العلماء ، ومعظم كبار السن منهم ، وهي التي تعتبر في العادة الاداة الدينية للحكومة .

ويتزعم هذا الاتجاه الشيخ عبد العزيز بن باز ، وهو يشغل منصبا يمكن مقارنته بمنصب مفتي الديار في البلاد الاخرى ، وقد كان هذا الخط فيما مضى شديد القوة ومهيمنا على الامور المتعلقة بالدين ، لكن تنامي التيار الاسلامي الجديد قد اضعف مصداقيته ، بعد ان ظهر ان كثيرا من رجاله كانوا اضيق افقا من استيعاب التطورات الجديدة الحاصلة من حواليهم على مختلف الصعد ، ويذكر الكثيرون ان هذا الخط مازال يعتبر على سبيل المثال ان ما يقال عن كروية الارض وانها تدور حول الشمس ، مجرد كذبة من اكاذيب الغرب يقصد من ورائها التشكيك في عظمة الله تعالى .

وبالنسبة للشيخ بن باز فقد كان شديد الحيرة بين ضغوط من تلاميذه الذين يطالبونه بالتصدي لما يعتبرونه مخالفات صريحة للدين يقوم بها امراء العائلة المالكة ، ولاسيما في مسائل مثل انتهاك الحرمات والاعتداء على النساء والخروج الى الطرق العامة في حالات السكر الشديد او عرض الافلام الخلاعية في القصور ، و بين الرغبة في عدم اثارة الحكومة التي كانت تستثمر كل فرصة لتقليص صلاحيات المؤسسة الدينية ، وتمكين من يسميهم بالعلمانيين ذوي الاتجاه الغربي . ونقل عنه قوله في احد المجالس انه يعلم بما تفعله الحكومة مما يخالف الدين ، لكنه يعتقد ان مسئوليته الراهنة هي الصمت تجاهها حتى لا يوفر لها الفرصة التي تبحث عنها لتحجيم قوة المتدينين .

وتمارس احدى الهيئات التي يسيطر عليها الخط الديني التقليدي ، وهي هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تمارس دورا شبيها بدور الشرطة ، حيث تمنع الناس من الاتيان باي فعل يتنافى مع التفسيرات الرسمية للدين ، وكان رجالها حتى سنوات قليلة خلت يحملون مقصات شعر في المدن ويقبضون على الشباب الذين يطيلون شعورهم لتقصيره بالقوة ، كما كانوا يهاجمون محلات التسجيلات ويصادرون اشرطة الغناء ، و يضربون النساء الاجنبيات اللاتي لا يرتدين العباءة التقليدية ، لكن تدخلات متكررة من جانب امير الرياض سلمان بن عبد العزيز اوقفت هذه الاجراءات ، والحقيقة ان كثرة الاحتجاجات على ممارسات الخط التقليدي قد جعل الحكومة تشعر بان الناس يحملونها جزءا من المسئولية

عما يعتبرونه اجراءات غير منطقية ، واحيانا تتسم بالسذاجة ، وقد نشرت صحيفة عكاظ اليومية التي تصدر في جدة والتي يسيطر عليها الليبراليون قصة لرجل دين اختلى بسيدة وقال انه قد استطاع مناقشة (جني) في داخلها وانه قد دعاه الى الاسلام فاستجاب الجني ، واوردت الصحيفة القصة وكررتها في ايام عديدة كما سالت من علماء اخرين عن امكانية وقوعها ، ومنهم الشيخ بن باز الذي وافق على انها صحيحة ، و رغم ان الصحيفة لم تعلق ابدا على اراء العلماء تلك ولا على القصة ذاتها ، الا ان تكرارها والاهتمام بعرض تفاصيلها كان يستهدف بوضوح توفير مادة للسخرية من الخط التقليدي ، وقد شكى عديد من الصحفيين من فتاوى مماثلة مما دعا وزارة الاعلام الى منع نشر فتاوى العلماء ولا سيما الشيخ بن باز ما لم تكن قد وزعتها وكالة الانباء الرسمية التابعة للوزارة.

وكان اخر حادثة اصطدام بين الخط الديني التقليدي وبين الحكومة ، هو قرار الملك بعزل رئيس هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعيين رئيس بديل من خارج الاطار التقليدي ، بعد قيام اعضاء في الهيئة بهجوم على منزل لرجل اعمال فرنسي اثناء حفلة راقصة حضرها دبلوماسيون اوربيون وشخصيات سعودية.

ب – الخط الديني السلفي : ويتمثل فيه غالبا رجال دين من الشباب ، وهو قام كنوع من الانشقاق غير المعلن على الخط الديني التقليدي ، ويتميز باتجاه اكثر عنفا وحرفية و يطالب بتطبيق الشريعة بحذافيرها كما يفهمها رجاله ، ويقول هذا الخط بضرورة العودة الى منابع الدين الاصلية كما كان في ايام الرسول والصحابة الاوائل ، وينادى بتجاوز زمن التابعين والمجتهدين الاربعة وغيرهم باعتبارهم فسروا القران والسنة بصورة لا تتطلب بالضرورة اتباعا لتفسيرهم في كل زمان ، والاتجاه الصحيح عند اهل هذا التيار هو الاخذ المباشر بما قاله الرسول والصحابة وتفسيره ،

وكان ابرز زعماء هذا الاتجاه الشيخ ناصر الدين الالباني وهو عالم دين سوري متخصص في الحديث النبوي ، والشيخ ابو بكر الجزائري وهو سعودي من اصل جزائري .. لكن في المملكة يشعر معظم اتباع هذا الخط بان المرشد الروحي لهم هو الشيخ محمد بن عثيمين ، الذي يوصف بانه اكثر شجاعة في مواجهة الضغوط الحكومية بينما يعاب على الجزائري كونه منسجما تمام الانسجام مع المشروعات الحكومية ، وقد ادت حرب الخليج الى انشقاق بين الجزائري والالباني حينما اتخذ الاخير موقفا متشددا ضد التواجد الاجنبي في المملكة و (القصف الجوي ضد المسلمين المدنيين والمساجد في العراق) ، ودعا الى (الجهاد لتحرير الاراضي المقدسة في الحجاز من سيطرة القوات الامريكية والاوربية) .. حيث رد عليه الجزائري بعنف في خطبة له في مكة المكرمة واصفا اياه بانه لا يرى الحقائق ، وانه اغمض عيونه عن افعال صدام ، كما اكد على دعمه لمواقف الحكومة السعودية وسياساتها قائلا : ان النبي محمد عليه الصلاة والسلام قد استعان باليهود والنصارى في حروبه ضد المشركين وان المملكة فعلت الشيء نفسه.

ج – الخط الديني غير الوهابي : وهو خلافا لما يعتقد الكثيرون واسع النطاق في المملكة ، على الرغم من ان سياسة الحكومة في فرض مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب خلال العقود السبعة الماضية ، والتي تضمنت قمع اي ممارسة علنية للشعائر او التدريس على المذاهب الاخرى.

وفي الحجاز هناك العديد من اتباع المذاهب الاخرى بجميع اتجاهاتها ، كما ان غالبية المسلمين السنة في الاحساء يتبعون المذهب المالكي ، شانهم في ذلك شان معظم الخليجيين الاخرين في الكويت وقطر والامارات ، كما ان معظم السكان في تهامة الجنوبية وعسير والباحة يتبعون المذهب الشيعي الاسماعيلي ، اما في المنطقة الشرقية فان غالبية السكان من الشيعة الامامية . ولكل من هذه المذاهب علماء يدرسون غالبا في الخارج ، ولازال خريج الجامع الازهر يعتبر في مساجد الحجاز ارفع شانا من نظيره المتخرج من الجامعات الدينية السعودية ، ويميل العلماء من هذه المذاهب واتباعهم الى التسامح عادة ، كما انهم اكثر انفتاحا على التيارات الثقافية والاجتماعية الجديدة ، وربما كان مرجع ذلك هو احساسهم بالاضطهاد ، ومحدودية الفرص المتاحة لهم للتعبير عن معتقداتهم . ويتعرض هؤلاء لعداء الخط الديني التقليدي كما الخط السلفي ، وقد حكم على الشيخ محمد بن علوي المالكي وهو عالم دين بارز من مكة المكرمة بالمروق من الدين ، لانه اجاز الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، كما اصدر العديد من الكتب التي تمجد رسول الله مما يعتبره المخالفون له نوعا من التصوف القريب من الكفر ، وكان عنوان احد الكتب التي صدرت عن علماء الدين التقليديين (مع المالكي في كفرياته وضلالاته) ، وحوى مقدمة للشيخ عبد العزيز بن باز تؤيد راي الكاتب الذي حكم على المالكي بالكفر والخروج عن الدين ، كما صدرت كتب اخرى في تكفير الشيعة والصوفية ، وانتقد بعضها بشدة المذاهب الاخرى غير مذهب الامام احمد بن حنبل.

د – الاتجاه الديني الليبرالي : ويتالف غالبا من الشباب والرجال المتعلمين ، كما يضم طائفة كبيرة من الطلاب الذين درسوا في الخارج او حصلت لهم فرصة الاختلاط مع رجال دين وحركيين غير سعوديين ، ويعتقد هؤلاء ان المؤسسة الدينية الرسمية هي مجرد اداة للسيطرة على الراي العام ، تستعملها الاسرة المالكة كما تستعمل الشرطة في ضبط الشارع وفق توجهاتها ، كما انهم ينتقدون الخط السلفي لما يعتبرونه مبالغة في التشدد والعنف مع الاخرين غير الملتزمين بما يرونه جزء من الدين ، ويعتبر اصحاب هذا الخط ان ظهور السلفية كان تعبيرا عن ارادة

التيار التقليدي هو الأداة الدينية للحكومة ، وزعيمه الشيخ بن باز ، وقد بدأ يفقد مواقعه بسبب التصاقه بالحكومة

حكومية لتسطيح الصحوة الدينية المعاصرة وحجبها عن الطموح السياسي ، باشغال اكثر الافراد نشاطا فيها بالامور التظاهرية مثل اطالة اللحى والسراويل وتقصير الثياب وما الى ذلك ، بينما يغفلون عن عملية الدمج التدريجي للبلاد اقتصاديا واجتماعيا في الدائرة الغربية .

وقد دعم اصحاب الاتجاه الديني الليبرالي مطالب النساء بالتحرر من القيود الشديدة المحمية بالقوانين الحكومية ، و ايدوا المسيرة النسائية في الرياض والتي طالبت باجازة قيادة المرأة للسيارة ، كما انهم دافعوا في رسالة الى الملك عن حق المرأة في العمل ، وطالبوا بما اسموه منع احتكار الفتوى في الامور الدينية على رجال معدودين ، والمقصود بهم هيئة كبار العلماء والشيخ عبد العزيز بن باز ، او اعتبارها غير ذات الزام قانوني لمن لا يعتبرها صحيحة .

و تاثر اتباع هذا الخط كثيرا بالتطور في الفهم الديني الذي شهدته البلاد الاسلامية في السنوات الاخيرة ، كما انهم يعتبرون ان الحكم يجب ان يسير وفق الشريعة الاسلامية ، لكن الدين الذي تقول الحكومة السعودية انها تمارسه حاليا لا يعدو ان يكون حسب رايهم نوعا من النفاق . وتجد الكتب التي تنتقد المنهج الديني الرسمي رواجا شديدا في اوساط هؤلاء ومعظمهم يتمتعون بثقافة عالية ، ولديهم مناصب في الجامعات او الدوائر الحكومية ، وقد حظيت ثلاثة كتب على الاقل بانتشار واسع ، وطبعت على الات ناسخة بصورة غير قانونية بعد ان منعتها الرقابة الحكومية وهذه الكتب هي (السنة النبوية) للشيخ محمد الغزالي ، الذي انتقد بشدة ما اسماه بالفقه البدوي ، واعتبر ان تفسير الدين وفقا لما يجري في السعودية سطحي ومخالف احيانا للضرورات الدينية ، وقد رد عليه العديد من الفقهاء من الخط التقليدي والسلفي ، في كتب وعلى صفحات الصحف السعودية ، لكن تلك الردود كانت باسة بالقياس الى قوة بيان الغزالي وواقعية اطروحاته .. ومن بين تلك الكتب ايضا (اللامذهبية) للشيخ محمد سعيد البوطي ، وهو استاذ سوري متخصص في الشريعة ، هاجم بشدة الاتجاه الى تجاوز المذاهب قائلا انه يؤدي الى جعل الدين مطية لكل جاهل وصاحب غرض .. والثالث كان (مذكرات مستر همفر) وهو جاسوس بريطاني عاش في الجزيرة العربية في اواخر القرن الماضي ، ويقول مؤلفه انه هو الذي وضع الاساس لقيام التحالف بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب و محمد بن سعود مؤسس الاسرة المالكة السعودية .

* * *

تؤكد الاسرة المالكة باستمرار على ان الاسلام هو قاعدة الشرعية لنظامها السياسي ، وقد اجاب الامير خالد الفيصل امير عسير على سؤال للتلفزيون البريطاني عن منع الحكومة السعودية اجازة الاحزاب واصلاح النظام السياسي ، اجاب بالقول ان (الاسلام هو هكذا ، الاسلام يمنع الاحزاب) .. وقال الامير نايف في احد تعليقاته على سؤال حول الوقت الذي ستصدر فيه الحكومة الدستور الذي وعدت باصداره ، قال ان (الدستور موجود ويجري تطبيقه بالفعل فلا حاجة لدستور جديد ، ان دستورنا هو القران) .. لقد قام النظام السياسي السعودي على المشاركة بين عائلة ال سعود وعائلة ال الشيخ ، ومازالت هذه المشاركة قائمة حتى الان ، وان كانت قد فقدت الكثير من قوتها واسباب استمرارها بالنظر لاستقواء ال سعود وتضاؤل حاجتهم الى الاخرين ، سواء ال الشيخ او حتى شركائهم الاخرين ابناء عمهم جلوي .

لقد شهد الحلف بين الطرفين تضاؤلا في قوته منذ ان استطاع الملك السابق فيصل ابعاد اخيه سعود عن السلطة في عام ١٩٦٤ ، حيث كان قد ظهر لاول مرة الدور القوي الذي يمكن ان تلعبه المؤسسة الدينية التي كان يتزعمها آنذاك كبير عائلة ال الشيخ محمد بن ابراهيم ، والذي كان يحمل صفة مفتي الديار السعودية ، فقد اعتمد فيصل الى حد كبير على نفوذ محمد بن ابراهيم الذي استطاع استصدار فتوى من كبار علماء البلاد بعزل الملك سعود وتعيين فيصل محله ، ومن غرائب الصدف ان فيصل ينتمي الى عائلة ال الشيخ من جهة امه ، لكنه اصطدم مبكرا مع خاله الذي لم يكن على وفاق مع ابيه عبد العزيز فيما يتعلق بعلاقاته مع الانجليز ، ولاسيما قيامه بارسال فيصل مرات متعددة الى بريطانيا والولايات المتحدة ، ووضعه تحت اشراف مستشاره البريطاني جون فيلبي ، الامر الذي اعتبره الخال افسادا متعمدا لابن اخته حديث السن يومذاك . و ادى الخلاف بين الوالد والخال الى قيام فيصل بوضع الاخير تحت الاقامة الجبرية في الحجاز التي كان حاكما لها خلال حياة ابيه .

الخط السلفي إنشقّ عن التقليدي ، وهو اكثر حرفيّة وعنفا في تطبيق آرائه ، وزعيمه الشيخ ابن عثيمين

وكانت الخطوة التي افتتح بها فيصل معركته لاضعاف نفوذ ال الشيخ ، هو الغاء منصب مفتي الديار السعودية الذي كان يشغله تقليديا احد ابناء عائلة الشيخ ، واستحداث ادارة للافتاء تابعة لمجلس الوزراء ، و لتجاوز التاثير الاجتماعي والسياسي للعائلة على طلاب العلوم الشرعية ، فقد اقيمت جامعة خاصة للدراسات الدينية في المدينة المنورة وكلية للشريعة في مكةالمكرمة ، واقرت حوافز مالية للانتساب اليهما .. من بينها حصول الطلبة على رواتب شهرية وسكن مجاني وضمان تعيينهم في دوائر الدولة كقضاة او ائمة مساجد او معلمين بعد التخرج ، وبهذه الخطوة امتصت الحكومة جميع الطلبةالذين كانوا يدرسون على يد العلماء التابعين لآل الشيخ في الرياض.

وبالنسبة لابناء العائلة ذاتها ، فقد تم تشجيعهم على الدخول في المدارس المدنية وحصل كثير منهم على بعثات للدراسة الجامعية في الخارج ، وعينوا فيما بعد في مناصب حكومية في مختلف الوزارات ، كما سهلت الاسرة المالكة لاخرين فرصة الدخول في عالم التجارة . وفسرت هذه الخطوة بانها تستهدف تعويض ابناء العائلة الذين يشعرون انهم خسروا مكانتهم التقليدية كشركاء في الحكم ، كما انه من جانب آخر امتصاص لطموحاتهم نحو المناصب الدينية .

ولعل الجيل السابق من عائلة ال الشيخ الذي رافق بداية هذه التحولات لم يع بالضبط معانيها او لعله اعتبرها عابرة ، خاصة وانها رتبت بحيث تبدو طبيعية بعد وفاة اخر الكبار في العائلة وهو الشيخ محمد بن ابراهيم ، كما ان العدد الكبير من ابنائها الذين حصلوا على تعويض يعتبر من الناحية المادية مجزيا لاسيما على الصعيد الشخصي ، لم يلتفتوا الى اهمية الخسارة التي منيت بها العائلة على الصعيد السياسي ، وربما شغلتهم مكاسبهم الشخصية عن هموم العائلة.

وفي الوقت الراهن فان قادة المؤسسة الدينية الرسمية لا يعتبرون انفسهم شركاء في الحكم كما كان ال الشيخ يعتبرون في الماضي ، بل ان معظمهم يرى في نفسه موظفا كبيرا شانهم في ذلك شأن الوزراء الذين لا ينتمون الى العائلة المالكة الذين لا يصنفون في التركيبة السياسية للبلاد باعتبارهم زعماء سياسيين . وكنتيجة لذلك فقد اصبح تعيين العلماء الكبار ورؤساء المؤسسات الدينية الرئيسية في مناصبهم منوطا بالملك او وزير العدل ، بينما كان منصب الافتاء العام في الماضي ارثا محتكرا لآل الشيخ ، الذي يقوم كبيرهم ايضا بتعيين كبار العلماء ورؤساء الهيئات الدينية الرسمية.

ومن هذا يتضح ان المؤسسة الدينية الرسمية في البلاد والتي يسيطر عليها حتى الان الخط التقليدي ، تحولت من مركز لقوة سياسية تعتبر نفسها شريكا للعائلة المالكة في الحكم ، الى مجرد مجموعة من الدوائر التابعة للحكومة ، وبالتالي فان تاثيرها السياسي اصبح ثانويا وهو يقع داخل الاطار العام الذي تختاره العائلة المالكة وليس موازيا له.

لقد زاد من تهميش دور الطبقة الدينية التقليدية ما قامت به الحكومة بصورة مخططة او عفوية من ادخال عدد متزايد من رجال الدين النفعيين والاكثر حرصا على المكاسب الدنيوية الى صفوف هذه الطبقة ، وكان معظم هؤلاء من رجال الدين الذين وفدوا على البلاد من الدول العربية والاسلامية الاخرى ، واقاموا تحالفات شخصية مع السلطة بهدف تقوية نفوذهم في بلدانهم الاصلية ، وكان بعض هؤلاء قوة ضغط رئيسية للحكومة في داخل المؤسسة الدينية ، كما مارس بعضهم دور الرقابة على توجهاتها.

وقد حاول واحد من كبار زعماء ال الشيخ انقاذ ما ضاع من مجد العائلة لكنه فشل في مسعاه نتيجة خذلان العائلة له . ففي عهد الملك السابق خالد اعلن الشيخ عبد العزيز ، وهو والد وزير الزراعة الدكتور عبد الرحمن ال الشيخ ، اعلن معارضته لنهج الحكومة فيما اسماه باستئجار العلماء وطالب هؤلاء بالاستقلال عن السلطة ، كما هدد في مطلع الثمانينات بالتحالف مع ايران التي كانت قد اعلنت جمهوريتها الاسلامية للتو ، ووجه خطابا الى الامام الخميني اشاد فيه بدعوته للوحدة بين فرق المسلمين ، لكن العائلة المالكة سارعت الى احتواء هذا التوجه ، و مارس رجال العائلة الذين يتمتعون بمراكز حكومية ضغوطا عليه للكف عن دعاواه ، كما ان الحكومة حذرت العلماء الاخرين من اللقاء به ، مما اضطره للاعتزال في بيته في الرياض حتى وافاه الاجل في العام المنصرم.

وفي اوقات مختلفة حاول بعض رجال الدين اقناع الشيخ عبد العزيز بن باز باتخاذ مواقف مستقلة عن التوجه الرسمي ، خاصة بعد ان اتسع الصدع بين كبار السن والشباب من رجال الدين ، ويقال ان الشيخ محمد بن عثيمين الذي كان عضوا في هيئة كبار العلماء قد بذل جهودا في هذا الصدد ، كما ان رجال اعمال وعلماء يدعون الى انشاء بنوك اسلامية طلبوا منه الحديث مع الملك للسماح باقامة بنوك تنتهج النظام الاسلامي في معاملاتها ، خاصة بعد ان صدرت منه احتجاجات متعددة على المعاملات الربوية التي تقوم بها البنوك المحلية ، لكن يبدو ان الحكومة اقنعته بصورة او باخرى بان ذلك يعتبر تدخلا في الشئون السياسية المحظورة عليه.

تحدي جيل الشباب

حتى نهاية عقد السبعينات لم تكن الحكومة قد وعت بصورة دقيقة المخاطر الناجمة عن تبلور اتجاه ديني منشق على المؤسسة الدينية الرسمية ، لكن حادثين مهمين اجبرا السلطة على اعادة النظر في اولوياتها الامنية وسياساتها الداخلية ، وكان الحادث البارز على هذا الصعيد هو احتلال المسجد الحرام في الاول من محرم ١٤٠٠ الموافق للحادي والعشرين من نوفمبر ١٩٧٩ من جانب حركة دينية معادية للعائلة المالكة . اما الثاني فكان التظاهرات الواسعة في مدن المنطقة الشرقية والتي ظهر على اثرها وجود حركة نشطة جدا هي منظمة الثورة الاسلامية ، التي نادت يومها باسقاط العائلة المالكة واقامة نظام ديمقراطي واقرار الحريات المدنية ، وقد فسرت الانتفاضة في المنطقة الشرقية بانها نتيجة لشعور الاكثرية الشيعية التي تسكن المنطقة بالاضطهاد الطائفي والحرمان من الحقوق السياسية ، وقمعت بشدة.

لكن الحادث الاول ، اي اقتحام المسجد الحرام ، كان اشد تاثيرا واحدث صدمة عنيفة في الوسط الديني والسياسي ، فقد ظهر لاول مرة ان ما كان يعتقد من نفوذ واسع للمؤسسة الدينية في الاوساط الشعبية لم يكن سوى خيال ، كما ان الثوار انفسهم هاجموا بشدة كبار علماء الدين المتحالفين مع العائلة المالكة واعتبروهم موظفين عند من اسموهم بائمة الكفر ، وقالوا انهم (باعوا اخرتهم بدنيا آل سعود) كما جاء في احد بياناتهم.

وحينما قامت الادارة العامة للاستخبارات بمتابعة شخصية من ولي العهد – يومذاك – الامير فهد ، بدراسة لابعاد هذه الحركة ،

يرى الاتجاه الليبرالي الاسلامي ان الحكومة دعمت السلفية لتسطيح الصحوة الدينية وحجب طموحها السياسي

اكتشفت ان الجامعات الدينيه التي اقامتها الحكومه كانت هي التربه التي نشأت فيها هذه الحركة وترعرعت ، كما تبين لها ان ما يوجد في البلاد ليس فقط حركة الاخوان التي قادها الشهيد جهيمان العتيبي ، بل ثمة تسع حركات سرية اخرى على الاقل وبعضها استطاع تجنيد عدد من الاتباع يصلون الى عدة الاف ، وكان الذين خرجوا مع العتيبي قد بلغوا حسب بعض التقديرات ٢٠٠٠ مقاتل باستثناء الذين استطاعوا الفرار بالتعاون مع رفاق لهم في الحرس الوطني الذي اوكلت اليه محاصرة المسجد في الايام الاولى.

وادى ذلك الحادث الى سقوط مريع لمصداقية المؤسسة الدينية فيما يتعلق باداء الوظائف التي تريدها الحكومة منها ، وهي بالتحديد ضمان تاييد الشارع للحكم واعتبار انه يتمتع بالمشروعية الدينية في سياساته ، كما انه ادى من ناحية اخرى الى اثارة الجدل في اروقة العائلة المالكة حول فائدة وجود مؤسسة دينية بهذا الحجم مادامت عاجزة عن احتواء التعبيرات المخالفة للحكم والتي تنطلق من منطلقات دينية ، لكن الملك فهد الذي يسعى من جانبه لتحديد نشاط الخط الديني التقليدي ، ويضيق باحتجاجات رجاله على السلوك المخالف للشريعة الذي يقوم به الامراء ومن بينهم فهد شخصيا ، عارض اتخاذ اي اجراء لالغاء المؤسسة الدينية باعتبار ان البلاد تفتقر الى اي اساس آخر لاظهار مشروعية النظام السياسي ، كما ان ابعاد كبار العلماء من وظائفهم سيتيح لهم التحرك بحرية اكبر وربما يقعون تحت تاثير العلماء المعادين للاسرة ، وقد استقر الرأي على عدم ايجاد تغييرات في المدى القريب ، ووضع خطة لاستقطاب رجال دين شباب الى المؤسسة الدينية باعتبارهم اقدر على استيعاب المتغيرات ، ومخاطبة الشباب ، وتكييف مطالبهم بالصورة التي لا تضر بمصالح النظام . ويقال ان ابرز الذين استفادوا من هذه التغييرات هو وكيل وزارة العدل الشيخ صالح اللحيدان ، الذي كان حينها خطيب جمعة في احد المساجد ، لكنه اصبح الان يتبوأ منصبا رفيعا ويرجع اليه في معظم الامور التي تحتاج الى فتوى ، كما ان جميع الصحف المحلية تنشر فتاواه . بعد ان كان الشيخ بن باز يحتكر معظم المساحات المخصصة للفتاوى.

تاثير الحركة الاسلامية العربية

تطورت مناهج ونظم التدريس في الجامعات والمدارس السعودية كثيرا خلال الخمسة عشر سنة الماضية ، كما بدأ بعض خطباء المساجد يتحدثون في موضوعات تتجاوز النص المكتوب الذي تعده عادة ادارة شئون المساجد التابعة لوزارة الاوقاف ، اضافة الى ان المكتبات بدأت تبيع انواعا جديدة من الكتب لمؤلفين من خارج البلاد ، تطرح توجهات اكثر تحررا وواقعية مما كان يطرح قبل ذلك ، لقد جاء ذلك في سياق تطور عام للفهم الشعبي للدين ، وعودة الى الذات للتفكر في ما وراء الكلام المكرر الذي يقوله في العادة خطباء الجمعة . وكان ذلك التطور موازيا – وان كان متاخرا قليلا – للتطور العام الذي شهدته الحركة الدينية في العالم الاسلامي ، وكانت ذروته انتصار الثورة الاسلامية في ايران . ومن المنطقي ان هذه العودة الجديدة الى فهم الاسلام وتبنيه اقترنت مع اعتباره قاعدة للحياة واساسا للمقارنة بين الاشياء ، ومن بينها السلطة ، لقد قطعت الحركة الدينية في العالم العربي شوطا بعيدا في التحول من حدودها السابقة كتيار ثقافي ، الى طرح نفسها كبديل سياسي للنظام الحاكم في كل دولة من دول العالم الاسلامي ، وبالنسبة للعالم العربي على وجه الخصوص حققت بعض التنظيمات نجاحات مرموقة حينما تحولت الى قوى سياسية رئيسية في البلاد ، كما هو الحال في مصر والاردن والسودان والجزائر ، وهي البلدان التي اعترفت للاسلاميين بحق العمل السياسي ، بغض النظر عن البلدان الاخرى التي لاتزال الحركة الاسلامية فيها ممنوعة من الظهور العلني او المطالبة بالتمثيل والمشاركة السياسية ، رغم انها تشكل قوة غير قليلة الشأن في الاوساط الشعبية.

وقد اثر ذلك التطور تاثيرا واضحا على التحرك الديني في المملكة ، من مداخل متعددة احدها اعضاء الحركات الاسلامية العربية الذين يعملون في المملكة ، والذين كان لهم على الاغلب الدور الكبير في تطوير الدراسات الدينية في الجامعات والمدارس ، وايجاد تيار يضغط على العلماء المحليين باتجاه طرح القضايا الاكثر قربا من الواقع الاجتماعي ومعالجته من وجهة النظر الاسلامية . ان شخصيات فاعلة فبي الحركة الدينية العربية مثل الشيخ محمد الغزالي والاستاذ محمد قطب كانوا يقيمون ويعملون في البلاد حتى وقت قريب ، كما ان معظم قادة الحركات الدينية كانوا يترددون على البلاد لالقاء المحاضرات او للقاء بالاخرين ولاسيما في موسم الحج السنوي ، وكان من الطبيعي ان يترك تواجدهم ولقاءاتهم واحاديثهم تاثيرات في النفوس ، وخاصة على الشباب الاكثر طموحا والذين ربما شعر بعضهم بالفارق الهائل بين طروحات ضيوفهم الوافدين الواقعية والعقلانية ، وبين الاحاديث الانشائية للعلماء المحليين.

التاثير الايراني

شكل انتصار الثورة الاسلامية في ايران وقيام الجمهورية الاسلامية فيما بعد ، نوعا من الصدمة للعقل الديني في السعودية ، وادى الى قيام اتجاهات متناقضة .. فهو من جهة دفع بالحركة الدينية الشيعية الى العلن والى طرح مطالبها بصورة واضحة وامام الناس والحكومة على السواء ، وكرس اتجاهها السياسي ، وهو من جهة ثانية القى ظلالا من الشك على مصداقية ادعاء العائلة المالكة السعودية بكونها تعتمد الاسلام كاساس لحكمها ومصدر لشرعية نظامها السياسي ، لقد وجه قائد الثورة

آل سعود وجّهوا ضربة قويّة لشركائهم آل الشيخ ، واستبدلوهم برجال دين نفعيين شأنهم شأن الموظفين

الراحل الامام الخميني انتقادات لاذعة للعائلة المالكة السعودية وقال انها ترتدي عباءة الاسلام لتخفي حقيقة ارتباطها باعداء الاسلام ، ولاسيما الولايات المتحدة الامريكية التي اطلق عليها اسم الشيطان الاكبر ، وقال ان الاسلام الذي تدعيه العائلة المالكة هو (الاسلام الامريكي) .. وفي الحقيقة فان القفزة الهائلة التي حققها علماء ايران من المساجد الى السلطة ومقاومتهم التي لم تعرف الكلل للضغوط الاجنبية ، وعلى الخصوص اعلانهم العداء الصريح للولايات المتحدة دون السقوط في احضان الاتحاد السوفيتي ، ثم فشل الحرب السرية التي شنتها واشنطن على النظام الاسلامي الايراني ، كل ذلك اقنع الناس في المملكة بان الاسلام الحق هو ذلك الذي يدعو اليه الايرانيون ، بالمقارنة مع الاسلام الذي تدعو اليه الحكومة السعودية .

لكن الحكومة السعودية استطاعت بعد مرور اقل من اربع سنوات على الصدمة ، احتواء جانب مهم من تاثيراتها ، عندما نجحت في تحويل الانظار الى الصفة المذهبية للنظام الايراني ، الذي اصبح يصور على لسان رجال الدين التقليديين ووسائل الاعلام المحلية والمسئولين الرسميين ، باعتباره ثورة الطائفة الشيعية على السنة ، ووزعت كتيبات بصورة اسبوعية تقريبا على الدوائر الحكومية والمدارس ، توضح ان الخطر الاعظم الذي يواجه المسلمين هو احتمال نجاح النظام الشيعي الايراني في

التحول الى كيان

في نهاية السبعينات كان عدد من التيارات الاسلامية لديه امتدادات في السعودية ، من الاخوان المسلمين بمختلف تشكيلاتهم ، الى حزب التحرير وجماعة التبليغ وغيرهم ، اضافة الى التيارات المحلية مثل الاخوان ، كذلك الشأن بالنسبة للحركات الدينية الشيعية .. لكن السمة الغالبة على اعضاء هذه الحركات انها كانت نخبوية وتضم في العادة فئات محدودة من الشباب ، اما بعد انتصاف عقد الثمانينات فان عددا من هذه الحركات قد نجح في اختراق حدود النخبة الى الوسط الجماهيري العام ، واصبح لها قاعدة شعبية واسعة ، كما بدأت اسماء رموز كل حركة تظهر على السطح بصورة جلية .

وبالنسبة للحركة الشيعية فان العنصر المهم الذي مكنها من التحول الى تيار شعبي يعبر عن وجهة نظر الغالبية من السكان ، هو فشل الحكومة في استيعاب المتغيرات التي طرات على توازن القوى الاقليمي في المنطقة ، وانعكاساته على الوضع الداخلي ، ولاسيما تشديد الخناق على الطائفة الشيعية التي كانت قد خرجت لتوها من مرحلة هي الاكثر قسوة في علاقاتها مع الحكومة اثر وفاة الملك فيصل في ١٩٧٥ . فقد شعر معظم الشيعة بان اي امل في اصلاح اوضاعهم على يد الحكومة الحالية هو ضرب من الاماني غير الواقعية ، وكان البديل الوحيد هو دعم الحركة

تطور الحركة الاسلامية في البلدان العربيّة ودخولها في المعترك السياسي أثّر على تفكير الخط الديني في المملكة

مخططه لاسقاط الحكومة السنية في العراق ، وبالتالي الحكومات الشبيه في الخليج .. واخيرا سيطرة الشيعة الفرس على العرب السنة .

وكان التاثير المباشر لتلك الحملة الواسعة هو شعور النشطين في التيار الديني السلفي و التقليدي ، بان خطرا داهما يتهدد كيانهم ومعتقداتهم ياتي من ايران الشيعية ، ومما عزز هذا الشعور هو ان قادة التيار الديني في دورة صعوده الجديدة كانوا يبحثون عن قضية تثير الحماسة في صفوف اتباعهم ، وتشكل دافعا لهم للعمل بحيوية ، ولما كان اي نشاط ذي طابع احتجاجي سياسي او اجتماعي محظورا من الناحية القانونية ، ويتعرض القائمون عليه للقمع الشديد من جانب الحكومة ، كما حصل مع جماعة التبليغ التي تعرض جميع اعضائها من غير السعوديين للابعاد من البلاد .. فقد كان المجال الوحيد الممكن هو اثارتهم ضد التوجه الشيعي الايراني . لقد كان مثل هذا يحقق حاجة الحكومة وينسجم مع مشروعها ، ولذلك حظي القائمون به بالحرية المطلقة في العمل والنشاط ، كما انه يحقق رغبة زعماء التيارين التقليدي والسلفي الذين حصلوا على موضوع متجدد لاثارة الحماسة بين الاتباع ، ولم يكن ذلك مبعثا على الحرج من الناحية الدينية عند هؤلاء ، فهم في الاساس يعتقدون ان المذهب الشيعي انحراف عن الاسلام الصحيح ، ويصفون اتباعه بانهم مشركون ، وقد صدرت كتب كثيرة وفتاوى نشرت في الصحف تؤكد على هذا المنحى .

المناوئة للسلطة والتي تطالب باصلاح جذري يطال اساس النظام السياسي ، وليس مجرد اصلاح علاقاته مع الطائفة .

لقد ساعد على تكريس هذا الشعور تزايد القمع السياسي والاعتقال بدون محاكمة ، والتدخل المفرط في مختلف الشئون العقيدية للطائفة ، الذي وصل الى حد منعهم من ذبح المواشي المعدة للاكل ، باعتبارهم منحرفين عن الاسلام وتعتبر ذبيحتهم ميتة ، ومثل هذا صدر على شكل فتوى تم تكريسها قانونيا من خلال تعميم لوزير البلديات يومذاك ابراهيم العنقري . كما ان الاعتقالات طالت ابناء من ٩٠٠ عائلة على الاقل في مختلف المدن التي يسكنها الشيعة ، وبتهم تتراوح بين الاحتفاظ بكتاب او شريط كاسيت ديني والانتماء لحزب محظور او التدرب على السلاح ، وقد اورد تقرير لمنظمة العفو الدولية صدر في يناير من العام الماضي ١٩٩٠ بعض التفاصيل عن حوادث من هذا النوع ، كما ان وزارة الخارجية الامريكية انتقدت الحكومة السعودية في تقاريرها عن حقوق الانسان للسنوات ١٩٨٧ - ١٩٩٠ لما اعتبرته خروقات فاضحة للحقوق الاساسية للانسان في المناطق الشيعية بصورة خاصة .

اما بالنسبة للتيار الديني السني فقد كانت السنوات السبع الماضية سني النضوج والتبلور في حياتها ، فقد ساعد الجو الملائم الذي اتاحته الحكومة اثناء صراعها مع ايران على رفع القيود التي اعاقت في الماضي نشاط هذه التيارات ، لاسيما اثر حالة الشك التي سادت بين التيار

الديني واجهزة الامن عقب اقتحام المسجد الحرام في اواخر ١٩٧٩،

لقد استطاع التيار السلفي ان يتمدد على حساب التيار التقليدي في الاوساط الشعبية ، وفي نهاية عقد الثمانينات كان هناك مجموعات سلفية في معظم بيوت السكن الجامعية ، كما ان عددا من المساجد في المدن المختلفة اصبح ينظر اليها باعتبارها قواعد لمجموعات سلفية ، عدا عن المكتبات والمحلات الخاصة بتسجيل الاشرطة التي تعتبر مراكز اشعاع ثقافي لافكار هذا الخط.

وتمدد السلفيون ايضا الى داخل المؤسسات الدينية الرسمية التي يسيطر عليها التقليديون ، وبدأت تعود اليها صفة الخشونة والبحث عن المواجهة مع الاخرين ، وهي الصفة التي فقدتها مع تشديد سيطرة الحكومة عليها منذ عقد السبعينات ، وفي شهر نوفمبر الماضي ، اقتحم اعضاء في هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينتمون الى التيار السلفي منزلا لرجل اعمال فرنسي في الرياض و حطموا ابوابه ، كما هاجموا بالفؤوس وبنادق الصيد ومضارب التنس عشرات من الرجال والنساء الذين كانوا يقيمون حفلا راقصا حضره دبلوماسيون اوربيون وممرضات وشخصيات سعودية.

واعتبر الحادث اعلانا للتحدي من جانب التيار السلفي لسياسات الحكومة التي تسمح للاجانب بالقيام بما يعتبر خروجا علنيا عن الشريعة ، وفي الحقيقة فقد كان كشفا عن الحقيقة التي حاولت الحكومة مقاومتها والتي تتمثل في تحول التيار السلفي من مجرد اداة للصراع ضد التاثيرالايراني ، الى كيان قائم بذاته له تنظيماته واراداته الخاصة وتحليله للامور ، اعتمادا على مقولات لا تنسجم ضرورة مع مقولات الحكومة التي ساهمت الى حد بعيد في تهيئة الارض لتنشيط التيار وبلورة قوته الاجتماعية .

وفي مخفر الشرطة اعترف المهاجمون بانهم قاموا بعملهم انتقاما لكرامة الدين الذي اهانه الاجانب تحت حماية بعض الامراء ، وكانوا يشيرون الى الامير سلمان بصورة خاصة . ولم يبذل هؤلاء اي محاولة للاعتذار ، وقالوا لضابط الشرطة الذي تولى التحقيق معهم انهم قاموا بواجبهم الديني تجاه مواطنيهم ، وانهم لا يبالون بارادة من اسماهم الضابط اولي الامر – اي الحكومة – مادامت مخالفة للدين . وتقول التقارير التي رفعتها الشرطة الى وزير الداخلية عن الحادث ، ان ما لا يقل عن مئتي شخص قد شاركوا في المرحلة الاولى من الهجوم ، وان بعضهم انطلق من احد المساجد في وسط العاصمة الرياض.

وكان من بين الحوادث الملفتة للنظر ايضا .. الصراع بين التيار الديني بشقيه السلفي والتقليدي ، وبين التيار الاصلاحي حول قضية الخروج من الاطارات التقليدية التي سار عليها المجتمع او اعتبرها التيار الديني التقليدي جزء من الثوابت الدينية . لقد انجر ذلك الصراع في منتصف العام ١٩٨٥ وبدأ على صورة نقاش بين كتاب من التيارين حول الحداثة والاصالة في الادب ، واستمر طيلة عام ونصف من الزمن قبل ان يحسمه وزير الداخلية الامير نايف بن عبد العزيز الذي اصدر امرا الى الصحف بعدم التطرق من اي زاوية لهذا الموضوع.

كان الغطاء الخارجي للجدل هو موضوع الاصالة والحداثة في الادب ، وتطرق في بعض الاحيان الى تقييم التاريخ واعادة النظر في القيم الاجتماعية ، لكن جميع الذين تابعوا ذلك الجدل الذي اشتركت فيه جميع الصحف والمجلات اليومية ، لاحظوا حينها ان المشتركين فيه من التيار الليبرالي كانوا يستهدفون بوضوح تحطيم المصداقية العلمية والمكانة الاجتماعية للمتدينين التقليديين ، باظهار سذاجتهم او اغراقهم في الطروحات المتعارضة مع الادلة العلمية ، بينما كانوا يمجدون من ناحية اخرى علماء الدين المخالفين لهذا الخط باعتبارهم يمثلون رجل الدين الواقعي . اما المشتركين من الجانب الديني فقد ركزوا على اظهار الليبراليين باعتبارهم يتغذون على الفكر الماركسي ، وانهم مرتبطين بالحركة الشيوعية العربية ويسعون لتحطيم القيم الدينية ، بل ان البعض منهم ذهب الى ما هو اوسع من ذلك عندما بدأ في نشر بحوث تتناول اشخاصا بعينهم .. تتناول حياتهم الشخصية والعائلية باعتبارها ادلة على الكفر والمروق من الدين . وقبيل اقفال باب النقاش في هذا الموضوع .. صدرت بعض الكتب من جانب التقليديين تضمنت قوائم لشخصيات سعودية من المثقفين والكتاب مع ادلة على ان كلا منها كافر او شيوعي ، كان من بينها على سبيل المثال كتاب الشيخ عايض القرني (الحداثة في ميزان الاسلام) الذي قدم له الشيخ عبد العزيز بن باز مادحا المؤلف – وهو احد تلاميذه – ومؤيدا الاحكام التي اصدرها على من اسماهم بالضالين المضلين . وقد شكا المثقفون الامر للحكومة بعد ان تعرضوا للتشهير والقدح الشخصي ، لكن الحكومة لم تكن في وارد ان تفعل اي شيء جدي ، الامر الذي جعل معظمهم يعتقد ان اطرافا في الحكم ربما كانت وراء تلك الحملة ، لكنها في اعتقادي كانت صراعا اعتياديا يعبر عن اشتداد عود التيارات السياسية في البلاد وتحولها الى كيانات تشعر بالتحدي الموجه اليها وتدافع عن نفسها.

المناسبة الاخيرة التي تصارع فيها الليبراليون والخط الديني بشدة ، كانت المسيرة التي قام بها خمسون امرأة في العاصمة الرياض مطالبات بالسماح لهن بقيادة السيارة ، شانهن في ذلك شأن النساء الكويتيات اللاتي هربن مع عائلاتهن من الكويت اثر الاجتياح العراقي لاراضيها ، وكن يقدن سياراتهن في شوارع البلاد ، قبل ان تصدر وزارة الداخلية بيانا شديد اللهجة يتضمن تكرارا للاوامر السابقة القاضية بمنع النساء من قيادة السيارات باستثناء النساء العاملات في الجيش الامريكي الذي لا يخضع افراده للقوانين المحلية.

لقد سبق تلك المسيرة اعداد واسع وطبعت منشورات توضح اغراضها ، وكان مقررا ان تخرج مسيرتان اخريتان في الخبر وجدة موازيتان لمسيرة الرياض ، لكن لسبب ما لم تخرج سوى مسيرة الرياض . لكن المهم في هذا الشأن هو انعكاسات المسيرة التي اعتبرت اول استعراض قوة في الشارع للتيار الليبرالي ، وفي قضية تتصادم مع الخط الديني التقليدي بعنف كما لا تتوافق مع القوانين الحكومية السارية . وطغت اخبار المسيرة على اخبار ازمة الخليج في المجالس و التجمعات الشعبية ، كما ان التقليديين صدموا بجرأة التيار الليبرالي على استعراض قوته بهذه الصورة الصارخة ، ورغم ان الحكومة اصدرت تعليمات مشددة بمنع النقاش في الموضوع خوفا من اضطرارها للتورط في القضية في عز ازمة الخليج ، الا ان العديد من خطباء المساجد قد تحدثوا بغضب في الموضوع وطالبوا الناس بالاحتجاج ، وقال احدهم ان ما حدث هو اعلان سافر بالخروج على الدين ، وهدم للقيم التي قام عليها بناء المجتمع السعودي ، التي قال انه قام على التوحيد وافراد الله بالعبودية واتباع احكامه ، ونادى آخر

(ياللمسلمين .. ياللعار .. بناتنا يسرن في طريق الفساد ولا من يذب عن دين الله) ، كما وزعت منشورات تضمنت اسماء النساء اللاتي شاركن في المسيرة وبيان باسماء ازواجهن او آبائهن واصفا كل واحد بانه علماني امريكي او شيوعي.

وكان الذين قادوا الحملة على الليبراليين هم اعضاء التيار السلفي الذي اكد مرة اخرى انشقاقه عن الحكومة ورفضه الخضوع لسياساتها ، بل ان احد المنشورات التي وزعها السلفيون تضمن اتهاما مباشرا لعضو بارز في العائلة المالكة هو الأمير سلمان بن عبد العزيز بانه كان وراء الذين نظموا المسيرة.

ويجب ملاحظة وصف (علماني امريكي) الذي دخل في ادبيات التيار السلفي لاول مرة ، فقد كانوا في الماضي يصفون مخالفيهم بانهم شيوعيون او علمانيون ، ويبدو ان اضافة صفة الامريكي تتضمن تعريضا باستعانة الحكومة بالقوات الامريكية ، فاعتبار الامريكي صفة معيبة لم يكن مستعملا قبل هذه المناسبة التي توازت زمنيا مع توافد القوات الامريكية على البلاد ، وهو الامر الذي عارضه التيار السلفي بعنف ، لكن الحكومة لم تكن متسامحة على الاطلاق ازاء اي اعتراض على وجود الامريكيين ، مما جعل المعترضين يعربون عن احتجاجاتهم باصوات خافتة.

مقصودا من جانب زعماء التيار السلفي ام انه جاء بصورة عفوية ، لكن يمكن القول انه جاء في سياق التطور الطبيعي للتيار الديني موازيا للتطورات المماثلة في الدول العربية والاسلامية الاخرى ، وانه بالتالي سيترك تاثيراته في الساحة السياسية والاجتماعية بغض النظر عن الطريقة التي استطاع بها الوصول الى ماهو عليه الان.

العنصر المهم في الموضوع ان التيار الديني السلفي الذي ورث النفوذ الشعبي للتيار التقليدي ، تحول بالفعل من جماعة محدودة الى كيان اجتماعي واضح المعالم يمارس مهمات اجتماعية ، ويعرف بوضوح حدوده ، كما يستعمل الامكانات المتاحة له ويسعى من اجل الحصول على امكانات جديدة من داخل المؤسسة التقليدية في بعض الاحيان ، ومبتكرة في احيان أخرى.

عندما بدأ الكيان يتبلور في منتصف الثمانينات لم تكن لدى التيار طروحات سياسية واضحة تتعلق بالمملكة ، ولم يكن يطالب على الصعيد الوطني سوى بالالتزام الحرفي بتعاليم الدين – الظاهرية في معظم الاحيان – ، لكن مع تطوره وبروز قوته فان مطالب اخرى بدأت تطرح من جانبه ، كما اصبح التعاطي في الشؤون السياسية اعتياديا لدى العديد من عناصره ، وتبلورت عند قياداته الفكرة التي كانت قد انتشرت قبل ذلك في وسط الاسلاميين العرب ، والتي مضمونها ان الاصلاح مستحيل

استعداد التيار السلفي عسكريا ينطوي على وجود توجه سياسي واضح واهداف محددة ، وحتى وسائله للوصول الى تلك الأهداف

وفي الوقت الراهن يشعر اعضاء التيار السلفي بانهم حققوا انتصار مزدوجا على التيار الليبرالي حينما افشلوا محاولته للتقدم في الشارع والظهور كقوة اجتماعية رئيسية ، وعلى الحكومة حينما اضطروها للوقوف بوجه الليبراليين رغم مساندة العديد من الشخصيات الحكومية والامراء للطروحات الاجتماعية لهذا التيار

مع الحكومة وجها لوجه

الذي يستخلص من العرض التاريخي لتطور الحركة الدينية السعودية خلال السنوات العشر الاخيرة ، هو ان الحركة الدينية مرت بتحولات رئيسية منذ ان عادت الى الشعور بالحاجة الى الانفكاك من السيطرة الحكومية ، والذي ترافق مع انتقال مركز القوة والتاثير الشعبي من التيار التقليدي المتحالف مع العائلة المالكة الى التيار السلفي المستقل عنها ، والذي ربما يستثمر الامكانات المتاحة للتيار التقليدي في المؤسسات الحكومية.

لقد كان انفكاك التيار السلفي عن حاضنه الاصلي (التيار التقليدي) اشبه بعملية انقلاب مضاد على الانقلاب الذي قامت به العائلة المالكة قبل ذلك بعدة سنين ، حينما استخلصت المؤسسة الدينية الرسمية من سيطرة ال الشيخ وافرغتها بالتالي من مضمونها السياسي كقوة ثانية في البلاد موازية للعائلة المالكة ، وليس بالامكان القطع في ما اذا كان ذلك الانقلاب المضاد مادامت الدولة لا تلتزم حرفيا بتعاليم الشريعة الاسلامية ، وهذا المفهوم يحتوي ضمنا على القول بان الدولة الحاضرة غير اسلامية ، وهذه نقطة خلاف رئيسية بين تحليل هذا التيار ونظيره التقليدي الذي يعتبر ان الدولة قائمة على الاسلام ، وانها لاتزال كذلك ، وان كان فيها بعض الانحرافات التي تحتاج الى امر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وتحتاج الى تدخل ممن يعتبرهم التقليديون (اولي الامر) لقطع دابر الفساد ، وتنطوي هذه الفكرة على اعتبار الحكم الحالي شرعيا ومؤهلا لمعالجة الانحرافات عن الدين التي قد تظهر في بعض الاحيان . خلال النصف الثاني من الثمانينات قام التيار السلفي بنشاطات يمكن تصنيفها باعتبارها نشاطات سياسية ، وان كان ثمة اختلاف في تحديد دوافعها وبالتالي تصنيفها ، وتمثلت في المشاركة في الجهاد الافغاني الى جانب قوات المجاهدين التي قاتلت ضد الغزو السوفيتي لافغانستان ، وقام انصار التيار بتجنيد الشباب من بين المهاجرين العرب الفلسطينيين واليمنيين والمصريين تحديدا ، كما انضم اليهم قليل من السعوديين ، وجرى التجنيد في البداية سرا ، لكنه بعد ذلك اصبح شبه علني ، ويبدو ان اجهزة الامن كانت متساهلة في الموضوع رغم انها حرصت على مراقبة العملية ، كما حاولت منع غير السعوديين الذين ذهبوا الى افغانستان من العودة الى المملكة.

ونجد من المهم تحديد الدوافع التي كانت وراء هذا العمل بسبب

الاختلاف القائم حول طبيعتها ، فثمة من يعتقد بان ذلك كان عملية استعداد لممارسة القوة واستعمال السلاح في ظرف قادم في المملكة ، بينما يعتقد آخرون ان العملية لا تتجاوز الحماس الاني للجهاد ضد الشيوعيين ، خاصة مع انتشار الفكرة التي دعا اليها المرحوم الشيخ عبد الله عزام في محاضراته وكتاباته والقائلة بظهور كرامات وتجليات الهية في الجهاد الافغاني ، وعلى افتراض صحة الرأي الاول فان الشعور بالحاجة الى الاستعداد العسكري ينطوي على وجود توجه سياسي واضح واهداف محددة وحتى وسائل للوصول الى تلك الاهداف . ومما يؤيد هذا الرأي التفسير الذي يقدمه البعض للاقبال المتزايد من جانب اعضاء هذا التيار على الانضمام للدورات التدريبة التي نظمها الجيش اثر الاجتياح العراقي للكويت ، وثمة انطباع ينقله كثيرون ، كما يتحدث عنه احيانا بعض السلفيين مؤداه انهم يتوقعون قيام الامريكيين بممارسة ضغط على العائلة المالكة بعد انقشاع ازمة الخليج لاصلاح نظامها السياسي ، باشراك الليبراليين الذين يطلق عليهم السلفيون اسم العلمانيين الامريكيين في السلطة والقرار ، وانهم ساعتهايحتاجون لان يكونوا على قدر كاف من القوة لاجبار العائلة المالكة على اشراكهم هم ايضا او على الاقل منع سيطرة الليبراليين الذين يعتبرونهم العدو الرئيسي .

من المفيد الاشارة هنا الى ان جوهر العداء الذي يكنه التيار السلفي الان – وهو اذا حدث فلا بد انه سيكون معاديا للعائلة المالكة ، ونظامها السياسي و ارتباطها الوثيق مع الغرب ولاسيما الولايات المتحدة الامريكية .

النفوذ في الشارع

ربما يلاحظ القارىء ان العرض السابق كان مركزا على التيار السلفي ، لان اتجاه البحث كان محاولة استجلاء التحديات التي تواجهها الحكومة من جانب التيار الديني ، باعتبار ان التيار السلفي يمثل في الوقت الراهن التيار الاكثر قوة وفاعلية والاكثر عنفا في العمل لتحقيق اراداته ، وهو على الرغم من انه لم يدخل في مواجهة مفتوحة مع السلطة خلاف ما قامت به حركة الاخوان التي قادها الزعيم السلفي الراحل جهيمان العتيبي ، الا انها تبقى القوة التي تمثل التحدي الرئيسي للنظام ، و هي – من ناحية اخرى – القوة الاقل قدرة على التفاهم والمداهنة معه .

لقد تطور التياران الاخران (غير الوهابي ، والديني الليبرالي) وربما يوفق الله لعرض مفصل لمسيرتهما في عدد آخر من هذه المجلة ، بينما تقلصت قوة التيار التقليدي وهو مرشح للتحول الى خط ثانوي عديم التاثير اذا لم تحصل تطورات رئيسية تدفعه من جديد الى النشاط الذي يجب ان يبدأ باعادة النظر في تحليله للامور ونظام علاقاته الداخلية

أثناء الحرب الطائفيّة ضد ايران ، استطاع التيار السلفي ان يبلور اطروحته ويتحوّل الى كيان سياسي

لليبراليين ليس مبنيا على كون بعضهم يسعى لتغريب المجتمع المحلي ، وليس لانه ربما يفضل ادماج النظام الاقتصادي والسياسي السعودي في النظام الغربي الاوسع الذي تقوده الولايات المتحدة الامريكية ، وهو الامر الذي يثير قلق المثقفين الوطنيين والاسلاميين الليبراليين عادة ، بل لان هؤلاء يسعون لاستيراد اساليب الحياة الامريكية بما فيها من تحرر من التقاليد الاجتماعية التي يعتبرها السلفيون وسيلة من وسائل حماية القيم الدينية ، ولانهم يمارسون منذ وفاة الملك فيصل في ١٩٧٥ ضغوطا على العائلة المالكة لتقليص نفوذ رجال الدين ، ولاسيما الجهات الدينية ذات الاحتكاك المباشر مع المجتمع مثل رئاسة تعليم البنات وهيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقضاء ، وكانت الاختلافات بين الطرفين حول مثل هذه الموضوعات السبب الرئيسي لمعظم النزاعات التي قامت بينهما في السنوات الماضية .

الذي امامنا اليوم هو تيار واسع النفوذ ، يتبنى ذات المفاهيم التي تقول الحكومة انها تشكل قاعدة عملها ، لكن مع فارق ان هذه القاعدة – اي الشريعة الاسلامية – مشكوك في صحة ممارستها من جانب الحكومة ، لكنها غير مجروحة في الجانب الاخر الذي لم يمارس السلطة حتى الان ، بل ان عنفهم الشديد في التعامل مع منافسيهم يفسر غالبا بانه من باب (خذ الكتاب بقوة) كما قال خطيب في جامع الثقبة بالخبر . ومن المتوقع ان يتبلور الطرح السياسي لهذا التيار – على افتراض عدم تبلوره حتى وارتباطه التبعي بالسلطة .

ان سيطرة التيار السلفي على جانب مهم من الشارع يجب ان تمثل حافزا للتيارين الاخرين للنظر بجدية في اساليب عملهما وبالاخص علاقاتهما الثنائية التي يجب ان تتطور من خلال الحوار واتخاذ مواقف منسقة ، ومن خلال الضغط على الحكومة للسماح لهما بشيء من حرية التعبير في وسائل الاعلام . ان غياب هذين التيارين اعلاميا ومنعهما من طرح تصوراتهما في شتى الموضوعات وبالاخص رؤيتهما للاسلام واساليب تطبيقه قد جعل الساحة خالية للخط السلفي الذي لا يعتني بالفكرة قدر اهتمامه بالحماسة واظهار القوة ، ومع توفر الفراغ الفعلي في الساحة فان البديل الوحيد امام الشباب المتعطش للقيام بدور يجد من خلاله ذاته وقناعاته الدينية والاجتماعية . ومن المؤكد ان قيام التيارين المعنيين بممارسة العمل الواضح والعلني سيلفت نظر الكثير من هؤلاء الباحثين عن حقيقة كما انه سيضع تصوراتهما وتصورات الخط الاخر في موضع المقارنة امام الناس ، وهذا من شأنه ان يضع كل طرف ضمن حجمه الحقيقي القائم على طروحاته واهدافه .

من ناحية أخرى فان العائلة المالكة ستكون امام تحد بالغ القسوة من جانب التيار السلفي ، وهي قد تستطيع احتواء الاثار الخطرة لهذا التحدي اذا بادرت الى اصلاح علاقاتها بالتيارين الاخرين ، وسمحت لهما بحرية العمل الفكري والاجتماعي على الاقل.

الاحلام التي دفنتها رمال الصحراء

فكّ حزام الأمان واستلقى على ظهره .. نظر من خلال النافذة فرأى نفسه يسبح فوق الغيوم المتقطّعة ، التي لمح من خلالها اشياء صغيرة ، لا تكاد تميّز من ارتفاع الطائرة .

جالت في مخيلته خواطر عديدة .. رأى نفسه يُستقبل استقبال الفاتحين في مطار الرياض ، وكيف سيرحب به موظفو المطار ، وسيستشقون منه اريج المسجد الاقصى ، وكيف سيستقبله جلالة الملك بكل حبّ واحترام .. وسيبكي بحرقة عندما يحدثه عن فلسطين وشعبها .

استيقظ من احلامه على صوت مضيفة الطائرة ، وهي تقدّم له وجبة خفيفة .

أكل منها شيئا قليلاً ، الاّ ان ما يراوده من احلام ، منعه من الاسترسال في الاكل .. وغاب في احلامه .. عدّد الاقتراحات التي سيقدّمها للملك ، والتي - بلا شك - سيتفاعل معها ، اوليس هو حامي الحرمين ، الا يغار على القدس كما يغار على مقدسات الاسلام الاخرى ؟! .

وفجأة تناهى الى سمعه صوت كابتن الطائرة ، يطلب من المسافرين الاستعداد للهبوط في مطار الرياض ، بعد رحلة من بيروت استغرقت ساعتين ونصف .

كان اول الهابطين من الطائرة من شدّة اللهفة والشوق ، واستنشق عبير الصحراء عند الفجر ، او هكذا بدا له ، ثم سار بخطوات متسارعة الى مبنى المطار ، حيث التفتيش واجراءات الدخول .

قدّم جواز سفره الى موظف الجوازات ، الذي ما ان دقّق فيه حتى قال بلهجة لا تخلو من العصبيّة :

- أنت فلسطيني ؟ .
- نعم .
- ما إسمك؟ .
- شاكر صلاح خيري .

أعاد النظر الى الجواز ثمّ انحنى على زميل له كانت تغالبه هبات النعاس .. وبعد مداولات غير قصيرة ، أمره أحدهم بلهجة حادّة ان ينتظر جانبا حتى يناديه .

ارتمى على أقرب كرسي وجلس وهو يرقب عملية ختم جوازات المسافرين ، وكانت روحه تكاد تنقبض كلّما اختلس الموظف نظرات الشك والريبة التي يسدّدها باتجاهه .. وبعد اكثر من ساعتين ، تقدّم اليه احدهم ، وامره ان يتبعه .

سار وراءه مسافة طويلة الى ان وصلا الى غرفة ، امره بالجلوس عند بابها ، ودخل الموظف الى الغرفة تاركا الباب مفتوحاً .. لمحه شاكر وهو يؤدي التحيّة العسكرية للجالس وراء المكتب الفخم ، وشاهده وهو يقدّم اليه جواز سفره ويهمس في اذنه بكلمات .

صرخ المسؤول : فاضين عالصبح ، خلّي هالجلف يدخل ! .

دخل المشرّد عن وطنه ، فرأى ضابطاً برتبه لواء - هكذا بدا من شارته التي وضعها على كتفه - ، وتابعه وهو يشعل سيجارة يخرج دخانها من انفه في صمت ودون ان ينظر اليه .. وبعد نحو عشر دقائق من الانتظار ، أشار عليه بالجلوس ، دون ان يكلّف نفسه بالكلام ، بل كانت الاشارة أبلغ من اي معنى .

قلّب اللواء الاوراق ، وتنبّه شاكر ان من امامه هو مدير أمن المطار اللواء مبارك جهيم الشمّري .. هذا والصمت يلفّ الغرفة ، وقد وجد نفسه غير قادر حتى على السؤال عن الموضوع .

وفجأة ، أمطره مدير الأمن بالاسئلة الحادّة : ما إسمك ، جنسيتك ، مهنتك ، عمرك ، لماذا أتيت الى هنا ، مَن سيستقبلك ، اين ستسكن ؟! .

بمزيج من الخوف والإرتباك ، أجاب على الاسئلة .. وعاد اللواء يقلّب الاوراق متصنّعا العمل .. رفع سماعة التليفون وضغط على الارقام ، ثم استدار بكرسيّة الى الخلف ، وراح يهمهم ويدمدم ، يرتفع الصوت تارة وينخفض أخرى .. وما ان فرغ حتى استدار اليه ، وبعينين محمرّتين من النعاس يتطاير الشرر منهما ، امره ان ينتظر خارج الغرفة .

أصاب شاكر الهمّ والغم ، أهكذا يُستقبل المجاهدون الفلسطينيون ؟! .

كلاّ .. هؤلاء بدو لا يجيدون التعامل مع البشر ، ولكن جلالة الملك ، نوعيّة اخرى بكل تأكيد .

وبعد نصف ساعة استدعاه الضابط مرّة ثانية ، وأمره ان يقف بمحاذاة باب غرفته ، ثم رمى الجواز عليه ، وأشار عليه بالانصراف ، دون ان يتلفظ بكلمة .

تأمّل الجواز وهو يمشي فرأى ختم الدخول .

الحمد لله ، هكذا قال ، الآن استطيع الانصراف .. وحمل حقيبته الصغيرة ، التي تحوي ملابسه المتواضعة ، وسأل عن مخرج المطار ، فأرشده احد عمال النظافة اليه .

وعند باب المطار سأله بدوي حديث النعمة ، أين يذهب ، قال : الى أيّ فندق .

- تعال أودّيك فندك رمال الصحرا .

ركب سيارة الاجرة ، وراح يتأمّل المدينة ، والسيارة تنهب الارض نهباً .. المحلاّت والعمارات تملأ عينيه ، وأحدثت أثرها في نفسه ، ولكنّه سرعان ما تناسى كلّ ذلك حين رأى الأكواخ الخشبية التي نكرته بمخيمات الفلسطينيين في الاردن وسوريا ولبنان .. سأل السائق عمّن يسكنها ، فأجابه بأنهم خليط من بدو الصحراء والاجانب .

توقفت السيارة ، وصاح السائق : هذا هو فندك رمال الصحرا .

دلف شاكر الى الفندق بعد ان اعطى السائق اجرته .. وفي غرفة الاستقبال ، طلب من موظف الاستقبال ان يهيء له غرفة صغيرة نظيفة هادئة .. وهنا نظر الموظف الى قائمة المفاتيح وقال له بأن الغرفة رقم ٢٤٢ تناسبه .

أثار الرقم تشاؤمه ، ولكنه قال : لا بأس .. واستلم المفتاح ، وبعد ان دخل الغرفة استلقى على سريرها ، وعادت اليه أحلامه بشأن تفاعل المسؤولين ، وعلى رأسهم الملك بشأن القضيّة الفلسطينية .. وفيما هو يفكر صرعه النوم بعد ان اخذ التعب منه مأخذا عظيما ، ولم يستيقظ الاّ على اصوات المؤذنين لصلاة الظهر ، فتوضّأ وشرع في الصلاة .

بعد الصلاة والغذاء ، نزل الى غرفة الاستقبال ، وتحدث مع الموظف عن كيفية الاتصال بالملك .

اندهش الموظف من سؤال المشرّد الفلسطيني ، ولم يكن يعرف الاجابة عليه ، الاّ انه قال :

- أعتقد ان الملك يخصّص صباح احد ايام الاسبوع لاستقبال المواطنين ، وربما الزوار ، وبامكانك ان تراه في ذلك الوقت .

- أي يوم في الأسبوع ؟! ، سأل شاكر بلهفة .

- لا أعلم ، ولكنني سأسأل لك عن ذلك .

عاد اليه الموظف بعد ان استفسر من مجموعة من المواطنين ، وقال له : انه يوم الاربعاء ، من الساعة الثامنة والنصف الى العاشرة والنصف .

شكره شاكر ، وصعد الى غرفته سريعاً وكأنه يستعجل اللقاء ، وراح يسجّل رؤوس نقاط المواضيع التي سيطرحها على الملك على ورقة صغيرة .

وفي اليوم التالي اندفع خارج الفندق واستقلّ سيارة أجرة لتقلّه الى الديوان الملكي .. وهناك عند البوابة لمح القصر الضخم ، والجنود المدججين بالسلاح .. لم يأبه بكلّ هذا ، بل راح يخطو بثقة الى الداخل .. وهنا استوقفه أحد رجال الأمن وسأله عن مقصده ، فأجاب : بأنه يريد لقاء الملك .

أخذه أحد الحرّاس الى قسم التشريفات ، وهناك سألوه عمّا اذا كان لديه موعدا ، وماذا يريد من الملك .. قال بأنه سيسلّم عليه ، وسيحدّثه عن فلسطين وقضيتها .

ضحك موظف التشريفات ممّا اعتبره سذاجة ، وراح يكرّر ما قاله على مسمع من زملائه .. في حين قال رئيسهم :

- وهل الملك ناقص بلاوي ، حتى تأتي إليه ببلاوي الفلسطينيين ؟ .

أدخل شاكر بعد تفتيش دقيق ومعه مجموعة كبيرة من الناس من طلاب الحاجات الى صالة فسيحة كان الملك مع حاشيته يجلسون في آخرها ، وقد تملّكه شعور الرهبة ، كما اقتربت خطاه من منه .

سلّم على الملك وقبّله بنفس الطريقة التي قبّل بها الشخص الذي كان أمامه ، وانتظر دوره ليقول للملك ماجاء من اجله ، وقد رأى الزوّار يتقدمون واحداً تلو الآخر ، يقبلّون كتف الملك ثم يجلسون عند رجليه ، ويبدأون بالهمس ، وبعد اقل من خمس دقائق ، يقومون بعد ان يشير اليهم رجل يجلس خلف الملك .

مضت نصف ساعة واقترب شاكر اكثر من ذي قبل من الملك ، وكان ملبسه يدلّ على أنّه ليس من أهل البلاد .. وسأله احد مسؤولي قسم التشريفات

مرّة اخرى عن مقصده ، فكرّر بأنه يريد التحدث مع الملك بشأن القضية الفلسطينية بصفته احد المتصدين لقيادة الحركة الاسلامية في فلسطين المحتلة .

فردّ عليه المسؤول :

– زين ، أخليك هالحين تسولف مع جلالة الملك ، لكن ما تطوّل وتقوم ، زين ؟! .

تقدّم شاكر وقبّل كتف الملك وجلس عند رجليه ، ثم بدأ الحديث بتقديم الاحترامات ، وامتدح الملك بانه رائد التضامن الاسلامي ، والرجل الاول في العالم العربي ، وحامي حمى الاسلام والحرمين ـ لم يدخل لقب خادم الحرمين سلك السلطان يومها ـ ، حتى قال :

– انا شاكر خيري من فلسطين المحتلة ، جئت للتشرّف بالسلام على جلالتكم ، ولأناشدكم ان تعملوا اكثر من ذي قبل لانقاذ شعب فلسطين ، وانتم تعرفون اكثر منّي عن احوال ابنائكم في الاراضي المحتلة ، ومعاناتهم تحت الاحتلال الاسرائيلي .

واسترسل شاكر في حديثه بحرقة وحماس ، ولكنه انتبه الى ان الملك ينظر الى زاوية اخرى ، ثم التفت اليه مقاطعا :

نعم ندري بكل هذا ، ايش بعد ؟! .

اوحت لهجة الملك اليه بعدم الاهتمام ، لكنه طرد هذا الايحاء من مخيّلته .

– أنا أقول ياطويل العمر بأنكم تستطيعون فعل الكثير لهم ، وزيادة الدعم المالي والسياسي و ..

شدّت كلمات شاكر الأخيرة الملك ، وقال له بلهجة غاضبة وبانفعال واضح :

– اسمع انت ، حنّا نعرف شنهو نسوي ، وانت مو الذي تعلمنا ايش نسوي .

– لكن يا جلالة الملك ، بإمكانكم ان تكلّموا الاميركيين ليخففوا من دعمهم لاسرائيل .

– كل هذا ما يفيد ، واذا كان عندك كلام ثاني قله .

قام شاكر من مجلس الملك وخرج ، يملأه الاحباط ، لا يكاد يميّز طريقه لخارج الديوان .. فما هكذا كان يتوقع من حامي حمى الحرمين وزعيم المسلمين .

وفي اليوم التالي ، رنّ جرس الهاتف في فندق رمال الصحراء ، وكان على الجانب الاخر مسؤول في وزارة الخارجية السعودية ، يسأل عن الفلسطيني ، فأجابه موظف الاستقبال بانه غادر الفندق ، في الصباح .

– اين ذهب ؟! .

– الى المطار .

وفي تلك اللحظات ، كان الاستاذ شاكر مستلقيا على كرسيّه في الطائرة ، يتأمل الجبال المشرفة على بيروت ، ويتذكّر سراب الصحراء ورمالها التي دفنت احلامه ★ .

ناصر علي

★ هذه حادثة حقيقية وقعت لأحد القيادات الاسلامية في فلسطين ، والتي تقوم اليوم بدور كبير في مقارعة الاحتلال الاسرائيلي .. وقد آثرنا عدم ذكر إسمه الصحيح لأسباب لا تخفى على ذوي الالباب .

الشيعة في السعودية والموقف من حرب الخليج

كتبت الصحافية جيرالدين بروكس ، مراسلة صحيفة وول ستريت جورنال ، من الظهران بالمملكة العربية السعودية ، مقالا حمل عنوان : الغزو العراقي يجعل الشيعة يصطفون مع المعادين لصدّام .. وممّا جاء في المقال الصادر بتاريخ ٢٠ / ١١ / ١٩٩٠ ، ما يلي :

كامل ، البالغ من العمر ٣٧ عاماً يحتفظ بسلاحه في سيارته ، ويحمل بطاقة هويّة مزيّفة في جيبه ، ودروس التدريب التي تلقاها مع الفلسطينيين في لبنان لا يزال يحفظها .

إنّه من الراديكاليين الشيعة ، أي من نفس الطائفة المسلمة التي قادت سيارة ملينة بالمتفجرات الى مقر المارينز الاميركي في بيروت عام ١٩٨٣ .

(أولا .. نحن ضدّ صدام) ، قالها كامل ، الذي طلب ان يعرّف بهذا الاسم المستعار ، ثم (نحن نتمنّى من الاميركيين ان يضغطوا على الحكومة السعودية من اجل تغيير الاوضاع هنا) .. وقد عبّر عن حذره من التواجد الاميركي بقوله : (يجب عليهم ـ القوات الاميركية ـ المغادرة بعد انتهاء الازمة ، والاّ فسوف نضع في اعتبارنا استخدام الكفاح المسلّح) .

ان هذا الترحيب الحذر بالقوات الاميركية يعكس وجهة نظر الكثير من المسلمين الشيعة الذين كانوا في الماضي ضد الحكومات المحافظة في الخليج ، ولكنهم الآن يدعمون نفس الحكومات ضد الغزو العراقي للكويت .

وبينما يميل صدام حسين الى دعم (الارهاب !) الفلسطيني ، فان احتلاله للكويت ، وعكس ما كان متوقعاً ، قدّم لحكام الخليج فرصة لانهاء عقود طويلة من استخدام العنف والقمع ضد الأقليّات الشيعية .

الآن وقد كسر صدام الحواجز السياسية في الخليج ، فان هناك فرصة للشيعة لتحسين اوضاعهم ، كما يقول جيمس بيل ، الخبير بشؤون الخليج في كلية وليام اند ماري في فرجينيا ، وأضاف : (لم يعامل الشيعة بصورة طيّبة في بلدان الخليج ، ولكن معاملة صدّام لهم كانت أسوأ وأقسى) .

والآن ، هناك سخط واسع بين الشيعة في العربية السعودية ، بسبب التمييز في المجالات الاقتصادية والدينية .. (نحن نشعر بأننا لا نقدر على التنفس هنا) ، قالها أحد المواطنين الشيعة في السعودية ، ويعمل في الخياطة .

ان الشيعة في السعودية والكويت يدعمون حكوماتهم .. يقول عبد العزيز حبيب ، وهو رجل دين بارز في الكويت : (ان اغلب المقاومين داخل الكويت هم من ابناء الشيعة) .. في حين دعا حسن الصفار ، أحد قادة الشيعة السعوديين ، والمقيم في المنفى ، دعا السعوديين الشيعة الى الانخراط في الجيش السعودي ، و (الدفاع عن أرضهم) ، وتجدر الاشارة الى ان اربعمائة الف شيعي يتمركزون في المنطقة الشرقية ، بالضبط حيث تعسكر القوات الاميركية .

حين وصلت هذه القوات الى هناك ، ناقش الشيعة ما يجب عليهم القيام به .. ففي بيت كامل ، أخرج احد الضيوف قصاصة مهربة من جريدة ، تدّعي بأن الاميركيين استقدموا نحو خمسة آلاف مومس مصريّة للترفيه عن القوات الاميركية ، وقال الضيف انه يريد توزيع نسخ من تلك القصاصة ليتصاعد العداء ضد الاميركيين .. ولكن كامل قال له بان هذا الخبر مجرّد دعاية عراقية .. فأجاب ضيفه الذي قضى تسعة أشهر في السجون السعودية بسبب آرائه السياسية ، انه لا يهتم بذلك وان (أي شيء ضد الحكومة السعودية يمكن القيام به ، يجب ان نقوم به) .

غير ان كامل طلب منه ان ينظر الى الاهداف المتوخاة من هذا العمل ، وتساءل :

هل نحن نريد التخلّص من آل سعود ؟ .

وتابع .. لا ، (لأن وجودهم يحافظ على وحدة البلاد) .

وسأل ثانية : هل نحن نريد ان نستقلّ بالمنطقة الشرقية عن السعودية ؟ .

كلاّ ، لأننا فخورون بان نكون جزء من بلد يضمّ المقدسات ، مكّة المكرّمة ، والمدينة المنورة .

ما نريده بالتحديد ، يقول كامل ، هو حقوقنا الانسانيّة .

الحكومة السعودية تنفي وجود معتقلين سياسيين ، ولكن وزارة الخارجية الاميركية ، اضافة الى منظمة العفو الدولية ، اصدرت تقريرا هذا العام عن الاعتقالات والاعتداءات بالضرب والعنف ضد الشيعة .

يقول موظف في الخارجية الاميركية : (هناك مضايقات وإيذاء للمعتقلين السياسيين) .. واضاف (ان المعتقلين في السعودية لا يخرجون من السجون وقد فقدوا بعض أجزاء من اجسادهم ، كما هو الحاصل في العراق .. ولكنهم يروّضون على اية حال) .

هذه المضايقات خلقت صعوبات عديدة ، فأحمد حسن المطوع ، الذي أمضى سبعة اشهر من هذا العام ، في السجن الانفرادي ، بعد ان حضر مؤتمرا دينياً للطلبة المسلمين في دالاس بالولايات المتحدة الاميركية .

أحمد هذا هو مدرس وباحث في الفيزياء في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ، وقد وجهت له تهمة : نشر الفكر الشيعي والالتقاء بالمنظمات الشيعية المحظورة .. وقد نفى هذه التهمة عن نفسه ، ولم يحاكم ، ولكنه اطلق سراحه بعد اشهر سبعة .. واضاف المطوع : ان التهمة لم تثبت عليه ، الاّ انه لا يستطيع الحصول على عمل الآن ، لأنه منع من دخول الجامعة ، وسحب جواز سفره ، بحيث لا يستطيع اكمال دراسة الدكتوراة التي بدأها في جامعة إيلينويز .

ويعتقد المطوّع ان مشكلة الأقليّة الشيعية ، لا يبدو انها ستحل إلاّ (اذا اصبح النظام السعودي اكثر ديمقراطية) ، واضاف بأن الحكومة (تريد ان توحي للاميركيين هنا بأن الشيعة أناسا سيئين ، يركضون وراءهم بالمتفجرات .. انا لا اريد ان يحمل الاميركيون هذا الانطباع) .

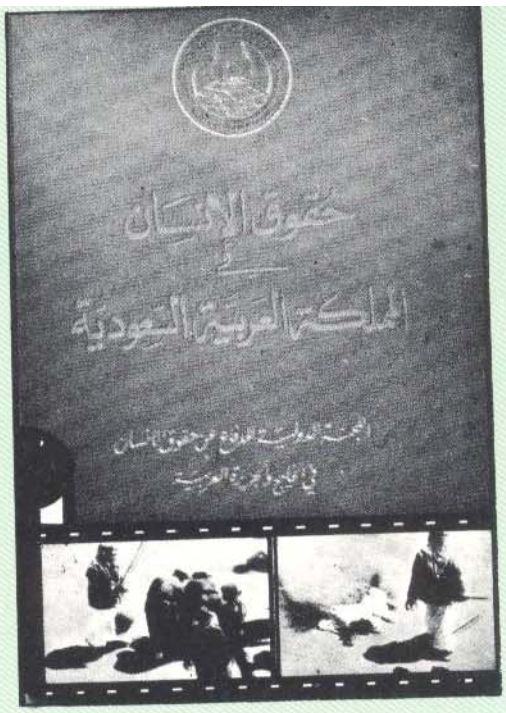

حقوق الانسان في المملكة العربية السعودية

يقع الكتاب في ٥٢٠ صفحة ، وهو من إعداد اللجنة الدولية للدفاع عن حقوق الانسان في الخليج والجزيرة العربية .

ويتناول الكتاب موضوع حقوق الانسان في السعودية ، ومجمل الانتهاكات الواقعة على المواطن حيث اخذت اللجنة على عاتقها تحمّل مسؤولية الدفاع عن حقوق الانسان ، وسجّلت خلال فترة زمنيّة محدّدة حالات عديدة عن الاعتقالات المتزايدة ، وحالات التعذيب الشديدة ، والتي أدّت الى وفاة العديد من السجناء ، كما رصد الكتاب أحكام الاعدام التي سجّلت فيها الحكومة السعودية رقماً قياسياً مقارنة مع مجموعة كبيرة من الدول الاخرى .

وأوضح الكتاب انتهاك الحكومة السعودية للتشريعات الدولية التي أقرّتها الأمم المتحدة فيما يتعلّق باحترام حقوق الانسان ، وكيف ان تلك الحكومة اصدرت مجموعة من التشريعات المقيّدة للحريات العامّة ، اضافة الى انتهاكاتها في مجالات اقتصادية واجتماعية وثقافية مختلفة .

يطلب من اللجنة الدولية للدفاع عن حقوق الانسان في الخليج والجزيرة العربية - فرع بيروت -

P . O . Box 113 - 5932 , BEIRUT , LEBANON

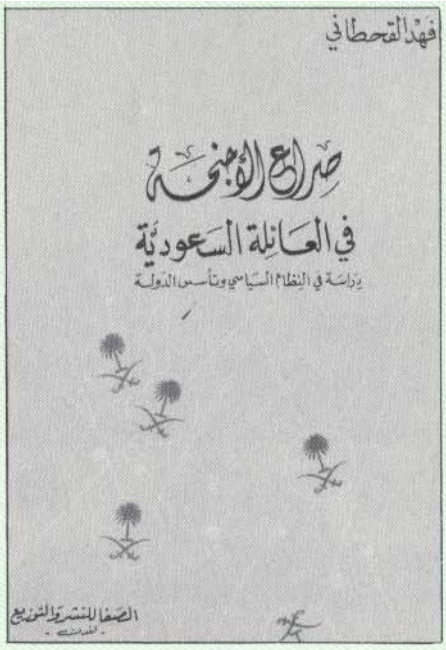

صراع الاجنحة في العائلة المالكة السعودية

فهد القحطاني

يقع الكتاب في ستمائة صفحة ، من الحجم الكبير ، للمؤلف الاستاذ فهد القحطاني ، والكتاب يعدّ دراسة موثقة عن تاريخ النظام السعودي وطريقته في الحكم ، كما انه يتكلّم عن الاجنحة المتصارعة في النظام السعودي ، وسيطرة الجناح السديري الذي يتزعمه فهد ، الملك الحالي للسعودية ، ويتعرض ايضا الى تسلسل القوى في الطبقة الحاكمة ، ومجلس الاسرة المالكة ، بالاضافة الى مواضيع اخرى متفرقة ، مع ملحقات تابعة للكتاب .

ويعدّ الكتاب احدث دراسة عن المملكة وطريقة الحكم فيها ، والقوى التي تتجاذبها ، وتأثيرات الجيش ، وعمل الوزراء والموظفين .. انه سجل حافل في كل ابعاد الاوضاع السعودية لا غنى للمهتم عن قراءته .

يطلب الكتاب من المكتبات العربية بلندن ، او على عنوان المجلّة .

قيمة الكتاب مع تكاليف البريد ١٥ جنيه استرليني .